COLONEL HASAN ABO RAKABAH

سيرة ذاتية
POETRY/AUTOBIOGRAPHY

أزهار وأشواك

مذكرات ضابط فلسطيني

المقدم حسن أبو قبة

أزهار وأشواك

مذكرات ضابط فلسطيني

أزهار و أشواك/ مذكّرات ضابط فلسطيني
المقدم حسن أبو رقبة
الطبعة الأولى، ٢٠٠٥
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت ـ الصنائع ـ شارع ليون
بناية عيد بن سالم ص. ب: ٥٤٦٠ ـ ١١
تلفاكس: ٧٥١٤٣٨ ـ ٧٥٢٣٠٨/ ٠١ برقياً: موكيّالي
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان، ص. ب: ٩١٥٧، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢، هاتفاكس: ٥٦٨٥٥٠١
E-mail:mkayyali@nets.com.jo
تصميم الغلاف:
الفنان محمد الشاعر
الصف الضوئي
شركة طبارة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان
التنفيذ الطباعيّ:
مطبعة سيكو، بيروت ـ لبنان
All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmited in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.
جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

سيرة ذاتية

المقدم حسن أبو قبة

أزهار وأشواك

مذكرات ضابط فلسطيني

المقدمة

تاريخ الشعب الفلسطيني مليئ بالبطولات والتضحيات، وبالشهداء والمعتقلين، ومليئ ايضا تبعا لذلك بالازهار والاشواك. جرت العادة ان يسجل التاريخَ الحكام او المنتصرون، ولكن من حق ابناء الشعب ايضا والمناضلين في صفوفه ان يشاركوا في تسجيل التاريخ بمختلف جوانبه، وبمنتهى التجرد الممكن عن طريق تسجيل حياتهم الشخصية بحُلوِها وُمرّها، بأزهارِها واشواكِها.

وفي هذا الكتاب سرد لحياة ضابط فلسطيني تُمثل ايضا جانبا من حياة شعب مجاهد في مختلف الميادين وفي جميع الاوقات، وتقدم اضاءات ضرورية عن بعض الاشخاص وبعض الاحداث، ومنها ما كان سرا او شبه سر.

بعيداً، بقدر الامكان، عن النرجسية وغريزة حب الذات، سجلت احداث حياتي الشخصية، ولا ادّعي اني اسجل تاريخاً لفلسطين، ارضها وشعبها، آملاً ان يجد القارئ بعض الفائدة، وان يطلع على المزيد من الحقائق، مقابل مجموعة من المزاعم والاكاذيب والاتهامات والافتراءات التي سادت في بعض الاوقات.

ان بعض هذه الاحداث واسماء المشاركين فيها قد نشرتها سابقا في بعض الصحف، واثناء وجود هؤلاء المشاركين احياءً وقبل ان ينتقل قسم كبير منهم الى دار الآخرة، وذلك رغبة مني آنذاك في ان يكونوا بأنفسهم من الشهود الاحياء عليها.

اشكر الدكتور انيس صايغ وزوجته الفاضلة والدكتور صلاح الدين الدبّاغ لمشاركتهما القيّمة في تصحيح بعض الاحداث وبعض اللّغة، كما اشكر الآنسة دانيا رجا عبد المالك وابنتي رنا لجهودهما في الطباعة والفنان محمد الشاعر مصمم الغلاف والاستاذ نبيل عجوز مخرج الكتاب.

يبقى ان اوضح انني كنت دائماً خلال مجمل الاحداث والوقائع المتتابعة المذكورة في هذه المذكرات متصالحاً مع نفسي، اي مع عقلي وضميري وقلبي، وهذه المصالحة امر مقدس ونبيل.

كما اوضح ان النضال المستمر، في كل الميادين، كان تحت شعار: (وطنٌ حرٌ وشعبٌ سعيد)، وأهم ما يحقق السعادة هو الشعور بالأمان والتحرر من الخوف من الحاضر والمستقبل، وهو أيضاً هدف مقدس ونبيل.

الاهـداء

- الى شهداء القضية الفلسطينية الأبرار وفدائييها ومعتقليها.
- الى اهالي مدينتي عكّا، الصامدين فيها والمشردين عنها.
- الى كل نصير لفلسطين في العالم مهما كان دينه او بلده او تفكيره.

تقديم

بقلم الدكتور انيس صايغ

برز في المكتبة العربية الفلسطينية في العقود الثلاثة او الاربعة الاخيرة صنفان او لونان من الانتاج الثقافي بوفرة وبجودة لم تعهدهما هذه المكتبة من قبل، بل لم تعهدهما المكتبة العربية من قبل. وهما ادبا البلدانيات والسيرة الذاتية. ومع اختلاف هذين اللونين عن بعضهما بعضاً يشتركان في النشوء من ظروف واحوال سياسية وثقافية واحدة، مثلما يشتركان في محاولة الوصول الى هدف مباشر او غير مباشر واحد.

في العام ١٩٤٨ وقعت النكبة وأجلي سبعون في المئة من شعب فلسطين عن اراضيهم. وفي العام ١٩٦٧ وقع الفصل الثاني من مأساة النكبة وأجلي مئات الآلاف من الفلسطينيين عن منابتهم الاصلية. وضعفت الآمال بالعودة السريعة وتحرير الوطن، وتحول البلد تدريجياً الى فردوس مفقود تتطلب استعادته الكثير من الجهد والاستعداد والتضحيات. فانطلق من هذا الشعور العام والكاسح ايمان بأهمية الحفاظ على الذاكرة وصيانة التراث الثقافي حتى لا نفقد التعلق بالبلد، ارضاً وحضارةً وتاريخاً، مثلما فقدنا السيادة وحق الأقامة. وكانت المحصلة العملية لهذا الشعور العام ان تضاعف الانتاج الثقافي في حقلي البلدانيات والسيرة في اقل من خمسين سنة عدة مرات عما كان الامر عليه في المئة سنة التي سبقت النكبة. وان كانت مدن فلسطين وبلداتها وقراها التي حظيت بكتب تؤرخ لها حتى الخمسينات من القرن الماضي لا تبلغ العشرين، تجاوز عدد الكتب البلدانية اليوم على المئة (والحبل على الجرار كما يقولون). كذلك الامر مع كتب

السيرة الذاتية او المذكرات او الذكريات. اقل من عشرة من رجالات فلسطين من مطلع القرن التاسع عشر حتى اواسط القرن العشرين عنوا بتسجيل مذكراتهم ونشرها. لكن الامر تبدل في مدى خمسين سنة وتضاعف نتاج هذا اللون الهام والمعبّر من الادب اكثر من عشر مرات.

يريد الانسان الفلسطيني من وراء ادلاء دلوه في بحر هذا النشاط الثقافي الجليل ان يعلن للملأ، لشعبه الفلسطيني اولاً ولأمته العربية ثانياً وللعالم بأسره ثالثاً عن تمسكه بهويته، بالأرض وبالتاريخ وبالحق وبالحضارة وبالتراث مهما قست الظروف السياسية واشتدت المحن وتوالت النكبات واستمرت الحرمانات وطال الاغتراب القسري وامتدّ زمن الأقتلاع عقداً بعد آخر.

امهّد في هذا الكلام للحديث عن ادب السيرة الفلسطينية الذي نحن الآن، في هذا الكتاب بالذات، امام اضافة جديدة، غنية وطريفة ومفيدة، لحوالي المئة كتاب وضعها كتّاب فلسطينيون، ادباء ومفكرون وسياسيون ومناضلون ومهنيون ورجال اعمال ومثقفون واعلاميون وغيرهم من شرائح المجتمع الفلسطيني في ارضه وشتاته في اقل من نصف قرن. والعدد كبير نسبياً، لا مقارنة مع من سبقهم من بين شعبهم فقط، بل ايضاً والى درجة اكبر واخطر مع الكتّاب العرب عموماً في اقطارهم العشرين. كاد فن السيرة الذاتية الفلسطينية يصبح معلماً رئيسياً ودالاً ومؤثراً في الادب العربي المعاصر عموماً.

ابلغ ما لفت نظري في هذا النتاج انه، في اغراضه، وفي ادائه واسلوبه، يقدّم الذات (ذات المؤلف، حياته واعماله واخباره وتفاصيل سيرته) كجزء من حياة شعب، فرداً واحداً من مجموع، بحيث يرتبط وجوده (اخباره وظروفه وتنقلاته ومصيره) بشعبه ارتباطاً عضوياً متيناً. حتى واذا تجاوز هذا الفرد حدود مصائر اخوانه واقرانه وسائر ابناء مجتمعه في النجاح او الفشل، في المكاسب او الخسائر، في السعادة او الالم، فأنه يحرص على تفسير ذلك التجاوز والاختلاف عن الآخرين وكأنه يخشى ان

يُتّهم بالتغريد وحيداً خارج السرب. فهو، ومهما تفردت تجاربه وحظوظه وايامه، مجرد حلقة صغيرة في سلسلة بشرية كبيرة ومتماسكة، متأثر بالآخرين ومؤثر في الآخرين. وهذا، برأي، هو قمّة التضامن والتكافل في المجتمع الفلسطيني المعاصر.

يلفت نظري ايضاً ان "الواجب" الذي يتحسس ويعترف به الانسان الفلسطيني نحو مجتمعه، فيحرضه على كتابة مذكراته التي تعكس حياة الشعب بأكمله، وان تعددت التجارب الفردية ونتوعت، انما هو الذي جعل كتابة السيرة الذاتية الفلسطينية الغزيرة امراً منفتحاً على العموم ومتاحاً لشرائح واسعة من المجتمع. لم يعد ولوج هذا الفن محصوراً في "نخبة" او مقصوراً على نوع محدد من اصحاب التجارب وذوي الخبرات التي يصح ويحق لاصحابها ان يسجلوها وينشروها. من هنا تعددت وتنوعت هويات اصحاب الذكريات وتخصصاتهم المهنية والعلمية وثقافاتهم ومواقعهم في المجتمع الفلسطيني وفي اماكن وجودهم الجغرافي والحياتي في فلسطين وخارجها. واذا كنت اشير الى هذه الصفة ("الافتتاحية" اذا جاز التعبير) واشيد بها فلأنها صفة عالمية تميز بها النتاج الثقافي في العالم المتقدم، حيث تبلغ الثقافة مستويات عالية جداً، واصبحت عاملاً في رقي هذا النتاج، وفي نجاحه في الوصول الى المواطن الغربي، الى عقله ووجدانه وقلبه.

يقودني الحديث الى مذكرات المقدم حسن ابورقبة، والى ذكرياته الحافلة بالورود والاشواك. حسن ابورقبة واحد من عدّة ملايين. فلسطيني عربي مسلم، يلتزم فلسطينيته ويؤمن بعروبته ويتحسس بأسلاميته، ولكنه، بهذه الارتباطات الثلاثة في وجدانه، تعرّض لمواقف ومؤثرات وظروف، ايجابية او سلبية، في الخمس وسبعين سنة من حياته، في المولد والنشأة والعائلة والتربية والعمل، في الوظيفة والجندية والعمل الحرّ الاقتصادي والتربوي، في السفر والزواج والصداقات. وقد اراد ان يرويها لنا، بصدق وشفافية كما يقول وكما يجدر بنا ان نصدق، فيقدم لنا بالتالي كشف

حساب مفصل يترك لنا في النهاية ان نحكم به له او عليه.

قارئ المذكرات والذكريات يزداد حماساً للاطلاع عى ما يرويه الكاتب، واستمتاعاً، كلما اقترب من الكاتب وقويت معرفته به. فهو ينتقل من موقع رؤية الاحداث مجردة وموضوعية الى موقع الحشرية وحب الاستطلاع الشخصي والتتبع الذاتي. وسواء كان المطلع على كتابنا هذا من معارف المقدم ابورقبة او لم يكن فهو سيجد قصصاً ونوادر ومرويّات تنبعث من احداث وتطورات تتعاقب في حياة مؤلفها في رحلة العمر تثير اهتمامه، بل تحرّك فضوله، ان لم يكن لسبب آخر فعلى الأقل لطرافتها وسلاستها وبساطتها العفوية البعيدة عن التصنّع والحذلقة. فالكتاب مرآة عادية لحياة عادية لرجل عادي ـ مع التأكيد على ان مصطلح "العادية" هنا لا يقصد التقليل من اهمية الرجل او اعماله ومركزه، انّما هو للتعبير عن رغبة المؤلف في ان يبدو كما هو بالفعل: انسان فلسطيني اتيح له ان يمرّ بتجارب معينة في مواقع معينة وفي تواريخ وضمن اطارات واحداث وتطورات معينة مرّ بمثلها الآلاف غيره من بني شعبه، وتعامل هو، كما تعامل كل واحد غيره، مع هذه الاحداث والظروف بطريقته الخاصة، وبالتالي اصبحت له تجاربه الخاصة التي يرغب في روايتها لنا.

بعض ظروف حياة حسن ابورقبة اختارها هو: دراسته، تجنّده وعسكريته، وظائفه بعد تسريحه، وتقاعده. وبعض الظروف فرضها الواقع عليه ولم يستأذن فيها: منبته في عكّا، اسرته، لجوؤه الى سوريا، الخ... ولكن في كلا الحالتين كان ابورقبه سيد الموقف. كان هو الذي يقرّر وهو الذي يدير، الى حدّ بعيد، دفّة سفينة الحياة الغنية بالاعمال والجهود والمشاريع والخدمات والمواقف الحاسمة والأجراءات الهامة. فأبورقبة صاحب قرار اكثر مما هو رقم في موكب او زمرة. وحتى حينما يرتاح، ولا يتاح له ان يكون صاحب قرار، ولا صاحب القرار، يتمسك برأيه وموقفه، ويعاند، ويعارض، ويحتج، وينتقد، ويخطئ، الى حدّ انه يخرج احياناً عن الصفّ، وينفرد، فيكون له ما يريد، او يفشل ويتحمل العقاب بشجاعة.

يجوز لنا، بعد قراءة الكتاب، ان نتخيّل الكاتب انساناً مشاكساً، يبرر لنا ذلك ما نقرأه عن ملاحظاته وانتقاداته وتصويباته لسلوك او قرار كان عليه ان يسلكه او ينفذه. فهو دائم الحركة لتحقيق ما يراه صواباً وان لم يكن ذلك التحرك حسب البرنامج المرسوم له والمفروض عليه. وهي "مشاغبة" تذكرنا بشقاوة بعض الابناء في الاسرة وبعض الطلاب في المدرسة، مشاغبة صحية وعفوية وتلقائية، فيها طرافة. الاّ ان المؤلف يحتج على هذا النعت البريء حتماً لأنه يخشى ان تبدو المشاغبة او الشقاوه تآمراً. وهو يعلّل مواقفه تلك بأنها انما كانت لخدمة الآخرين ولم تكن لمصلحته هو ولا لمكاسب ذاتية. كان يعترض ويخالف ويعصى ويحتج فقط حينما يرى في القرار اجحافاً او ظلماً او تعسّفاً بحق غيره. وسواء قبلنا بهذا التعليل او لم نقبل فلا شك ان القارئ سيستطرق ويستظرف ما يرويه المؤلف عن نفسه ازاء قرارات واجراءات خرج عليها وادّى بعضها الى سجنه او توقيفه او ابعاده. وحياة حسن ابورقبة حافلة بالأجراءات الرسمية، العسكرية والأمنيه والمدنية والقانونية، التي اتّخذها ضده هذا النظام العربي او ذاك. غير ان الجامع المشترك في مراحل حياة الرجل الصاخبة والثرية بالاحداث هو تمرده الكامل على القوى التي اقتلعته، مع الملايين من بني شعبه في مدى نصف قرن، من عكّا، وابعدته وشرّدته: قوى الشرّ الصهيوني والاستعماري المتحالفة عملياً مع التقاعس الرسمي العربي.

وبعدُ، يقدم لنا المقدم حسن ابورقبة باقة من الازهار التي تحمل في اغصانها اشواكاً. لقد تمتع هو بمنظر هذه الورود وعطرها، وادمى يديه من اشواكها. تماماً مثل أي فلسطيني معاصر: يعيش سعيداً مع احلامه وذكرياته ومرأى فلسطين الحبيبة في صحوه ومنامه، ويعيش متألماً من جراح التشرد والغربة. غير ان ما يجمع بين الورد والشوك، بين الأستمتاع والمعاناة، بين الحلاوة والمرارة، هو ذاك الايمان العنيد والراسخ بأن عذابات الجهاد وقسوة التضحيات ومشاق المسيرة نحو فلسطين (التي خاضها حسن ابورقبة وما زال) انما هي نفسها جوهر السعادة التي لا تماثلها سعادة ي تحقيق

الهدف الأسمى بتحرير فلسطين، كل فلسطين، والعودة اليها. في عكّا تعطي الزهرة لأبورقبة كل عبقها واريجها، اما اشواكها فتصبح من الماضي البعيد.

الحياة في عكّا

تبقى الذكريات جزءاً من التاريخ الشخصي وأحياناً العامّ، ومجموع الذكريات الصادقة هي تاريخ الوطن، بما فيها من أزهار وأشواك.

ونبدأ بالولادة في عكّا ـ فلسطين في ١٩٢٩/١/٢٨، وبالدراسة عند الخوجة حُسُن في حيّ القلعة داخل الأسوار، ثم عند الراهبة (مرتا) في كنيسة اللاتين، ثم الدراسة الابتدائية والإعداديّة في مدارس الحكومة.

كان الأستاذ محمّد الأمين مديراً للمدرسة الابتدائيّة قويّ الشّخصيّة، يشرف أيضاً على بيت الطلبة الداخليين فوق السور وخان الشاوردة، أمّا مدير الإعداديّة فكان الأستاذ سامي عيد من بعقلين ـ لبنان، خرّيج الجامعة الأمريكيّة، قويّ الجسم والمعلومات، حازم في الإدارة، ومعهما مجموعة أساتذة ناجحين منهم: محمود الشلبي، عبد الرحمن قبّاني، والشاعر عيسى ناصر، أمين موافي، رفيق اللبابيدي، الشيخ موسى الطبري، عبد الله حسّون، محمد النحوي ومحمّد صادق رستم وغيرهم، والمدارس جميعها داخل الأسوار. أمّا الإعداديّة الثانويّة فخارجها على الشاطئ الغربي للمدينة.

والدي يملك حصّة في قهوة أبو رقبة في ساحة الليمان ـ ساحة المدينة القديمة الرئيسيّة، وبيتنا في حيّ القلعة كان يضمّ العائلة الكبيرة كلّها: ثلاث إخوة منهم اثنان متزوّجان هما: والدي وعمّي الحاجّ عبد اللطيف والثالث الاعزب محمد وفوق الجميع الجدّة الحازمة، أمّا عائلتنا الصغيرة فقد بقيت لمدّة من الزمن مكوّنة من أربع بنات وولد واحد هو أنا ممّا جعلني موضع عناية خاصّة لمدّة من الزمن قبل ولادة أخويّ الجديدين فتح الله وعبد الغني، وبلغ مصروفي الشخصي عشرة قروش فلسطينية في اليوم فيما كانت

وجبة الغداء الكاملة بقرش واحد. وحدث أن مرض أخي فتح الله فنقلناه إلى حيفا حيث أجرى له الدكتور حمزة عمليّة جراحيّة دقيقة ونزع له ضلعين لتنظيف الرئتين، والدكتور حمزة لبناني من عبية كان لمستشفاه في حيفا سمعة طيّبة رائعة.

وقُبَيل الحرب العالميّة الثانية بنى عمّي الحاجّ عبد اللطيف بناية في عكّا الجديدة خارج الأسوار وقرب حديقة البلديّة وخلال الحرب سكنها أفراد العائلة جميعاً.

أذكر في عكّا سينما رويال وسينما البرج داخل الأسوار وسينما الأهلي في عكّا الجديدة. كما أذكر احتفالات عكّا بعيد المولد النبوي حيث يتوافد أهالي القرى المجاورة مع شعرائهم ليحتفلوا مع أهالي عكّا بالدبكة والسيف والترس، وكانت المدينة تتزيّن بالأعلام الفلسطينيّة وفرق كشّافة نادي أُسامة وكشّافة النادي الأرثوذوكسي وكشّافة النادي القومي تطوف الشوارع احتفالا، وكذلك أبناء الطرق الصوفيّة براياتهم وصنوجهم، وتعيش عكّا ثلاثة أيّام في عيد كبير متواصل.

في حديقة بلدية عكا

أمّا الأعياد الدينية الأخرى فكانت تجد أيضا عناية كبيرة، وأهمّ ما أذكره هنا أنّ كشّافة نادي أسامة كانوا يشكّلون طوق حراسة في كنيسة ساحة عبّود أثناء صلاة عيد الميلاد تضامناً مع الإخوة المسيحيين، كما أنّ كشّافة النادي الأرثوذوكسي، كانت تشكّل حراسة لجامع الجزّار وغيره أثناء صلاة عيدي الأضحى والفطر، تضامناً وتأكيدا للوحدة الوطنية.

أمّا باقي الجمهور فيقضي الأعياد في حديقة البلديّة مع الطعام والأراكيل، وغربها في منطقة مقبرة النبيّ صالح أو في المقبرة الإسلاميّة شرق

المدينة حيث تنصب المراجيح في ساحتها السفليّة قرب طريق عكّا ـ حيفا، وبقربها الشحّوظة التي يقصدها المعيّدون مشياً أو على ظهور الحمير للنزهة وتناول الخسّ والتوت، وبعد الشحوظة تلّ نابليون أو تلّ الفخّار الذي كان مقصداً أيضاً للمشاة حيث يتناولون أطيب خس، وخضاراً أخرى مثل الفول الأخضر والحبلّق.

أمّا عصراً فكان الشاطئ الغربي يستقبل المتنزّهين، فتجلس النسوة على الصخور ورمال الشاطئ متنعّمين بجمال المياه وأمواج البحر الخفيفة، في حين يتنزّه الرجال والشبّان على الشارع الغربي المطلّ على مجلس النساء، ويتناثر الباعة على الشارع والشاطئ معاً.

مع مجموعة أصدقاء في مسبح المشيرفه ـ شمال عكا

أذكر في عكّا تعدّد المقاهي، ومنها مقهى البحر قرب ميناء عكّا، وكان بعهدة عمّي الحاجّ عبد اللطيف والى جانبه حمّام البحر الوحيد بعهدته أيضا، وكانت تقام حفلات متعدّدة في مقهى البحر ليلاً للملاكمة مثلاً وللتمثيل، حيث تعرض الفرق الأجنبيّة وخاصّة المصريّة مسرحياتها، وأذكر منها مسرحيّة فؤاد الجزائرلي(بحبح) وحفلة ملاكمة مع الدببة وفيما بينها، وهناك حوالي عشرة مقاهي أخرى موزّعة داخل الأسوار بمعظمها وخارج السور قهوة حابو وغرناطة.

أمّا في سينما رويال المجاورة لمقهى البحر عند أقصى جنوب ـ غرب عكّا فكانت تعرض قديماً الأفلام العربيّة والأجنبيّة الصامتة، ثمّ جاءت الأفلام المتكلّمة، كما كانت تقام حفلات غنائيّة هناك أذكر من بطلاتها

المطربة فتحيّة أحمد والمطربة نازك.

وفي عكّا الجديدة توجد سينما الأهلي، وهي أحدث دور السينما، وأقيمت فيها عدّة حفلات غنائيّة لفريد الأطرش ومحمّد الكحلاّوي وغيرهما، وكان عمّي الحاجّ يتعهّد معظم أفلام عبد الوهّاب وفريد الأطرش فيها.

وفي الأعياد كان بعض المتنزّهين يزورون حديقة البهجة لعائلة بيضون شمال عكّا، وقصر العجم، مدفن البهاء ومزار البهائيين قرب الحديقة.

أمّا مباريات كرة القدم المنتشرة فكانت تجري في ملعب المدرسة الثانويّة (الفرقة) قرب بوّابة عكّا الشرقيّة، أو في ملعب الإنكليز شمال عكّا حيث كنت أشارك في بعض المباريات بكرة القدم في مطلع الشباب، ومنها مباراة مع لاعبين من الجيش الإنكليزي.

أثناء الثورات المتعدّدة كانت عكّا وأهلها يشاركون فيها حسب إمكاناتهم، وكان معظم الولاء للحاجّ أمين الحسيني وبعضه للشيخ أسعد الشقيري من المعارضة.

بالنسبة لي كانت إجتهاداتي الدراسيّة محدودة مع الأسف الشديد، فأنتقل من صفّ لآخر بأقلّ علامات تؤهّل للنجاح، ولكنّ اهتمامي الأكبر كان للرياضة وخاصّة كرة القدم، وللمطالعة حيث ألتهم الكتب الأدبية والصحف والمجلاّت وخاصّة المصريّة التي يأتي بعضها إلى عكّا بطلب خاصّ منّي مثل الصباح والرسالة والثقافة وروز اليوسف والبعكوكة، إلى جانب المصوّر وآخر ساعة والاثنين وغيرها، وكانت ميولي الفكريّة طبقا لمطالعاتي.

وكان النشاط الثقافي والكشفي والرياضي متميّزاً في عكّا آنذاك، ويمثّله نادي أسامة والنادي الأرثوذوكسي والنادي القومي بالدرجة الأولى، إلى جانب عدّة نوادي وفرق رياضيّة أخرى.

في تلك السنّ المبكرة كانت تلفت نظري وتدهشني بعض التقاليد

والمشاهد، منها: احتفال عكّا الديني بعيد المولد النبوي في جامع الجزّار حيث أجلس إلى جانب أصدقائي أو عائلتي على سجّاد الجامع نستمع للمولد ثمّ نقبّل الشعرة الشريفة التي يمرّرها على المصلّين الشيخ سعدو قيّم الجامع، ثمّ يرشّ علينا العطور وبعدها نستلم هدايا الملبّس التي توزّع على الجميع، ثمّ تجرى احتفالات شعبيّة وقرويّة في ساحة الليمان وغيرها حيث الدبكات والأشعار والسيف والترس لمدّة ثلاثة أيّام متتالية.

وهناك احتفال عكّا بتوديع الحجّاج الذي كان يحضره معظم أهل المدينة، فيجتمع الحجّاج الرجال في جامع الجزّار بملابس الإحرام البيضاء حيث تجري قراءة القرآن وبعض الأناشيد مثل:

يا راحلين إلى مِنىً بقيادي ... هيّجتموا يوم الرحيل فؤادي

أو: قم نحو جِماه وابتهج ... وعلى ذاك المحيّا فهجِ

يا ربّ اغفر لقارئها ... وارفعه إلى أعلى الدرجِ

ثمّ يتوجّه الحجّاج سيراً على الأقدام من الجامع باتّجاه البوّابة الشرقيّة ومحطّة سكّة الحديد، ترافقهم جموع أهل عكّا مع فرق المتصوفين براياتهم العالية وصنوجهم، وبعض كشّافة المدينة وشيوخها حتّى الوصول إلى محطّة سكّة الحديد، وتكون الحاجّات من النسوة قد سبقنهم إليها، حيث ينقلهم القطار باتّجاه حيفا، ثم السعوديّة.

وأذكر أيضاً بشكل خاصّ جماعة الإحسان في عكّا ويشترك فيها رجالات المدينة، وشعارها (العكّاوي لا يشحذ والغريب لا ينقطع) فكانوا يجمعون التبرّعات بأنفسهم أيّام العطل والأعياد ويوزعونها بانتظام على المحتاجين كالعائلات المستورة والسجناء المطلق سراحهم وغيرهم. وأذكر أيضاً صلاة التراويح في رمضان ثمّ حلقات الذكر في بعض الجوامع، ومنها الجامع الزيتوني بقيادة الشيخ محمود اللبابيدي، وكذلك التسابق إلى أداء صلاة الفجر في جامع الجزّار ثمّ زيارة المقابر قبل العودة إلى مكتبة الجامع للدراسة .

وفي نهاية كلّ سنة كان يقام مهرجان رياضي في عكّا لجميع مدارس الجليل على أرض ملعب (الفرقة) يعِدّها ويشرف على تنفيذها المديران سامي العيد ومحمّد الأمين مع أستاذ الرياضة محمود شلبي وبقيّة المعلّمين ويحضرها أعداد كبيرة من أهالي عكّا والقرى المجاورة، وتجري فيها مباريات رياضيّة عديدة وتوزّع في نهايتها الجوائز على الفائزين.

لا بد من ذكر شهرة عكّا بالأسماك،وكذلك بالحلويات التي برع فيها أبو صلاح سعد الدين وأبناء ضيف الله وخاصّة في الأعياد الإسلامية والمسيحية وفي منتصف شعبان حيث تقدم حلويات نصف شعبان الخاصة،وهي من اليقطين والقرع وبأشكال عديدة جذّابة يتم بيعها بالجملة والمفرّق إلى القرى المجاورة والى السكان. اضافة إلى الكنافة والبقلاوة وحلاوة الجبن والشعيبيات والسحلب وغيرها.

في المناسبات الوطنية كوعد بلفور كانت المظاهرات الشعبية والطلابية تجوب شوارع المدينة، وأذكر اشتراكي صغيراً في عدّة مظاهرات، وكذلك أذكر أنّ سجن عكّا كان مخصّصاً لتنفيذ أحكام الاعدام بالمجاهدين كل يوم ثلاثاء، وخاصّةً خلال ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ولا تغيب عن ذاكرتي جنازة الشّهيد فخري مرقة، وهو كان عاملاً في أحد الكاراجات وينتقل بسيّارة بين بيروت وعكّا، وقد كلّف بتهريب بعض الأسلحة حيث ألقي القبض عليه وحكم بالإعدام، ونفّذ الحكم وتسلمت الجماهير جثمانه فشيّعته بجنازة لم أشهد مثيلاً لها من قبل، حيث خرج أبناء المدينة والقرى المجاورة لتشييعه مع فرق الكشّافة الإسلامية والمسيحيّة ورجال الدين الإسلامي والمسيحي حيث حمل هؤلاء البساط الأحمر في مقدّمة الجنازة تكريماً للشّهيد، وكان البوليس البريطاني يواكب الجنازة عن بعد دون أن يتصدّى لها، وبالفعل كانت جنازة تليق بالشّهداء.

وفي نفس الوقت أذكر أنّ قتل الخونة من الجواسيس وسماسرة بيع الأراضي كان يجري بين حين وآخر، وكان القتيل من هؤلاء ينقل على ظهر (طمبر) عربة بسيطة يجرّها حمار يرافقها الأطفال بقولهم(الخائن نجّس

الطمبر) حتّى المقبرة حيث يتم دفنه خارجها تحقيراً له.

وممّا أذكره عن تلك الثورة قرارات منع التجوّل التي تفرضها سلطة الانتداب البريطانية فتغلق الأسواق كلها وتحبس الناس في بيوتهم عقاباً لأصحابها، كما أذكر ما حدث إثر مقتل أحد المتّهمين بالتّعاون مع الإنكليز في ساحة اللومان حيث أعلن منع التّجوّل وتمّ تكسير زجاج ومحتويات المقاهي الثلاثة في ساحة اللومان الرّئيسيّة ومنها قهوتنا، وأطلعت مؤخّراً وبالصّدفة ضمن مذكّرات المناضل أكرم زعيتر على تقرير رفعه أحد مؤيّدي القيادة الفلسطينية آنذاك لتقدير الأضرار النّازلة في تلك المقاهي والمحلات المجاورة لها للتّعويض عليها جزئيّاً.

وأحياناً كنّا كأطفال نضع على رؤوسنا ما يشبه الخوذة، فهي صحن نحاسي برباط مطّاطي لوقاية الرّأس عندما نتوجّه لإلقاء الأحجار على الدوريّات الإنكليزيّة في شوارع عكّا، كما أذكر بعد ذلك إنشاء فرقة السّلام الفلسطينيّة التّابعة للمعارضة والشّيخ أسعد الشقيري المتفاهمة مع بريطانيا، حيث يرتدي أفراد هذه الفرقة الطّربوش الأحمر، نكاية بقرار قيادة الثورة لجميع السّكان بارتداء الكوفيّة والعقال حمايةً للفلّاحين الثّوار من تمييزهم عن غيرهم عند حضورهم إلى المدن الفلسطينية، وقد التزم جميع السّكان بأوامر القيادة قبل ظهور فرقة السّلام المذكورة العاملة مع الإنكليز والمجهّزة بأسلحة منهم.

ومنذ الشّباب الباكر كنت أشارك في المظاهرات الطلّابيّة حيث ننشد أحياناً:

بلادي بلادي فداك دمي ... وهبت حياتي فداً فاسلمي
غرامك أوّل ما في الفؤاد ... ونجواك آخر ما في فمي
وفيها: ستقضي الصّوارم ما بيننا ... فإمّا علينا وإمّا لنا
فلا تجزعي يا فلسطيننا ... نموت جميعاً ويحيا الوطن

كما كنّا نردّد أغنية السّجين:

يـا ظـلام الـسّـجـن خـيـم إنّـنـا نهـوى الـظـلامـا
لـيـس بـعـد الـظـلـم إلاّ فـجـر مجـد يـتـسـامـى

وفيما بعد أنشدنا لإبراهيم طوقان:

موطني موطني

ألجلال والجمال والسّناء والبهاء في رباك... في رباك

والحياة والنّجاة والهناء والرجّاء في هواك... في هواك

ومـنـهـا: لا نـريـد لا نـريـد ذلّـنـا المؤبّـدا وعـيـشـنـا المنكّـدا
لا نـريـد بـل نـعـيـد مجـدنـا الـتـلـيد مجـدنـا الـتـلـيد

موطني موطني

ورضعنا حليب العروبة مبكراً مع نشيد:

بـلاد الـعُـرب أوطـاني مـن الـشّـام لـبـغـدان
ومـن يـمـنٍ إلى عـدنٍ إلى مـصـرَ فـتـطـوان
فـلا حـدّ يـبـاعـدنـا ولا ديـن يـفـرّقـنـا
لـسـان الـضّـاد يجـمـعـنـا بـغـسّـانٍ وعـدنـانِ

وأذكر أيضاً الليالي الشعريّة في نادي أسامة بن زيد حيث يلقي الشّعراء قصائدهم ومنهم عمر أبو ريشة ومحمّد العمد وحسن البحيري وعبد الرّحيم محمود وناصر عيسى الذي أذكر له مطلع قصيدة في وداع الأستاذ أحمد الشّقيري قبيل سفره إلى المكتب العربي في لندن حيث قال:

قـل لـلـذي زرع الـشّـقـاق تـعـمّـدا أتـبـاع عـيـسـى يحـتـفـون بـأحـمـدا

وأذكر في الحرب العالميّة الثانية قيام الطّيران الألماني بقصف مخزن استراتيجي للبنزين للجيش البريطاني في عكّا شرق حديقة البلديّة وعلى طريق حيفا ـ صيدا ممّا أشعل حريقاً كبيراً إضطرّنا للنّزوح مؤقّتا من منزلنا

القريب احتياطاً وخوفاً من إمتداده. كما شملت نفس الغارة إلقاء قنبلة طائرة من النّوع الثّقيل جدّاً أصابت قسماً من منزل قريبنا أحمد أبو رقبة شمال عكّا، وهو المنزل الذي استضاف فيه فيما بعد الرئيس التونسي الحبيب بو رقيبة الذي كان آنذاك لاجئاً سياسياً في القاهرة.

الدراسة الثانوية في نابلس

و كان لي في كل هذا مساهمة معقولة إلى أن أتممت الدراسة الإعدادية ـ ثاني ثانوي ـ وصرت ابحث عن معهد لإتمام الدراسة الثانوية، فنصحني البعض بالالتحاق بكلية النجاح الوطنية في نابلس، وحملت توصية من أستاذي محمد رفيق اللبابيدي إلى الأستاذ محمد العمد في نابلس وقدمت أوراقي وعلاماتي وتمت الموافقة على التحاقي كطالب داخلي في (النجاح).

مع رفاق كلية النجاح
في وادى البدان قرب نابلس

وهنا حصل تغير جوهري أساسي في حياتي، حيث شعرت بمسؤولية والدي وأعمامي، وبالأقساط الكبيرة التّي يدفعونها لتأمين تعليمي وإقامتي، فقررت الانصراف بكلّ جهد للتّحصيل العلمي الخالص، وتمكّنت من ترك المقاعد الخلفية في سلّم النجاح المدرسي لأحتل الدرجة ١٣ ثمّ الدرجة ٧ في الثالث ثانوي من أصل حوالي ٤٢ طالباً. أما في الرابع ثانوي فحصلت على الدرجة٣ ثمّ الدرجة ٢ في نهاية السنة، إلى جانب نجاح خاص في الرياضة والتاريخ والأدب العربي، حيث حزت في حفلة التّخرج على جوائز على الدرجة الأولى في الكتابة ثمّ الخطابة في اللّغة العربية، وكذلك على الدرجة الأولى في القفز العريض وسباق ١٠٠ متر في الرياضة، وتولى قنصل العراق آنذاك توزيع الجوائز

بحضور المدير حكمت مهيار والعلامة الأستاذ قدري طوقان وبقية الأساتذة وأهل الطلاّب ومنهم عمي الحاج أبو سعيد مع وفد من العائلة حضر خصيصاً من عكّا إلى نابلس لهذه المناسبة.

أذكر في نابلس الكنافة التّي اشتهرت بها، كما أذكر المستوى الثقافي في المدينة، ومن ضمن ذلك اجتماعات دورية للمثقفين حيث يكلّف أحدهم بقراءة وتلخيص كتاب هام ثمّ يجتمعون للإستماع إلى التلخيص ومناقشة مضمونه وإبداء آرائهم حوله، وهذا النشاط الثقافي يشمل الرجال والنساء على السواء.

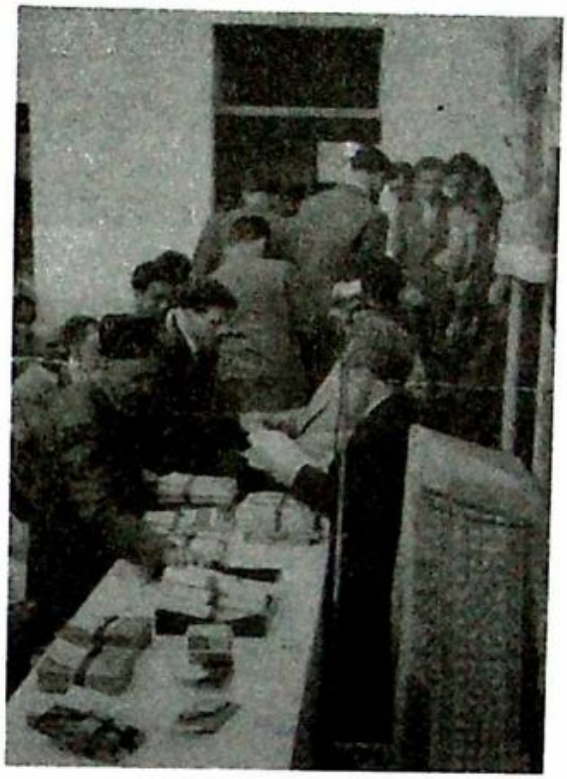

استلام شهادة التخرج والجوائز من قنصل العراق والعلامة قدري طوقان

وفي كلية ـ النجاح ـ نابلس كنت أمارس كرة القدم مع فرقة الكلّية حيث ألعب في قلب أو يمين الهجوم وأحقق أهدافاً في مرمى الخصم. بحيث أذكر ويذكر معي الكثيرون ومنهم زميلي المناضل بسام الشكعة، هتافات المتفرجين يا بو رقبة بدنا جول وهكذا.

وفي ١٩٤٦/٦/١٢ شاع قي العالم أن الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر قد غادر فرنسا سراً، حيث كان يقيم شبه سجين في فيللا محروسة، بعد أن كان قد وصل إليها عند انتهاء الحرب العالمية الثانية وسقوط ألمانيا، وقد فرح الفلسطينيون والعرب والمسلمون بهذا

مع رفاق الدراسة في نابلس
امام مدخل كلية النجاح

بطاقة عضوية اتحاد طلبة فلسطين العرب - فرع عكا بتوقيع امين السر حسن أبو رقية

الخبر وجرت الاحتفالات ورفعت الزينات في مختلف الأرجاء.

في العطل المدرسيّة كنت أعود إلى عكّا، حيث شكّلنا إتحاد طلبة فلسطين العرب ـ فرع عكّا، وكنت أميناً للسر، وقررنا عمل بطاقات خاصّة للأعضاء تكسبهم حسومات في دور السينما والمواصلات الداخليّة، وقد وقّعت على هذه البطاقات شخصياً وسلمتها لكل من أصحابها، وكان الطلاب نشيطين وطنياً في كل مناسبة، حيث تقوم المظاهرات مطالبة بالاستقلال وإنهاء الانتداب البريطاني ومقاومة الغزو الصهيوني.

في حديقة الأندلس - القاهرة

وفي عطلة مدرسيّة ربيعيّة سنة ١٩٤٦ سافرت إلى القاهرة ضمن فريق من طلاب (النجاح) بدعوة من الحكومة المصرية، وكان أستاذنا الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود أحد المشرفين على الفريق. وقمت برفقته بزيارة دار الشورى التّي تجمع كبار رجال السياسة من المغرب العربي وغيره ويشرف عليها المجاهد محمد علي الطاهر (أبو الحسن)،

نزهة في نيل القاهرة

وهناك قابلت الحبيب بو رقيبة الذي كان آنذاك لاجئاً في القاهرة، وموضع عناية أبو الحسن فاستعدت معه ذكريات بعض الرسائل التي تبادلها أبو عصام أبو رقبة مع شقيق الحبيب محمود بو رقيبة قبل عدّة سنوات عن علاقات القرابة فيما بيننا، ودعوته باسم العائلة لزيارتنا في عكّا، ووعد بتلبية الدعوة، وفعلاً في صيف ذلك العام تلقينا إشعاراً بوصوله قريباً إلى حيفا، فاستقبلناه هناك بوفد كبير، وانتقلنا إلى عكّا واستضفناه في منزلنا حيث حضرت شخصيات ووفود للترحيب به، ثمّ انتقل للإقامة في منزل ابن عمّنا أحمد أبو رقبة (أبو عصام) ليستريح قليلاً من عناء الاستقبالات والزيارات الترحيبية الكثيرة، ثمّ نظمّنا له رحلة سياحية وسياسية في مختلف مدن فلسطين، حيث ألقى خطابات تعريف بنجهاد الشعب التونسي وبقضية نضاله للتحرر من الاحتلال الفرنسي، كما ألقى أحاديث صحفية وإذاعية في هذا المضمار.

مع الرئيس بورقيبه في عكا

وأذكر خطابه في نادي أسامة بن زيد في عكّا حيث كان حماسيّاً ختمه بقوله :

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وأذكر أنّه زارنا في نفس الفترة ابنه الحبيب بو رقيبة حيث قضى مع والده بضعة أيام، وكان يعتزم السفر إلى جامعة السوربون لإكمال دراسته، واحتاج إلى مبلغ مائة جنيه فلسطيني لنفقات السفر فقام عمي الحاج بتأمينه له.

في نهاية الدراسة الثانوية لا بد من تقديم الامتحانات العامة في أحد المعاهد التّي تحددها سلطات الانتداب وتجري تحت إشرافها المباشر، وكان طلاب كلية النجاح في نابلس يقدمون امتحاناتهم في القدس ـ الكلية العربية.

لذلك انتقل المتخرجون جميعا إلى فنادق القدس. ونزلت ضمنهم في فندق (الماسة)، وتلك كانت أولى زياراتي للقدس، فجهدت للتعرف عليها، وكنت أقضي معظم وقت الدراسة في مسجد الصخرة المشّرفة، حيث أدرس بكل هدوء وفعالية، وبعد انتهاء الامتحانات عدت إلى عكّا، حيث يحلو لي العيش بين شواطئها ومسبحها وحديقة بلديتها، إلى أن قرر صهري خليل مياسي زوج شقيقتي الكبرى أن يسافر مع زوجته إلى لبنان، فرأوا أن أنضم إليهم للاستراحة من عناء الدراسة وبانتظار نتائجها.

ما زلت أذكر إقامتنا في فالوغا قرب حمانا حيث أعجبت جداً بالقرى الجبلية والجمال الطبيعي للتلال والوديان والضباب والفواكه المتنوعة.

وكنت أجلس نهاراً في مقهى يطل على الوادي وأشتري بعض الصحف اللبنانية والمصرية لمطالعتها، أو أتنزه مشياً على الأقدام حتّى قهوة نبع الحديد الطبيعية.

وأذكر في تلك الفترة قيام الرئيس السوري شكري القوتلي وأركان حكومته بزيارة إلى لبنان ومن ضمنها فالوغا، حيث شاركت في استقباله وسط الزينات والأعلام، حين حضر برفقة الرئيس اللبناني بشارة الخوري وأركان حكومته، وكانت العلاقات السورية اللبنانية آنذاك في أحسن حالاتها بعد أن تحرر البلدان حديثاً من الانتداب الفرنسي ونالا الاستقلال التام وتحقق جلاء الجيوش الفرنسية عنهما، وكانت تلك الزيارة علامة فارقة تؤكد منذ ذلك الوقت اعتراف سوريا باستقلال لبنان خلافاً لبعض الترهات.

ولم تكن تلك هي زيارتي الأولى إلى لبنان، فقد سبق أن زرتها برفقة والدي أكثر من مرة، ولكننا كنّا نقضي الزيارة في بيروت وصيدا فقط، ولم يسبق أن زرت جبال لبنان قبل ذلك، وخاصةً أن عمي محمد (أبو سعيد) كان منفيا مّن فلسطين لأسباب وطنية، ومقيماً آنذاك في بيروت قرب الحرش.

أما في الليل فكنا نحضر الحفلات الفنية الغنائية التّي كان يزخر بها جبل لبنان بمختلف مسارحه ومقاهيه، حيث تتبارى المصايف في جذب السواح إليها عن طريق حفلات المقاهي والمطاعم، وكان السائح الفلسطيني آنذاك من أهم السوّاح العرب، وسمعت أنهم في زحلة كانوا يستقبلون السّياح الفلسطينيين الوافدين في الموسم بالأهازيج والطبول ترحيباً وتكريماً.

عند انتهاء إجازة لبنان عدت إلى عكّا لأفاجأ في اليوم التالي مباشرة بظهور نتائج امتحانات ألمتريكيولشن في القدس منشورة بالصحف اليومية وموزّعة على عناوين الطلاّب وكنت من الناجحين ففرح الوالد وألأهل كثيراً وخاصةً أنّ نشرة الناجحين باللغة الإنكليزية كانت تحمل اسمي في مقدمة أسماء الطلاب كلهم فظنّ الأهل أنّي كنت الأول على الجميع، في حين أوضحت لهم أنّ الأسماء تُنشر حسب الأحرف الأبجديّة للاسم العائلي، ومن الطبيعي أنّ اسم أبو رقبة يكون في الطليعة.

الاستعداد للصراع المسلح

عملت في عكّا مدرّساً للغة العربيّة في المدرسة الأهلية الثانويّة قرب ساحة عبّود بإدارة الأستاذ أحمد سعد الدين لبضعة أشهر فقط، كنت خلالها أمارس عملي أيضا كأمين سرّ لإتّحاد الطلاّب الفلسطينيين العرب ـ فرع عكّا، وبهذه الصفة كان لي نشاط وطني في تلك الحقبة المليئة بالمخاطر والأحداث والمظاهرات والتحصينات والمحاضرات .

وعند إنشاء اللجان القوميّة في المدن والقرى الكبيرة لإدارة الصراع على أثر قرار التقسيم وتطبيقه القريب، كنت في عكّا من الناخبين نيابة عن إتّحاد الطلاّب، وكنت أيضا من المنتخَبين كعضو في اللجنة القوميّة التي يرأسها رئيس البلديّة حسني خليفة وتضمّ الأستاذ أحمد الشقيري كعضو شرف إلى جانب الوجهاء والنافذين وممثّلي مختلف النوادي من جميع الطوائف .

وضمْن اللجنة القوميّة تشكّلت لجنة الدفاع برئاسة شرف للأستاذ أحمد الشقيري وبعضويّة موسى النجمي وحسن أبو رقبة ومحمّد عبيدو

الذين أشرفوا عليها عمليا. وأذكر أنه ضمن تلك اللجنة شاركت في جولات ميدانيّة برئاسة سليمان فضّة (أبو داوود) وعضويّة ممثّلي الأحزاب شملت ضواحي عكّا وسورها لوضع ما يمكن تسميته خططاً دفاعيّة عن المدينة. وقد استقرّ الرأي على ثلاثة خطوط دفاعية:

الأمامي منها يمتدّ من جسر النعامين ـ شرق المدينة إلى تل نابليون ثم إلى خزّان المياه (الطالع) على طريق بيروت ـ قرب قرية المنشيّة ثمّ غرباً حتّى ملعب الإنكليز قرب شاطئ البحر.

والخطّ الثاني يمتدّ من منطقة مبنى سكّة الحديد جنوب ـ شرق عكّا إلى مقبرة المسلمين شرقاً ثمّ إلى مفرق طريق بيروت ـ صفد في الوسط، وبعدها غربا حتّى مصنع الكبريت ومفرق سينما الأهلي ثم مركز البوليس على الشاطئ الغربي

والخطّ الثالث كان يستند إلى الأسوار التاريخيّة القديمة برّاً وبحراً مع تركيز خاصّ على بوّابات الأسوار الثلاثة وعلى منطقة الميناء التجاري لعكّا ومنطقة الفاخورة حيث كان الميناء العسكري القديم لها. وفي نفس الوقت تم تنظيم مجموعات مراقبة على خط الدفاع الأول كما تم تنظيم حراسة ليلية متجولة على خط الدفاع الثاني من سكان الأحياء وشباب النوادي، وافتتح مستشفى ميدان في مبنى رابطة المثقفين العرب برئاسة الدكتور بشارة الدهان من لبنان. وقد تعرض الإسرائيليون لقافلة أسلحة وذخيرة متوجهة على طريق عكا ـ حيفا وتمكنوا من إعطاب بعض آلياتها واغتيال الضابط الأردني محمد الحنيطي الذي يرأس القافلة وكان يقودها إلى حيفا التي يتسلم إدارة الدفاع عنها وقد نقل القتلى والجرحى إلى مستشفى عكا الميداني وتم قطع طريق عكا ـ حيفا نهائياً من ذلك التاريخ، كما تم تنظيم كمين قرب المقبرة الإسلامية شرق عكا وقد تعرض لمجموعة يهودية من أربعة أشخاص وقضى عليهم هناك، وتصاعدت الأخطار العسكرية حيث قصف اليهود ساحة عكا الرئيسية براجمات أوقعت الفزع وضاعفت حركة النزوح عن عكا. ولقد زاد الاهتمام بالتدريب والتسليح في هذه الفترة واجتمعت أعداد من المثقفين لهذه الغاية بقيادة السيد عدنان الشامي خريج

الجامعة الأميركية في بيروت، والمدرب اندرية عزام، وكنت احد المنظمين في هذا المجال وكلفت بأعمال أمانة السر فنظمت سجلاً خاصاً يتضمن أسماء جميع المنتسبين مقسمين إلى ستة حضائر، تحت اسم (الفارس)، وكل حضيرة بحرف من هذا الاسم. وجرى التدرب على الرماية من جهة وعلى التخابر بطريقة المورس من جهة أخرى، ثم اقترح السيد عدنان الشامي شراء السلاح من سوريا أو لبنان وتمت الموافقة وعرض الأمر على الكثيرين من أهالي عكا فسدد قسم كبير منهم المطلوب، ومنها مائة جنيه فلسطيني من والدي ثمن بندقية لي، وسافر عدنان إلى لبنان ولم يعد، ونحن ننتظره وننتظر السلاح الذي سددنا ثمنه. وقد غادرتُ عكا إلى مدرسة الضباط الفلسطينيين في قطنا قرب دمشق، ولم تصل أية أسلحة، ثم قرأت في إحدى الصحف اللبنانية أنه تم توقيف عدنان الشامي جنوب لبنان، وهو يحمل منظاراً وبوصلة وبعض الخرائط، فاتهموه بالتجسس، ولما أوضح الحقيقة ودل على الأسلحة التي يعمل على نقلها إلى عكا، وشهد لصالحه بعض القيادات الفلسطينية في لبنان وبعد فترة تحقيق طويلة تمت مصادرة الأسلحة والأعتدة وأفرج عنه بعد سقوط عكا فانتقل إلى دمشق حيث قضي بقية حياته لاجئاً فيها مع بقية أهله. وفي مطلع عام ١٩٤٨ حصل اشتباك في مصفاة بترول حيفا (الريفاينري) بين العمال العرب واليهود نتج عنه مقتل ستة من العرب بقنبلة يدوية ألقاها اليهود عليهم، فكان رد الفعل أن هاجم العرب العمال والمهندسين اليهود فقتلوا منهم حوالي أربعين شخصاً وتوقف العمل في المصفاة. ثم حدثت معركة القسطل قرب القدس واستشهد البطل عبد القادر الحسيني وأصبح ميزان القوى يميل لصالح العدو. وعند سقوط حيفا في ٢٣/٤/٤٨ نزح معظم اهلها إلى عكا مما أحدث هزة معنوية كبيرة في سكانها، وخلال ذلك كلّه كانت الأحداث تتفاعل والأخطار تتزايد بسبب قرار تقسيم فلسطين واعتزام البريطانيين الانسحاب من البلاد كلّها، وتطوّرت إلى معارك قطع طرق المواصلات في فلسطين ومهاجمة المدن والمستعمرات من قبل العرب واليهود على السواء.

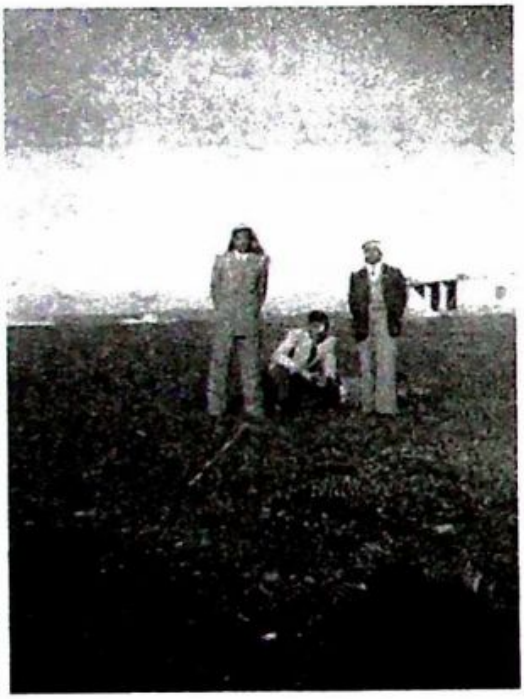

يوم الالتحاق بالجيش ـ قطنا مع الزميلين
عبد الرحيم ارشيد وإبراهيم توفيق

في هذه الفترة كانت القدس محميّة من قبل جيش الجهاد المقدّس وقرّرت جامعة الدول العربية محاربة مشروع التقسيم سياسيّاً وعسكريّاً. وكانت صحف (فلسطين) و(الدفاع) تنقل إلينا يوميّاً أخبار النشاطات السياسية الفلسطينيّة والعربيّة والدوليّة، وأخبار الاشتباكات والمناوشات العسكريّة ممّا لا يسمح المجال للإفاضة فيه.

مدرسة الضباط الفلسطينيين

وسط هذه الأجواء قرأت إعلاناً في الصحف عن إنشاء مدرسة للضبّاط الفلسطينيين في قطنا ـ قرب دمشق تابعة لجيش الإنقاذ وبقرار من الجامعة العربيّة وأنّ لجنة خاصّة ستتجوّل في مختلف المدن الفلسطينيّة لاختيار المرشّحين لهذه الدراسة، فعزمت في نفسي على الالتحاق بهذه الدراسة، بدلاً من الإلتحاق بجامعة فؤاد الأوّل (القاهرة) التي كنت قدّمت طلباً لها لدراسة الطبّ وتلقّيت الموافقة عليه، ولكن طرق المواصلات لم تسمح للجنة الفاحصة بزيارة عكّا، لذلك قرّرتُ المغادرة إلى دمشق واستحصلت على إذن خطّي من اللجنة القوميّة للمغادرة مع الأخ زهير بروم للالتحاق بالجهاد، وكانت القيادة الفلسطينيّة منعت مغادرة الفلسطينيين موطنهم إلاّ بإذن من اللجان القوميّة ولأحد أسباب ثلاثة فقط هي: الجهاد أو الدراسات العليا أو المعالجة الطبّيّة الضروريّة.

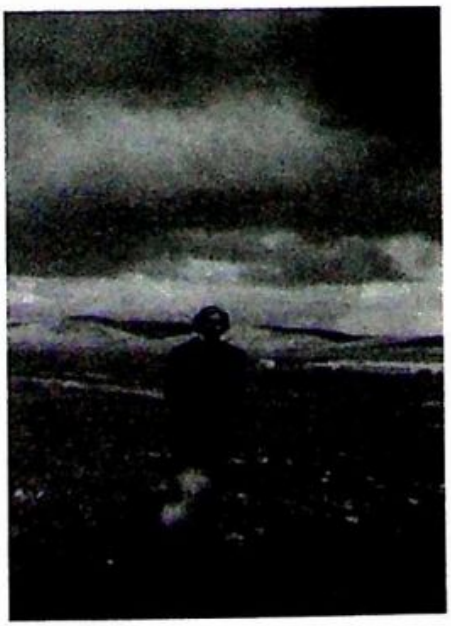

أول صورة بالملابس العسكرية

وعند وصولنا إلى دمشق اتّصلنا برئاسة الأركان قرب بوّابة الصالحية، فاستقبلنا مسئول عسكري سوري اطّلع على رغبتنا وشهاداتنا وأعلن مباشرةً موافقته على التحاقنا، مقدراً أهمّية حضورنا شخصيّاً إلى دمشق بعد أن تعذّر على اللجنة المختصّة الوصول إلى عكّا.

وفي اليوم التالي، كنّا على ظهر سيّارة شحن تحمل الفراش والبطّانيّات إلى مقرّ مدرسة الضبّاط الفلسطينيين في قطنا حيث وصلناها في نيسان ١٩٤٨ واستمرّت الدورة من ١٩٤٨/٤/٢٧ حتّى ١٩٤٨/١٢/٣٠. وقد لقيت فيها بعض معارفي القدامى ومنهم أمين نور الله وعبد الرزاق اليحيى من طلّاب عكّا، وعلي بشناق وإبراهيم توفيق وحاتم عنبتاوي ومحمود

قوات انقاذ فلسطين

الرقم ١٨٥٦

الاسم والشهرة

تاريخ ومحل الولادة ... عكا

التابعية فلسطين

الرتبة ... ضابط

الاشكال

الطول ... الأنف عادي

الشعر ... اللون ابيض

اللسان ... علامات فارقة عادي

المفتش العام

آمر المعسكر

البطاقة الخاصة بقوات انقاذ فلسطين

الضامن وصبحي الجابي من طلّاب كليّة النجاح، وعبد الرحمن مفلح ونادر الشخشير من أساتذة النجاح وغيرهم، وكان مجموعهم ٦٥ طالب ضابط من مختلف أقضية ومدن فلسطين كما يتبيّن من اللائحة الاسمية التالية والتي تتضمن اختصاصاتهم بعد التخرج.

دورة الضبّاط الفلسطينيين
قطنا ١٩٤٨

- مدير الدّورة: ألنّقيب الرّكن حازم ألخالدي
- ألمعاون: ألملازم الأوّل وجيه المدني
- المدربون: ضبّاط من مختلف الاختصاصات من الجيش العربي السوري

الاسم	المدينة	الاختصاص
١عزمي عزت نسيبة	القدس	هندسة
٢ نهاد علي نسيبة	القدس	هندسة
٣ غالب أبو السعود	القدس	مركبات
٤ موسى مغربي الحسيني	القدس	شؤون إدارية
٥ عيسى الدجاني	القدس	مشاة
٦ فريد كنعان	القدس	مركبات
٧ مصباح البديري	القدس	مشاة
٨ سعد الدّين السراج	القدس	مشاة
٩ محمود راتب الجاعوني	القدس	مشاة
١٠ أنور نيروخ	الخليل	مشاة
١١ فيصل حموري	الخليل	مشاة
١٢ حمدي الجنيدي	الخليل	مشاة
١٣ عبد المجيد عمرو	الخليل	مشاة
١٤ حسام طهبوب	الخليل	مشاة
١٥ أحمد يحيى زلوم	الخليل	مشاة
١٦ فايز جابر	الخليل	مشاة
١٧ سميح حلمي الشاهد	نابلس	مشاة
١٨ سميح جودت بهنان	نابلس	هندسة
١٩ علي مراد بشناق	نابلس	مدرعات
٢٠ صبحي الجابي	نابلس	مدرعات
٢١ محمد أبو حجلة	نابلس	مدرعات
٢٢ نادر شخشير	بيسان	شؤون إدارية

٢٣ حاتم عنبتاوي	نابلس	مشاة
٢٤ محمد الشاعر	يافا	هندسة
٢٥ سعد عزوني	يافا	مشاة
٢٦ محمد سامي أبو غزالة	يافا	مركبات
٢٧ محمد عبد القادر أبو الروس	يافا	مشاة
٢٨ حسن الصباح	يافا	مشاة
٢٩ رشيد جربوع	حيفا	مشاة
٣٠ عبد المعزّ رمضان	حيفا	مشاة
٣١ عبد الرزاق اليحيى	حيفا	مشاة
٣٢ عبد الرحمن مفلح سعد	حيفا	مشاة
٣٣ رجا جميل الحامد	حيفا	مشاة
٣٤ عبد الفتاح يونس	حيفا	مشاة
٣٥ أمين نور الله	حيفا	مشاة
٣٦ أيوب عمار	حيفا	مشاة
٣٧ بهجت عبد الأمين	حيفا	مشاة
٣٨ محمد رفعت الحلبي	حيفا	مشاة
٣٩ حسن أبو رقبة	عكّا	مشاة
٤٠ زهير رشيد بروم	عكّا	فنّي طيران
٤١ أسعد كريم نقولا	عكّا	مشاة
٤٢ عبد الكريم العمر	طولكرم	مشاة
٤٣ عقل محمود دحيلية	طولكرم	إشارة
٤٤ جواد عبد الرحيم	طولكرم	مشاة
٤٥ واصف جيوسي	طولكرم	مشاة
٤٦ طاهر دبلان	طولكرم	مدرعات
٤٧ محمد خير رستم	صفد	هندسة
٤٨ أحمد الحاج حسين	صفد	مشاة
٤٩ سمير الخطيب	صفد	مشاة
٥٠ فتحي سعد الدين	صفد	مشاة
٥١ رمزي سعد الدين	صفد	ملاحة جوية
٥٢ أسعد دبور	صفد	مشاة
٥٣ كامل أرشيد	جنين	مشاة
٥٤ عبد الرحيم أرشيد	جنين	مشاة

٥٥ إبراهيم توفيق	جنين	مشاة
٥٦ محمود علان الضامن	بيسان	مشاة
٥٧ وليد طاهر جاموس	بيسان	مشاة
٥٨ عثمان جعفر حداد	غزة	مدرعات
٥٩ بحري سكيك	غزة	مشاة
٦٠ ارسلان شكري السقا	غزة	شؤون إدارية
٦١ عبد الكريم كيالي	اللد	مشاة
٦٢ عرب محمد عرب	اللد	مشاة
٦٣ حسين حمادة	الرملة	مشاة
٦٤ عبد العزيز الوجيه	الناصرة	مشاة
٦٥ مصطفى سحتوت	طبريا	مركبات

أثناء التدريب في قطنا

خضعنا لتدريب شاقّ ومكثّف لمواجهة الأخطار المحدقة الداهمة، وخلال ذلك بدأت المدن الفلسطينيّة تتساقط في أيدي الأعداء تباعاً مثل حيفا في ١٩٤٨/٤/٢٣ ثم يافا في ١٩٤٨/٤/٢٨ وغيرها من المدن الفلسطينية، وذلك كله قبل ١٥ أيّار ١٩٤٨موعد انتهاء الانتداب البريطاني ودخول الجيوش العربيّة أرض فلسطين حسب القرارات الرسمية. ثمّ سقطت عكّا في ١٩٤٨/٥/١٨ ولم يبق للعرب إلاّ الناصرة والجليل الغربي، فثارت غضبتنا في قطنا، وقرّرنا التوقّف عن الدراسة والتدريب وطالبنا بالإلتحاق فوراً بميادين المعارك للمساهمة فيها.

فاجأ إضرابنا عن الدراسة إدارة المدرسة فسارع ألخالدي للاستنجاد بالحاجّ أمين الحسيني المتواجد آنذاك صدفة في دمشق، واصطحبه إلى قطنا، حيث رحّبنا بقدومه إحتراما بحرس شرف استقبله بتحيّة رسميّة، ثمّ رغب بالاجتماع بنا حيث تحدّث موضحاً أنّ المعارك مع العدوّ الصهيوني

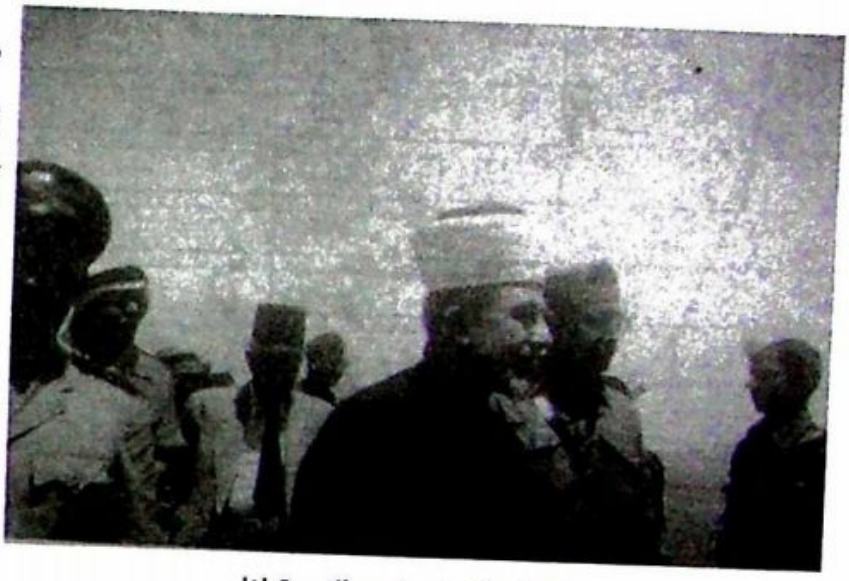

الحاج أمين يزور ثاني قطنا

ستكون طويلة، وأنّ البلاد تحتاجنا كضبّاط يقودون آلاف الجنود المتطوّعين أكثر من حاجتها إلى مجرّد جنود في الوقت الحاضر، ودعانا للعودة إلى الدراسة قياماً بالواجب الوطني المترتّب علينا واستعدادا للمعارك المقبلة، وقد اقتنعنا بكلامه وعدنا إلى الانتظام في الدراسة. وأذكر خلال الدورة أنّي ذهبت مع مجموعة من الإخوان إلى بلدة قطنا حيث قابلنا وفداً من حزب البعث برئاسة صلاح البيطار وميشيل عفلق الّذي حدّثنا عن

المناورات التدريبية للتخرج في الجليل الغربي

فلسطين والحزب، وكان توجّهنا العامّ أن لا نرتبط بأيّ حزب سوري خاصّ بل نسعى لصداقة الجميع وللحصول على تأييد الجميع لقضيّة فلسطين.

في هذه الدورة العسكرية المكثّفة كان من نصيبي أن أفوز بالدرجة الأولى وبالتالي أن ألقي كلمة المتخرّجين أمام طه باشا الهاشمي وبعض ضبّاط الجيش السوري الّذين حضروا حفل التخرّج في قطنا، وقد جاء في هذه الكلمة:

استعراض التخرج في قطنا قرب دمشق

< إنّنا ننشد الحرّية لفلسطين، ولا بدّ للحرّيّة من أن تُمهرَ بالدماء، ولن نبخل بدمائنا ثمناً. سيسقط الكثيرون منّا صرعى ولا نبالي، ما دامت أرواح الشهداء تنادينا، وروابي وطننا تدعونا، وزفرات البنات واليتامى تستنجد بنا.. >.

وبعد إلقاء الكلمة دُعيت إلى مقابلة طه باشا الهاشمي في مكتب مدير الدورة حيث منحني منظاراً حربيّاً هديّة التخرّج، مبدياً إعجابه بالكلمة الوطنيّة الّتي ألقيتها. وجرى بعد ذلك توزيعنا جميعاً على الجيش السوري وجيش الإنقاذ، وجرى تعييني في قطنا ثمّ حلب ثمّ حمص لتدريب المجنّدين لخدمة العلم. وكان فوزي بالدرجة الاولى في هذه الدورة زهرة هامة في حياتي.

إلقاء كلمة المتخرجين بحضور طه باشا الهاشمي

وبعد حلّ جيش الإنقاذ انضم إلينا زملاؤنا فيه، في حين فضّل البعض منذ التخرّج الاستقالة والالتحاق بالأردنّ وهم: أنور نيروخ وفيصل حمّوري وعبد المجيد عمرو وفايز جابر من الخليل وسعد الدين السرّاج من

مفتشية التطوع العامة

مدرسة الضباط الفلسطينيين

دمشق

الرقم «الأول»

التاريخ ٣٠ ـ ١١ ـ ١٩٤٨

شهادة النجاح في دراسة مدرسة الضباط الفلسطينيين

الاسم محمد حسين

اسم الأب توفيق الشهرة أبو رقيبة

المولد ١٩٢٩ السكن عكا

دخل مدرسة الضباط الفلسطينيين ٢٧ نيسان ١٩٤٨ وتخرج منها في ٣٠ تشرين ثاني ١٩٤٨ وخرج منها في الامتحان من موضوع الجغرافيا العسكرية والتخطيط والهندسة العسكرية والتعبئة بدرجة ممتاز وبذلك استحق رتبة مرشح أي وكيل ضابط ؟

آمر المدرسة

المفتش العام

شهادة التخرج من مدرسة الضباط الفلسطينيين

بدرجة ممتاز والمرتبة الأولى

القدس وأحمد الحاج حسين من صفد وكامل أرشيد من جنين ومحمود علان الضامن من بيسان وعبد الكريم الكيالي من رام الله وحسين حمادة من الناصرة وحاتم عنبتاوي من نابلس وحسن الصبّاح من يافا وعبد المعزّ رمضان من حيفا ومجموعهم ثلاثة عشر، والباقون وعددهم ٥٢ زميلاً منهم المهندسان عزمي نسيبة ومحمّد خير رستم الذّين مُنحا رتبة نقيب وملازم أوّل مهند س في حين منح الباقون وعددهم خمسون رتبة مرشّح ضابط ثمّ جرى ترفيعهم إلى رتبة ملازم في الجيش السوري اعتباراً من ١/ ٤/ ١٩٥٠ وخلال الخدمة استقال إبراهيم توفيق وعبد الرحيم أرشيد وأُنهيَت خدمات محمود الجاعوني وأسعد كريم نقولا، فأصبح عدد الباقين في الجيش ٤٦ زميلاً.

وخلال الوحدة احيل إلى التقاعد المبكر التعسفي ٤٢ زميلاً وبقي في الجيش اربعة من زملائنا فقط.

وليس من المناسب تفصيل ما حدث مع دورة الضبّاط الفلسطينيين

المذكورة وهي الوحيدة والأولى من نوعها آنذاك، ولكنْ لا بدّ من أن أذكر أنّ مناورات التخرّج الميدانيّة جرت في الجليل الغربي الذي كان ما يزال لوحده في أيدي العرب، وقد انتقلنا إليه عبر لبنان حيث قضينا بضعة أيّام في إجراء المناورات والتدريبات الميدانيّة التي شملت ترشيحا وقلعة جدّين وسخنين وفرّادة حيث النبع الشهير وبيت خاصّ للمندوب السامي البريطاني وغيرها من القرى. ومن تلال ترشيحا رأيت آنذاك مدينتي عكّا لآخر مرة، وتأثّرت آنذاك أبلغ التأثر وتذكّرت قول الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود أثناء زيارة الامير سعود إلى القدس قبل نكبة ١٩٤٨

المسجد الأقصى أجئت تزورُهُ؟ أمْ جئتَ من قبل الضياع تودّعهْ؟

الخدمة في الجيش السوري

بعد التخرّج تمّ توزيع أفراد الدورة برتبة مرشّح ضابط على جيش الإنقاذ والجيش السوري، وكنت من المعيّنين في الجيش السوري، حيث التحقت بالفوج العاشر في قطنا، وكانت مهمّتنا التدريب العسكري للمجنّدين إجباريّاً لخدمة العلم. وكان الجيش السوري سابقاً يتبع النظام التدريبي الفرنسي، في حين أنّنا اتبعنا في الدورة النظام الإنكليزي، لذلك فإنّنا بعد انقلاب حسني الزعيم وتبديل التدريب من النظام الفرنسي إلى النظام الإنكليزي أصبحنا متفوّقين وناجحين ويعتمد علينا في المرحلة الجديدة .

ملازم في الجيش السوري

وقد إنصرفنا إلى عملنا الجديد بكلّ همّة، على أساس أنّ الجيش السوري يتدرّب أصلاً ويتسلّح لأجل فلسطين، وأنّ علينا مسؤولياتٍ هامّة جديدة لا بد من تنفيذها بكلّ إتقان، في حين بقيت عواطفنا مشدودة الى مدن فلسطين وما يجري فيها، حيث تواردت الأنباء عن الهجوم الإسرائيلي الأخير على

الناصرة والجليل الغربي واحتلاله بأكمله وانسحاب جيش الإنقاذ والقوى الأخرى منه بشكل نهائي مع الأسف الشديد ممّا أوصل الصهاينة إلى الحدود اللبنانيّة ـ الفلسطينيّة كلها.

عائلتي في
مخيم برج البراجنة ـ لبنان

وبعد أشهر قليلة طلبت إجازة للسفر إلى لبنان للبحث عن أهلي الّذين تركتهم في عكّا، وقد وصلت بيروت وسألت عنهم فقيل لي ربّما كانوا في صيدا، فذهبت إلى صيدا فقيل لي أنّهم في برج البراجنة، وجئت إلى برج البراجنة، وأخيراً عثرت عليهم في إحدى خِيَم المخيّم وقضيت ليلتي معهم في الخيمة، وقمت بتثبيتها وحفر خنادق مياه حولها من الخارج، ثمّ نقلتهم إلى غرفة بالإيجار قرب المخيّم وعدت إلى سوريا.

نتيجة لهزيمة ١٩٤٨ فقد حصل غليان واضطراب في نفوس الشباب العرب، فتعرضت دار السفير الأميركي في دمشق ومكتب معلومات السفارة لأعمال تفجيرية، وتمت في ٦/١١/١٩٥٠ محاولة اغتيال الكولونيل ستيرلنغ مدير الاستخبارات الانكليزية في دمشق وغير ذلك مما يعتبر محاولات انتقامية من الشعب العربي ضد انجلترا واميركا المسؤولتين الرئيسيتين عن الهزيمة. كما حدثت ثورة ١٩٥٢ في مصر احتجاجاً على تقصير الأنظمة العربية في المحافظة على عروبة فلسطين، ورداً على قضية الاسلحة الفاسدة للجيش المصري في حرب فلسطين.

في تلك الفترة جرت أحداث داخليّة في لبنان حيث حصل شبه انقلاب للقوميّين السوريّين، والتجاء زعيمهم أنطون سعادة إلى سوريا ممّا أدى إلى توتّر الوضع الرسمي بين الدولتين الشقيقتين الجارتين، وقد أدّى هذا التوتّر إلى إرسال قوات سوريّة إلى الحدود اللبنانيّة، وكان لفوجنا نصيب في ذلك

حيث انتقلنا إلى منطقة ميسلون، وانتشرنا على الحدود شمالاً وجنوباً بإشراف مباشر من رئيس أركان الجيش آنذاك اللواء عبد الله عطفة، بدل أن ننتشر على جبهة القتال مع العدوّ الصهيوني، وقد كُلّفتُ مع جنودي بالإشراف على محوَر دير العشاير الموازي جنوباً لطريق دمشق ـ بيروت، ثم انتقلت للمشاركة في الاشراف على محوَر دمشق ـ بيروت الرئيسي ومقرنا في ميسلون. وكان الألم يعتصرنا لهذا الوضع الطارئ الّذي يشغلنا ويستنفذ قوانا ويشتّت جهودنا بدل الانصراف كلّيّاً إلى مقاتلة العدوّ الصهيوني، قبل أن يزيد من تثبيت أقدامه وزيادة قوّته العسكرية في فلسطين.

بعد انتهاء أزمة لبنان بفشل الثورة القوميّة السوريّة وإعدام زعيمها في لبنان بعد عمليّة غدر غير لائقة من حسني الزعيم، عادت القوّات إلى قواعدها في قطنا، وقد انتقلت بعد ذلك إلى حلب لتدريب المجنّدين الجدد فيها أيضاً في الثكنة الجنوبيّة، ثمّ صدرت تشكيلات جديدة للضبّاط في جميع قطاعات الجيش السوري، وقد نُقلتُ من مكان التدريب جنوب حلب إلى الثكنة الشمالية في حلب أيضاً وبعدها إلى الفوج الثامن عشر، وهو مختصّ بحراسة الحدود مع تركيا ومجهّز بالخيول اللازمة ممّا أتاح لي فرصة ممارسة رياضة ركوب الخيل، وقد امتدت منطقة عمل هذا الفوج من ميدان إكبس شرقاً إلى منطقة ساحل اللاذقيّة غرباً، وبعد خدمة بسيطة في اللاذقية، تمّ تعييني معاوناً لقائد الفوج المقدّم توفيق الشوفي ومركزه في حلب. وهذا التعيين زهرة حقيقية في حياتي.

وقد التحقت بعملي الجديد المتميّز والهامّ، بالنسبة لرتبتي كملازم ثانٍ آنذاك، في حين كان معظم قادة سرايا الفوج برُتَب أعلى منّي، ممّا حتّم إتّباع النظام العسكري والدبلوماسي والمتعاون لتنفيذ المصلحة العامّة على الجميع.

الاعتذار عن الجنسية السورية

حدث في هذه الفترة حدث هامّ حيث منحتنا الحكومة السوريّة الجنسية السوريّة بموجب مرسوم خاص برقم ١٣٢٧ تاريخ ١٩٥٠/٨/١٧ تقديراً للخدمات التي قدّمناها للجيش السوري والمرسوم موقّع من رئيس

الجمهوريّة هاشم الأتاسي، ولكن عندما تبلّغت في حلب منحي الجنسيّة كان المطلوب منّي تسليم جواز السفر الفلسطيني الذي أحمله. وقد عزّ عليّ كثيراً التخلّي عن جواز السفر الفلسطيني لأنّه بنظري آنذاك يعتبر تخلّياً عن الجنسيّة الفلسطينيّة العزيزة على قلبي وعن كل الوطن وحقوقنا فيه، لذلك وجدتني مندفعاً للكتابة إلى الأركان العامّة بإعتذاري عن قبول الجنسيّة السوريّة، وكانت النتيجة عقوبة ثلاثين يوماً توقيف من قِبَل الأركان العامّة مع تجميد منحي الجنسيّة السوريّة،وقد تسلمت بطاقة العقوبة حسب الأصول لأكتب عليها مطالعتي،فإستغربت أنّ سبب العقوبة هو رفضي الجنسيّة السوريّة وهذا لم يحصل بهذا الشكل، لذلك جاء في مطالعتي أنّني اعتذرت ولم أرفض، وسبب اعتذاري رغبتي بالتمسّك بجنسيّتي الفلسطينيّة وجواز سفري الفلسطيني مع احترامي التامّ للجنسيّة السوريّة،وطلبتُ إعادة النظر وإلغاء العقوبة. وفعلاً تبلّغت بعد فترة قرار إلغاء العقوبة مع سَرَيان قرار منحي الجنسية السوريّة دون أن أسلّم جواز سفري الفلسطيني، وقد انفردت بهذا الموقف دون بقيّة رفاق الدورة جميعاً.

كانت الحياة في حلب جميلة جدّاً رغم التعب النهاري في التدريب، وكان نادي الضبّاط يجمعنا مساءً كأصدقاء ورفاق قضيّة، ومن دورتنا كان هناك المهندس النقيب عزمي نسيبة والضبّاط علي بشناق وجواد عبد الرحيم وعبد الرحمن مفلح ووليد جاموس وصبحي الجابي ومحمّد الحلبي ومحمّد أبو حجلة وعرب محمد عرب وعبد الرزاق اليحيى الذي كان يقيم معي في غرفة واحدة مفروشة وغيرهم. وبشكل عام فقد كان عدد الضبّاط في الجيش كلّه محدوداً آنذاك، لهذا كان لكلّ ضابط قيمة وشأن. وكان قائد الشرطة العسكريّة فيها أكرم ديري وقائد المنطقة الشماليّة العميد عمر خان تمر وهو من الإخوة الشراكس حيث كانت فرنسا حريصة على إيجاد مجموعة ضبّاط لمساعدتها في حكم سوريا ومن مختلف الطوائف. وقد إستغرق الأمر بعض الوقت حتّى حلّ الضبّاط السوريون الجدد، وخاصّة من الطائفة السنّية عامة، في المراكز الأساسية للجيش بعد الاستغناء التدريجي عن الضبّاط الذين خدموا سابقاً بإمرة المحتلّ الفرنسي كما تضاعفت

في نادي ضباط حلب مع مجموعة من الزملاء
يتوسطنا عربي نسيبة

البعثات العسكرية والدورات في مختلف الاختصاصات.

خلال الخدمة في حلب قضيتُ في قريتَي حارم وسلقين على الحدود التركية بعض الوقت عند أحد ضبّاط فوجنا الشاعر حقّي أليافي الذي كان مسئولاً عن تلك المنطقة، ومن هناك شاهدت لواء الإسكندرون الخصب الغنيّ المسلوب، وكانت بُحَيرة العمق الإسكندرونية قريبة منّا داخل اللواء، وكانت مصدراً كبيراً للأسماك لكلّ تلك المنطقة الحدوديّة، وقد حزنت آنذاك مجدّداً لأنّ فلسطين العزيزة قد أصبحت سليبة كلواء الإسكندرون، ولا يعلم أحد إلاّ الله متى سيعود كلّ منهما إلى الأحضان العربيّة.

وأثناء وجودي في حلب، راجعتُ أمجاد صلاح الدين حين زرت قلعته فيها، واستذكرت سيف الدولة الحمَداني والمتنبّي ومفاخرهما في عاصمة الشمال السوري. وكان من حق الضبّاط آنذاك عضويّة الشرف في مختلف النوادي الاهلية الخاصّة ممّا اعطانا المزيد من الراحة والرفاهية والأنس. وخلال تواجدنا في حلب وفي ١٩٥١/١/٢٠ حدث انفجار كبير في دار القنصلية الإنكليزية، علماً أن إنكلترا اعتبرت المسئولة الأساسية عن إنشاء الكيان الإسرائيلي.

معارك الحمّه وعرب الشمالنة وتلّ النيرب

في أواخر نيسان ١٩٥١ أعلن العدو قراره بتحويل نهر الأردن إلى داخل فلسطين المحتلة والى النقب، واختار منطقة عرب الشمالنة شمال غرب بحيرة طبريا لهذه العملية فتصدى له الأهالي حيث إنها كانت من المناطق المجردة من السلاح ولكن أهلها باقون فيها، ومع اشتداد الضغط

اليهودي العسكري تقدم الجيش السوري لحماية المنطقة وأدخل قوات نظامية بملابس مدنية وعلى رأسهم الضباط أسعد عمير الذي استشهد والضابطان الفلسطينيان واصف جيوسي وجواد عبد الرحيم حيث قاتلا ببسالة لمدة أسبوع كامل تحت قصف الطيران والمدفعية والدبابات الإسرائيلية، إلى أن تدخل مجلس الأمن وقرر مطالبة الإسرائيليين بوقف أعمال التحويل بعد أن تكبد العدو خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات لا تقل عن ٢٠٠ قتيل وجريح مقابل تسعة شهداء و٣٤ جريحاً في الصفوف العربية، وقد حدثني عن تفاصيل هذه المعركة زميلي الضابط واصف جيوسي الذي جُرح في المعركة ورفض مغادرة موقعه فيها إلا مرغماً حيث عولج وأصر على العودة فوراً إلى جنوده، كما حدثني عنها زميلي الضابط جواد عبد الرحيم ابن القائد الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد حيث استبسل في المعركة تحت القصف طيلة سبعة أيام حتى تمكنوا من إيقاف الهجوم المعادي وإفشاله، وكانت هذه المعركة أهم معركة مع العدو تجري بعد حرب ١٩٤٨ وقد قررت القيادة تكريم المقاتلين بالأوسمة العسكرية المناسبة. وتحوي مذكرات العقيد امين ابو عساف تفاصيل ذلك.

جواد عبد الرحيم من ابطال معركة عرب الشمالية

واصف جيوسي من ابطال معركة عرب الشمالية

بعد معركة عرب الشمالنة بفترة بسيطة حدثت ثاني معركة حقيقية هامة على حدود فلسطين المحتلة، حين حاول رتل من المدرعات العدوة التقدم من منطقة سمَخ لإحتلال قطاع الحمّة جنوب غرب سوريا، المشمول بحماية عسكرية من حرس محلي يقودهم الزميل رشيد جربوع المفرز من

الجيش السوري لهذه المهمة بصفته مدنياً، وقد تصدى هذا القائد للقوة المهاجمة، وكان يَعرف جيداً اللغة العبرية، فأمر بفتح النار دون الرجوع إلى قيادة القنيطرة حيث لم يسمح الوقت بذلك وتمكن من إصابة عدة مصفحات وإيقاع عدد من القتلى والجرحى، مما أجبر القوة المهاجمة على التقهقر من منطقة مخفر(الحاصل) الذي وصلته، وقد اشتركت المخافر السورية بهذا العمل العسكري، وحققت كلها نصراً كبيراً على العدو حفظ منطقة الحمّة عربية حتى حرب ١٩٦٧. ومما يذكر أن رشيد جربوع توقع آنذاك غارة انتقامية يهودية فطلب من السلطات العسكرية والمدنية إخلاء الحمّة فوراً من جميع الزائرين فتم ذلك، وعندما أغار الطيران الإسرائيلي في اليوم التالي لم يحدث أية إصابة تُذكر بفعل العمل الوقائي. وقد منحت الحكومة الوسام العسكري للأخ رشيد، كما منحته شركة استثمار الحمّة عدداً من أسهمها مع كلمة تقدير لحكمته وشجاعته وتصديه الحاسم للعدو .

بطل الحمة
رشيد جربوع

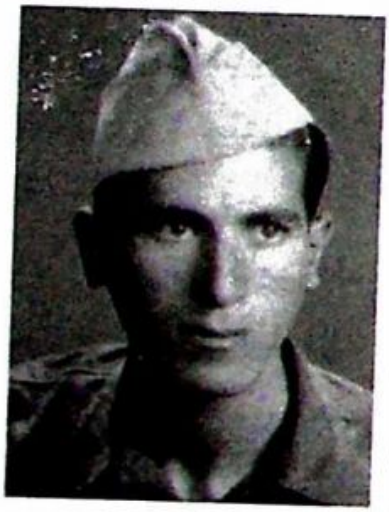

بطل خان ارينبه
إبراهيم توفيق

وقد حدث اشتباك ثالث في نفس تلك الفترة وضمن مقاومة خطط الاعداء للسيطرة على المناطق المجردة من السلاح، حيث حاول الاسرائيليون التمدد قرب منطقة تل النيرب، فأصدر الزميل ابراهيم توفيق اوامره لجميع المخافر في منطقة الحمة التي كان يقودها للتصدي لآليات العدو ومعداته وقد تم ذلك واضطر الاسرائيليون الى الانكفاء والتوقف عن تلك المحاولات لفترة من الزمن.

واسجل ان هذا التصدي وامثاله كان بمبادرة خاصة من الزملاء المتواجدين في مراكز القيادة في تلك المناطق، وانه كانت توجه اليهم احياناً ملاحظات بسبب عدم استشارة القيادات الاعلى واخذ موافقتها قبل الاشتباك.

الخدمة في المنطقة الوسطى

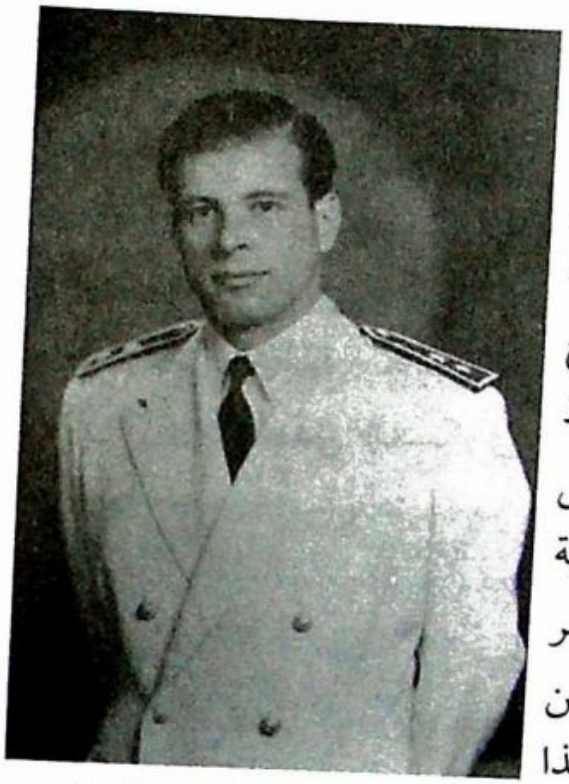

ملازم أول باللباس الرسمي الصيفي

عندما تطوّر التعاون السوري مع الإتّحاد السوفييتي في القضايا العسكرية والتسليح، قرّرت قيادة الجيش إنشاء فوج نموذجي لأوّل مرّة يكون ملاكه من الضبّاط كاملاً، ويكون مجهّزاً بوسائل النقل الكاملة، كتجربة لتنفيذها مستقبلاً على بقيّة أفواج الجيش. وقد صدرت الأوامر العسكريّة بإنشائه في حمص - ثكنة خالد بن الوليد - وشملتني الأوامر للانتقال إلى هذا الفوج النموذجي لوحدي من بين جميع زملاء دورتي كآمر فصيلة في سريّة المرافقة (الأسلحة الثقيلة) برئاسة الضابط جورج زينيّة، أمّا قائد الفوج فكان المقدّم مارين وهو إسكندروني الأصل، ومعروف بتشدّده العسكري وقسوته الظاهرة، في حين يحمل وجداناً سليماً وقلباً طيباً. وقد اكتمل ملاك الفوج من الضباط والأسلحة والآليات وكان موضع عناية خاصة من القيادة.

ومن ذكرياتي أنّ قائد المنطقة الوسطي آنذاك المقدم هشام سمان نظم محاضرات دورية خطية وشفهية للضباط، وقد ألقيت محاضرة عن الصهيونية بحضور جميع ضباط المنطقة، وكانت ارتجالية، ولقيت تقديراً كبيراً حدثني عنه الصديق الضابط عبد الباسط منجد بالمقارنة مع محاضرة ضابط آخر عن إحدى معارك جيش الإنقاذ.

وأذكر أنه تقرر في تلك الفترة أيضاً إنشاء كلية ضباط الاحتياط في نفس ثكنة خالد بن الوليد بحمص بقيادة الضابط أكرم ديري ثم هشام العظم، لتخرج الجامعيين كضباط احتياط للجيش ضمن نظام خدمة العلم العامة.

دورة الكلية العسكرية في حمص

تابعنا العمل في الفوج النموذجي بشكلٍ جيد، وتمت ترقية دورتنا إلى رتبة ملازم أول اعتباراً من ١٩٥٣/٤/١. ثم قررت الأركان العامة زمن رئاسة جمهورية الشيشكلي تنظيم فترة تنظيمية تدريبية تكميلية خاصة لنا نحن أفراد دورة الضباط الفلسطينيين حتى ننال شهادة الكلية العسكرية السورية في حمص، ممّا يسوّي أوضاعنا العسكرية نهائياً في الجيش ويُتيح لنا في المستقبل الترقية إلى مرتبة الضباط القادة من رائد فما فوق، وعين المقدم اليان مارين مديراً لهذه الدورة يعاونه الضابطان عواد باغ وماجد ماميش وغيرهم، وعدنا في هذه الدورة لوضعية الجنود الأغرار، فخلعنا رتبنا العسكرية وحملنا البنادق وارتدينا ملابس الجنود العادية لممارسة التدريب الجديد من نقطة الصفر داخل ثكنة خالد ابن الوليد وخارجها على طريق حمص - دمشق، أو طريق حمص - طرابلس وكذلك داخل الكلية العسكرية الرسمية حيث الدروس الرياضية يقوم بها الضابط الصديق عبد الباسط منجد.

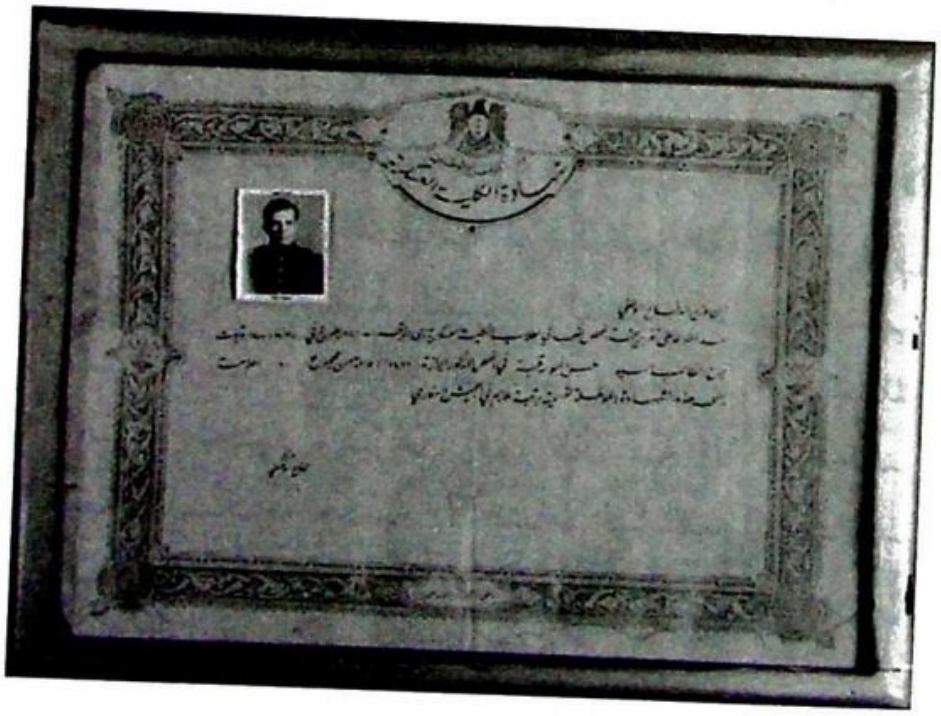

شهادة الكلية العسكرية حمص

وفي نهاية الدورة التدريبية شكلت الأركان العامة لجنة فاحصة من ضباط الجيش السوري، وكانت النتيجة فوزي أيضاً بالدرجة الأولى، مما رفع معنوياتي كثيراً. وعدنا بعد انتهاء الدورة إلى مواقعنا الأصلية وأصبحت

قائداً للسرية الثقيلة في الفوج النموذجي في نفس ثكنة حمص، وابتدأت فترة جديدة من حياتي العسكرية. وكانت نتيجتي في هذه الدورة زهرة جديدة في حياتي.

في هذه الفترة تعود بي الذاكرة إلى المناورات التدريبية العديدة التي نفذتها قطعات حمص على طريقها المؤدي إلى دمشق أو على طريقها المؤدي إلى طرابلس، وفي منطقة مصياف والنبك وقد شارك في الأعداد لتلك المناورات ضباط من قيادة الجيش وأشرفوا على قيادتها وتنفيذها مثل الزعيم شوكت شقير والعقيد عدنان مالكي والمقدم هشام السمان والمقدم نبيه الصباغ والعقيد محمود شوكت وأحد كبار الخبراء العسكريين الألمان وكان يشارك فيها ضباط الكلية العسكرية وضباط كلية الاحتياط.

إن بعض أحداث تلك المناورات الخاصة تظل في الذاكرة الإنسانية لا يمكن تجاهلها، منها تمركز القوات في مصياف في الخيم العسكرية التي أقمناها على عجل، وعندما قام المقدم نبيه الصباغ بالتفتيش عليها أعجب جداً بمخيم سريتي من حيث الترتيب والنظافة الداخلية والخارجية ومشابك الأسلحة ولوازم تنظيفها وهندام الجنود وغيرها، فما كان منه إلا أن أحضر الضباط المدربين في الكلية العسكرية وكلية الاحتياط ليشاهدوا إنجازات سريتي في المخيم، وطلب منهم جميعاً الإقتداء بها. وكان ذلك زهرة أخرى في حياتي.

وفي مناورات تلكلخ على طريق حمص ـ طرابلس، أذكر تكليف بعض السرايا بعمل نقاط استناد دفاعية دائرية على حسب العقيدة العسكرية الروسية الجديدة التي كانت موضع التدريب والتنفيذ آنذاك. وقد إشتدَّت المنافسة بين سريتي وسرية الزميل وليد جاموس على يمين الطريق وعلى يساره، ولكن اللجنة التحكيمية أعطتني الدرجة الأولى. وقد حضر الاجتماع النهائي ألتقييمي لتلك المناورات رئيس الأركان العامة آنذاك الزعيم شوكت شقير، حيث ألقي كلمة توجيهية عامة قال فيها أمام الجميع أن سرية (الرئيس) حسن أبو رقبة نالت الأفضلية الأولى في التقدير. وقد جاءت

رتبتي كرئيس بكلمته أكثر من الواقع حيث كنت برتبة ملازم أول، ولو كان الناطق بذلك رئيس الجمهورية لتمسكت بالترفيع النظري الطاريء ولم أتنازل عنه. وتلك زهرة جديدة.

وعندما حدثت الإضطرابات في جبل الدروز انتقل فوجنا بقيادة المقدم ممدوح برافي إلى قطنا ثم إلى ا لسويداء حيث تجمعت قطعات كثيرة من الجيش لمواجهة الإضطرابات الدرزية المعادية لحكم الشيشكلي آنذاك. وأذكر أنّنا تمركزنا في ثكنة السويداء وكانت قطعات مصفحة أخرى تتمركز في قلعة السويداء، وقد جرى تكليف كتيبتنا بجولات ودوريات مؤلّلة مسلحة على بعض القرى والمناطق جنوب السويدا، دون أن نتدخل بأي اشتباك إطلاقاً، إلى أن حدث نداء العصيان في حلب من مجموعة ضباط، وأعلن مصطفى حمدون مطالبة الشيشكلي بالتنازل عن السلطة ورئاسة الجمهورية ومغادرة البلاد فوراً وذلك بتاريخ ٢٥/ ٢/ ١٩٥٤.

عند ذلك حدث ارتباك في معظم القطعات وكانت القوات المؤيدة لبقاء الشيشكلي كبيرة، ومنها كتيبتنا بمعظمها، التي تجهل أي شيء عن الانقلابيين الجدد، وبنفس الوقت كنا نرفض فكرة أي اشتباك مسلح بين قطعات الجيش السوري نفسها، وانتهى الأمر بتنازل الشيشكلي ومغادرة البلاد مما أعاد الحياة الدستورية إلى سوريا، وتسلمت إدارة البلاد قيادات سياسية حزبية معروفة فدعي هاشم الأتاسي لرئاسة الجمهورية وناظم القدسي لرئاسة المجلس النيابي، وتشكلت وزارة إئتلافية ضمت بعض الشخصيات البعثية والاشتراكية وتقرر إجراء انتخابات عامة نيابية جديدة في البلاد لتقرير مستقبل الوطن.

وقد عادت كتيبتنا إلى قطنا بعد أن أعيد توزيع مختلف القطعات التي كانت متواجدة في محافظة السويداء، ثم عدنا إلى حمص ثانيةً .

وقد شهدت إقامتي الطويلة في حمص حوادث هامة عديدة تشمل انتقال أهلي من بيروت للسكن في حمص، حيث قمت بشراء اللوازم

الأولية للبيت الجديد بالتقسيط المريح وبمساعدة كريمة من أخ لا أنساه هو السيد إبراهيم رشيد الأتاسي، كما تشمل ما حدث سابقاً من انقلابات الشيشكلي والحناوي في سنة ١٩٤٩، وبدأ الخلافات السياسية الداخلية بين الحوراني والشيشكلي. وقد حدث أن كلفت مع قطعات أخرى بتأديب بعض الفلاحين الحمويين الموالين للحوراني، وقد أزعجتني جداً معاملة الضابط كامل رضا لقيادات هؤلاء الفلاحين وإقدامه على ضربهم وقص بعض شواربهم وتعمد إهانتهم، وانكفأت عندها إلى خيمتي حزيناً محتجاً أرفض المشاركة في هذا الأسلوب تجاه أبناء الفلاحين من المواطنين السوريين. وأذكر أيضاً تطور هذا الخلاف بين الإقطاعيين والاشتراكيين إلى حد الاصطدام المسلح بين واصل الحوراني أخ أكرم الحوراني وبين ابن أخته غالب الشيشكلي في حماة مما أدى إلى مقتل غالب فوراً وإصابة واصل وإدخاله مستشفى حلب للمعالجة من إصابته البالغة.

مع العائلة في بيت حمص بعد مخيم برج البراجنة

استدعاني قائد المنطقة آنذاك العقيد محمود شوكت مساءً وكلفني بالانتقال مع سريتي في نفس ليلة الاشتباك المسلح إلى حما ة للمساعدة على توطيد الأمن ومنع التقاتل وللإشراف على تشييع جثمان المرحوم غالب دون الاصطدام مع الفريق الآخر. وبالفعل انتقلت ليلاً مع سريتي الثقيلة المعززة إلى ثكنة حماة حيث أجريت بعض الاتصالات بأجهزة الأمن والحكومة للاتفاق على موعد وطريق الجنازة، وأشرفت في اليوم التالي

على مراسم التشييع مع عناصري وعناصر الأمن ودورياتنا التي أشرفت بقوة على الجنازة، وأمكن إنهاء التشييع بدون أي حادث أو صدام رغم أن المشيعين الشيشكليّين خرجوا عن الطريق المرسوم وتوجهوا للحي السكني للحورانيين بشكل استفزازي، مما جعلني وقسم من الدوريات المحمولة نرافقهم فوراً ونطوقهم باستمرار ونمنع أي اشتباك مسلح، حتى أمكن إعادة الجنازة إلى طريق المدفن. وبقينا متخوفين من ردود الفعل المحتملة، فطلبت من قيادة المنطقة الوسطى تعزيز قوتي بسرية أخرى فالتحق بي الزميل وليد جاموس مع سريته، إلى أن جاء الخبر من حلب بوفاة المرحوم واصل حوراني، وكلفنا أيضاً بتشييع الجنازة بنفس الترتيبات والإحتياطات السابقة، وقد نجحنا في تجنب أي صدام جديد، وخاصة لشعور كل من الفريقين آنذاك بالتعادل مع خصمه، مع الأسف الشديد. واذكر هنا أنّ القيادة أوفدت إلى حماة أيضاً العقيد سليمان ناجي للإشراف العسكري على الوضع في حماة بعد انتهاء عمليات الدفن، وكذلك للإشراف على الانتخابات النيابية التي قرر الشيشكلي إجراءها آنذاك. توزعت قطاعات عديدة من الجيش على المناطق الريفية الوسطى للإشراف على الانتخابات وتأمين الأمن اللازم لها، وقامت سريتي، وكان مقرها ما زال في حماة بدورها في الكثير من القرى اذكر منها القرية الجميلة(محردة) وغيرها، وكانت القيادات الأعلى (العقيد سليمان ناجي وغيره) هي المهتمة بترتيب الإنتخابات والإتصال بالمرشحين وربما التدخل بالنتائج، ولكن دورنا الخاص اقتصر على تأمين الأمن ومنع أية تصادمات أو إشتباكات بين الفرقاء المتخاصمين، وكانت النتيجة العامة للانتخابات مؤيدة للشيشكلي كما هو المتوقع في مثل هذه الأجواء والمداخلات.

من الذكريات التي لا تنسى في هذه الفترة مجيء الرئيس أمين الحافظ إلى ثكنة حماة التي أتولى قيادتها، وهو يحمل بيده عقوبة توقيف بالثكنة لمدة أسبوعين كما أذكر موقعةً من الشيشكلي الذي كان غاضباً على مواقف وتصريحات أمين الحافظ، وقد استقبلته وأعطيته غرفتي الخاصة

وكنت برتبة ملازم أول فقط في تلك الفترة وقدمت لهُ ما يطلبه، وابتدأت صداقة شخصية قوية، حيث كان أبو عبدو شجاعاً وصريحاً ومحباً للفقراء، وكان وطنياً قومياً غيوراً، وقد التزم بإجراءات التوقيف تماماً كما اتفقنا، لتجنب الإحراج لأي منا. وكانت للضباط آنذاك حصانة ضد التسريح أو الاحالة المبكرة للتقاعد إلا بقرار قضائي بتهمة الخيانة العظمى او الفساد.

بعد إنتهاء التخوفات والإنتخابات عدنا إلى حمص من جديد، لاستئناف التدريب، وكانت علاقتي بقائد المنطقة العقيد محمود شوكت قد تحسنت، فعينني ضابط رياضة للواء، فاصبحت أتولى الدرس الرياضي الصباحي لقطعات اللواء المجتمعة في ثكنة خالد بن الوليد، حيث كان صوتي جهورياً مناسباً، من المنصة العالية المقامة خصيصاً لذلك، كما قمت بتنظيم مباريات كرة قدم بين مختلف القطعات العسكرية وبعض أندية حمص، ونظمت المباراة النهائية بحضور قائد المنطقة حيث قد م بنفسه الكأس للفريق الفائز. كما قمت بإنشاء الملعب الرياضي الخماسي الدولي في ثكنة خالد بن الوليد مع الضابط عبد المولى الحجة وذلك كله من الأعمدة الخشبية ومنحتني رئاسة الأركان ثناءً خاصاً لذلك. واعتبرت ذلك زهرة في حياتي .

مع مجموعة من الزملاء في نادي ضباط حمص

كما كلفني العقيد شوكت برئاسة لجنة نادي ضباط صف المنطقة الوسطى، فنظمت وجبات عشاء أو غذاء أسبوعية إجماعية إجبارية بأسعار مخفضة يحضرها جميع ضباط صف القطاعات للتعارف وزيادة أواصر المحبة، كما تم اعداد نادٍ جديد لهم بتجهيزات متقدمة، وقد حضر حفل افتتاح هذا النادي رئيس الأركان الزعيم شوكت

شقير، كما أجريت إتفاقاً مع أصحاب دور السينما في حمص لتخصيص حفلة الساعة العاشرة صباح كل جمعة لضباط الصف وعائلاتهم مجاناً لتأمين بعض الترفيه الاجتماعي لهم. وفيما بعد كلفت بقيادة دورة عُرَفاء في المنطقة الوسطى، حيث حرصت على عدم اقتصارها على التدريب العسكري، بل نظمت زيارات أسبوعية تقريبا لمختلف معالم حمص وجوارها، ولمختلف المصانع فيها، حيث استقبلنا أصحاب هذه المصانع بكل حفاوة، وكنت ألقي كلمة في كل من هذه المناسبات لتوضيح أهمية الصناعة في الوطن وضرورة تشجيعها وحمايتها لأنها تغذي الميزانية بالموارد المالية التي تنفق منها على الجيش، وبالتالي يقوم الجيش بحماية الوطن والشعب وهذه المصانع والمؤسسات. وكان هذا التقليد جديداً في الجيش السوري حسب ما أعرف، وهو من جملة الإجراءات غير المسبوقة التي افتخر بأني قمت بها، وتشكل باقة أزهار في حياتي العسكرية.

مع الزعيم شوكت شقير، والعقيد محمود شوكت
في افتتاح نادي ضباط الصف في حمص

أما سبب الخلاف الذي أشرت إليه سابقاً مع العقيد شوكت فيعود إلى فترة سابقة حيث نقل أحد الضباط عن لساني اتهاماً لمن قام بالانقلاب على الشيشكلي أن ذلك تم بناءً على رشوات من دولة أجنبية، وكان ذلك يمس مباشرةً العقيد محمود شوكت مما جعله يجمع ضباط فوجي جميعا ويسألني أمامهم عن هذه الرواية فأكدت لهُ أني ذكرت ذلك فعلاً بناءً على ما سمعته من العديدين والإذاعات وبعض الصحف، فغضب وأمر بنقلي فوراً الى حماة كعقوبة، ولما أجبته بأن هذه العقوبة لا تنفي ما تحدثت به، تدخل قائد

فوجي ممدوح برافي وبعض الضباط مطالبين بإلغاء العقوبة منوهين بأعمالي، فاستجاب لهم وألغى عقوبة النقل وتحسنت العلاقات بعد ذلك كثيراً فيما بيننا، كما ذكرت أعلاه .

خلاف حول شهادة الكلية العسكرية - حمص

نظمت قيادة الجيش دورة تكميلية للضباط الفلسطينيين في حمص من١٩٥٣/٣/١ حتى ١٩٥٣/١١/٣٠، لإعطائهم الشهادة الرسمية ودعي للدورة جميع الزملاء الضباط من الحائزين أصلاً على الشهادة الثانوية (متريكيولشن - بكالوريا) أو الحائزين على شهادة الصف الرابع الثانوي في فلسطين، ولكن بعد تغيير القيادتين السياسية والعسكرية في البلاد بعد مغادرة الشيشكلي، انتهت دورتنا العسكرية في حمص، فصدرت عن الأركان العامة الجديدة قرارات منح شهادة الكلية العسكرية بحمص لأفراد الدورة الذين يحملون شهادة معادلة للبكالوريا على الأقل وأن يكونوا من الناجحين في امتحانات حمص. وقد فزت بالدرجة الاولى في هذه الدورة كزهرة جديدة في حياتي.

اما تلك القرارات فتعني عدم منح شهادة الكلية العسكرية لعدد من إخواني الذين التحقوا بدورة قطنا سابقاً بشهادة الرابع الثانوي الفلسطينية إذ تعذر عليهم تقديم الإمتحانات الحكومية بسبب الأحوال الأمنية في فلسطين سنة ١٩٤٨، علما أن الجميع اتبعوا دورة حمص على أساس تسوية أوضاعهم نهائياً، وقبلوا الالتحاق بالدورة كتلاميذ ضباط لتحقيق هذه الغاية، وإلا كان من الأفضل أن تقتصر تلك الدورة على حملة المتريكيولشن أو ما يعادلها فقط.

المهم أني غضبت كثيراً من هذا الإجراء واعتبرته موقفاً خاصا من القيادة العسكرية والسياسية الجديدة تجاه دورتنا، وربما لاعتقاد بعض هذه القيادة أننا كنا نحوز على رضى الشيشكلي ومؤيدين له، علماً أننا لا نتدخل في الشؤون الداخلية وننفذ واجباتنا العسكرية والوطنية لنحوز على رضى الجميع. وقد أدى بي التفكير إلى ضرورة الدفاع عن حقوق بقية أفراد

الدورة، لذلك قررت الاعتذار عن قبول شهادة الكلية العسكرية، وقد شاورت معظم الآخرين طبعاً فلم يشاركني الاعتذار إلأ الزميل وليد جاموس. وأرسل كل منا كتاباً رسمياً إلى الأركان عن طريق التسلسل بهذا الاعتذار، فكانت ردة الفعل عقوبة ثلاثين يوم توقيف شديد في البيت لكل منا مع حرماننا من شهادة الكلية.

وبالفعل نفذت العقوبة في بيتنا في حمص، ولكن بعد بضعة أيام فوجئت بسيارات شرطة عسكرية تقف أمام باب المنزل وتبين أن أكرم ديري قائد شرطة الجيش في دمشق يريد زيارتي فاستقبلته ونحن على معرفة سابقة، وتبين أنه يريد معرفة أسباب اعتذاري عن قبول شهادة الكلية العسكرية وتسوية الموضوع، فشرحت له الظلم اللاحق برفاق دورتي بعد أن اتبعوا الدورة بكاملها وألمحت إليه أننا غير منحازين لأي فريق في الصراع السوري الداخلي، ولا يجوز اعتبارنا مثلاً من أنصار الشيشكلي فيأتي العقيد المالكي ليعاقبنا، فنحن نحترم الجميع ونريد محبة الجميع، وأقترح رفع الظلم عن الإخوان ولما سألني عن اقتراحاتي الخاصة بذلك طالبت بإجرائين:

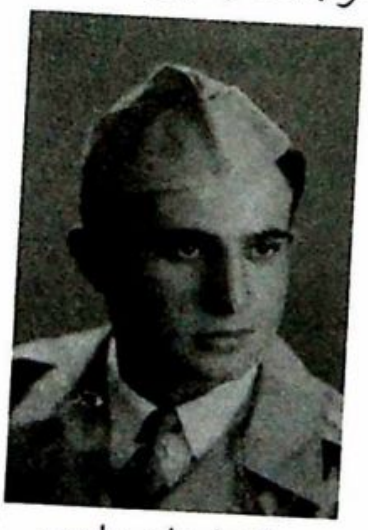

الزميل وليد جاموس
الذي شاركني في الاعتذار
انتصاراً للزملاء

- الأول خاص بشهادة (المتريكيولشن - البكالوريا) بحيث يعطى الزملاء مهلة سنتين لتقديم امتحان البكالوريا السورية فمن ينجح منهم يستحق شهادة الكلية العسكرية ما دام ناجحاً في امتحاناتها.

- الثاني خاص بشخصٍ واحد أعتبر راسباً في الدورة وهو صديقكم الزميل رشيد جربوع حاملِ الوسام الحربي السوري لبطولته في معركة الحمة المشهورة، وسبب إعتباره راسباً هو إحجامه عن تقديم امتحان أسلحة ثقيلة أمام فهد الشاعر الذي كان أقل منا في التراتبية العسكرية، وهذا بالامكان معالجته بتأليف لجنة جديدة لامتحان الأسلحة الثقيلة فيتقدم

رشيد منها ويحقق النجاح وبالتالي يستحق الشهادة العسكرية.

في استعراض عسكري في أهم شوارع حمص

غادر أكرم ديري المنزل وبعد بضعة أيام تلقيت تبليغا رسمياً لأسافر إلى دمشق فوراً لمقابلته، فاصطحبني لزيارة العقيد المالكي في مكتبه، حيث أعدت عليه اقتراحاتي، وكان بادي العبوس والجدية، وأمامه ملف كبير خاص بي، فقال: أنت لك سوابق في رفض القرارات السورية الصادرة لصالحكم وخاصة أنه سبق لك ورفضت قبول الجنسية السورية وعوقبت على ذلك، فأجبته بأني لم أرفض أي قرار، أما بخصوص الجنسية السورية فإنني اعتذرت عن قبولها ولم أرفضها فهي شرف كبير لي، وقد بينت أسباب اعتذاري تمسكاً مني بالجنسية الفلسطينية إلى جانب السورية، وأخذت قيادة الجيش بوجهة نظري وألغت العقوبة في حينه، والعودة عن الخطأ يا سيدي العقيد فضيلة، عندها ابتسم قليلاً ولأول مرة وسمح لي بالجلوس بعد الوقفة العسكرية المتعبة القاسية، ولما شرحت له باختصار وجهة نظري في مؤازرة حقوق أفراد دورتي، وكان أكرم ديري قد أوضحها له بالتفصيل، أبلغني أنه سيدرس الأمر ووعد خيراً. وبالفعل خلال أقل من شهر من تلك المقابلة صدرت قرارات بشأن تقدم الضباط الفلسطينيين لامتحان البكالوريا السورية خلال سنتين، وكذلك شكلت لجنة أسلحة ثقيلة للأخ رشيد ونجح في الإمتحانات فحاز على شهادة الكلية، وقد تقدم بقية الإخوان خلال السنتين إلى شهادة البكالوريا ونجحوا فيها جميعاً فنالوا شهادة الكلية وتقلد بعضهم فيما بعد مناصب عالية في الجيش

السوري ثم جيش التحرير الفلسطيني مثل مصباح البديري وعثمان الحداد وعبد العزيز الوجيه وسمير الخطيب وجواد عبد الرحيم وسميح الشاهد وحسام طهبوب وبهجت عبد الأمين وغيرهم. ومما يذكر أنه تأخر منح شهادة الكلية العسكرية لي وللأخ وليد حتى نهاية سنة ١٩٥٧.

الانتقال الى هضبة الجولان

بعد فترة انتقلنا إلى الجبهة في هضبة الجولان وكانت كتيبتنا بقيادة عبد الكريم عابد وهو من الضباط المتمتعين بأخلاق عالية وحضور محبب وكفاءة عسكرية، حيث تمركزنا في حرش مسعدة كاحتياط للقوات المتمركزة في خط الدفاع الأول في القطاع الشمالي.

ومما يذكر ان هذه المنطقة شديدة البرودة، وقد هطلت ثلوج كثيرة أغلقت طريق المواصلات الوحيد بيننا وبين القنيطرة، مما جعل من المتعذر إمدادنا بالغذاء والوقود لعدة أيام فلجأت ضمن سريتي إلى عمل مفحمة من الأغصان المناسبة، وأمنت التدفئة لجنودي وجيرانهم من بعض القطعات، وقد قامت مراقبة الأحراش بعد جلاء العاصفة بالشكوى إلى قيادة اللواء من قطع بعض أشجار الحرش ففُرضَت بحقي عقوبة كبيرة، وكتبت تعليقي على العقوبة بأني غير مذنب لأن واجباتي تجاه أرواح جنودي أهم من واجباتي تجاه أغصان الأشجار واضطررت للسماح لجنودي بجمعها والاستعانة بها للتدفئة، وقلت في المطالعة أني أحترم التحريج جداً وأعرف فائدته، ولكن الظروف هي التي

أمام خيمة الإقامة في الجولان مع عبد الجبار حلاق وفهمي داوود من ضباط كتيبتي

في أحد وديان الجولان

فرضت علي ذلك الإجراء، وربما لو تكررت نفس الظروف لاضطررت لتكرار ذلك الإجراء. ومن حسن الحظ أن رئاسة الأركان أخذت قراراً بإلغاء عقوبة قيادة اللواء، بعد ان اقتنعت بوجهة نظري.

في هذه الفترة وردني خبر من بيروت بأن عمي أبو سعيد موقوف مع عدة أشخاص سياسيين، وأن التهمة الموجهة لقسم منهم هي التعامل مع العدو الصهيوني، والجميع يعرف تاريخ عمي وصلابته الوطنية التي جعلت الإنكليز ينفونه من فلسطين إلى لبنان منذ ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ حتى الحرب العالمية الثانية. المهم أني أخذت إجازة وسافرت إلى بيروت، وبتوصية خطية من قائدي عبد الكريم العابد وقابلت رئيس المخابرات العسكرية اللبنانية فرنسوا جنادري فسمح لي بزيارة عمي في سجن الرمل، وكان كعادته شديد الإعتداد بنفسه وبتاريخه وبوطنيته. وبعد فترة جرت المحاكمة أمام المحكمة العسكرية اللبنانية، وقد بلغوني فيما بعد بعض تفاصيلها، حيث أجاب عمي عندما سأله القاضي عن اسمه وعمله فقال: أنا أبو سعيد خيال الحصان وكل هذه الاتهامات باطلة ولا يليق أن تلصق بي، وقد تقدم فوراً للشهادة لصالح عمي آنذاك العديدون ومنهم السياسي اللبناني الكبير النائب منير أبو فاضل الذي سبق أن عمل في الأمن العام الإنكليزي في فلسطين ثم في جيش الجهاد المقدس، فقد تطوع للشهادة ليقول أمام المحكمة أن هذه التهمة لا يجوز ولا يليق أن توجه لأبو سعيد فقد عرفته مناضلاً صلباً وكانت الأوامر التي تصلني والتي أصدرتها القيادة الإنكليزية تطلب ملاحقته ومراقبته والتضييق عليه حتى نفيه من فلسطين بسبب مواقفه الوطنية تجاه الإنكليز واليهود على السواء. وكانت نتيجة المحاكمة البراءة والحمدُ لله .

تنقلت خلال الخدمة في الجولان في جميع قطاعاتها الشمالي (حرش مسعدة) والأوسط (واسط والدريجات) والجنوبي (فيق والحمة والعقبات بينهما)، وكذلك في منطقة قيادة الجبهة في (المنصورية والصرمان) حول القنيطرة. والتحقت في تلك الفترة بدورة تدريبية في الجبهة عن رصد

وتوجيه نيران المدفعية وأخذت فيها الدرجة الأولى، كما اتبعت دورة في مطار المزة القديم عن (قراءة الصور الجوية وتمييز الطائرات) وأخذت فيها الدرجة الثانية مع أن إجاباتي كانت صحيحة وتامة١٠٠ ٪. وتلك زهرة جديدة في حياتي.

مع مجموعة زملاء في الجولان

منذ منتصف الخمسينات تعددت المؤامرات ومحاولات الانقلاب، وكثرت محاولات التدخل في الشؤون السورية بقصد إضعاف مواقفها القومية المعادية للاستعمار والصهيونية، والرافضة للدخول في الأحلاف الأجنبية كحلف بغداد وأمثاله، وذلك إبتعاداً منها عن توظيف طاقاتها البشرية والمادية لخدمة المستعمرين الغربيين وتحقيق أطماعهم، مادامت أمام مهمة وطنية خاصة هي مهمة مقاومة الاستعمار الصهيوني في فلسطين وأطماعه في بلاد العرب وثرواتهم.

من هنا اشتّدت الروح الوطنية، والصلابة العنيدة لمقاومة كل ما يتهدد سوريا من مخاطر، وخاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ حيث هاج ضباط الجيش السوري، مطالبين بالاشتراك الفعلي لصد هذا العدوان. وقد كنت آنذاك ما زلت قائداً لسرية في القطاع الشمالي، وتلقيت الأوامر بالتحضير لعملية هجومية على إحدى المستعمرات المواجهة، وقد تم ذلك فعلاً، وكلفت أحد قادة الفصائل بذلك عندما كان تقديرنا للقوة المهاجمة بحدود فصيل، ولكن بنتيجة الاستطلاع الأرضي المباشر تبين ضرورة الهجوم بأكثر من فصيل، لذلك قررت أن أتولى قيادة الهجوم بنفسي، وانتظرنا أوامر التنفيذ ونحن على أحر من الجمر، فتلك ستكون أول عمليات هجومية للجيش السوري منذ حرب ١٩٤٨. ولكن سرعان ما ألغيت هذه الأوامر، وحضر مندوب من قيادة الجيش الأخ عبد الباسط

منجد على ما أذكر ونقل تعليمات القيادة السورية، بسبب مطالبة القيادة المصرية لها، بعدم تحريك الجبهة السورية في الوقت الحاضر لأسباب متعددة شرحوها لنا .

مرحلة عسكرية جديدة

مع تطور الجيش السوري نحو العقيدة العسكرية الروسية، وتزوده بالأسلحة المتنوعة الحديثة، فقد اجتهدت قيادة الجيش لاستيعاب ذلك كله ورفع مستوى الكفاءة العسكرية للضباط والقطعات، ولذلك كثرت الدورات العسكرية هنا وهناك. وقد دُعيت وكل زملائي الفلسطينيين سنة ١٩٥٦ إلى أول دورة خاصة بقادة السرايا وفق العقيدة الشرقية، وكان مديرها الضابط مصطفى حمدون في قطنا ومعه الضابط أديب الأمير وعدد آخر من المدربين. وكان معنا في هذه الدورة الأخوة الضباط السوريون الموازون لنا والمنافسون في الأقدمية العسكرية وطليع دورتهم هو الأخ عقيل نجار، وكانت هذه الدورة مفيدة جدا وعالية المستوى نظرياً وعملياً وتميزت بالنسبة لي بثلاثة أحداث:

١ ـ قيام أفراد الدورة ومدربيهم بزيارة الضفة الغربية التابعة للأردن آنذاك، حيث رافقنا ضباط أردنيون لمختلف المناطق الهامة حول القدس وفي بيت لحم وغيرها من المدن والمواقع الأردنية. فكانت فرصتي لتجديد الذكريات وخاصة في القدس، كما كانت فرصة للأخوة السوريين ليتعرفوا على مناطق عديدة هامة من فلسطين الحبيبة. وفي بيت لحم إتفقت مع رفاقي على شراء هدية قيمة لمدير الدورة هي مجسم للمسجد الأقصى المبارك من الصدف نهديها له بمناسبة إنتهاء فترة التدريب.

٢ ـ حدوث تمرد عسكري في قطنا بقيادة مدير دورتنا مصطفى حمدون، إحتجاجاً على تسريحات وتنقلات ضباط منهم عبد الحميد السراج، ولهدف إضعاف القيادة الوطنية والتوجه الصلب لها، ولتسليم قيادة الجيش ومواقعها الفعالة لضباط يمينيين ومن منطقة الشام عامةً. وقد توقفت

الدراسة في الدورة قليلاً واستنفرت القطعات على اختلافها، ثم تمت الوساطات التي انتهت بإلغاء تلك القرارات وبتنظيم جديد لقيادة الجيش من عفيف البزري رئيساً للأركان وأمين النفوري وأحمد عبد الكريم ومصطفى حمدون وعبد الحميد السراج وغيرهم.

٣ ـ عند إنتهاء فترة التمرد وزيارة الضفة الغربية وترتيب الوضع العسكري الجديد، تم الإعلان عن إنتهاء الدورة التدريبية، وعن فوزي شخصياً وبالدرجة الأولى فيها. وكان ذلك نصرا معنوياً لي ولزملاء دورتي تجاه الأخوة الأعزاء أفراد الدورة الأخرى وكان زهرة جديدة في حياتي.

وبعد عودتنا إلى القطعات لممارسة واجباتنا وفق التدريبات الحديثة، وكنت آمراً للسرية الثقيلة، تم تعييني في بعثة زيارة سياحية لألمانيا من خمسة ضباط بقيادة توفيق الأسود، وتم انتقاؤنا وفق معطيات معينة كانت بالنسبة لي مكافأة كبيرة على نتيجتي في دورة (قائد سرية)، وقضينا أسبوعين في هذه الجولة السياحية في معرض ميونيخ وفي برلين الشرقية والغربية وبوتسدام وغيرها من الأماكن والمصانع، وكانت من أجمل فترات العمر.

الترفيع لرتبة نقيب
سنة ١٩٥٦

وبعد عودتي من هذه الجولة السياحية، عينت قائدا للفوج النموذجي الواحد والأربعين الذي خدمت فيه كقائد فصيل ثم قائد سرية، وكان قد تم ترفيعي الى رتبة رئيس (نقيب) في ١/٤/١٩٥٦، وأظن أني كنت من أصغر الضباط الذين تولوا قيادة كتيبة هامة في مثل هذه المرتبة المبكرة.

وكان هذا امتحانا جديداً لي صممت على أن احقق فيه أفضل النتائج الممكنة، وكانت مواقع الكتيبة في القطاع الجنوبي للجبهة

منتشرة من مزرعة كفرحارب جنوب فيق حتى مشارف الحمة، وكلها مواقع حصينة ومشرفة على بحيرة طبريا ومنطقة سمخ وما حولها.

أذكر في هذه الفترة تعرضنا بالرمايات الرشاشة لكل تحرك آلي للعدو في المنطقة المجردة من السلاح بين التوافيق وتل قصر والحمة، حيث كان اليهود يدعون أن تحركهم سلمي، بقصد تحسين الأرض زراعياً ولمنع سيول الأمطار من إغراقها، في حين كنا نعتبر ذلك كله مخالفاً لاتفاقية الهدنة لأنه يحسن الوضع العسكري للعدو بواسطة جرافاتهم التي تعمل الخنادق والسدود بحجة ضبط سير مياه الأمطار. وكانت لجنة الهدنة تتدخل لإنهاء الوضع في كل أزمة.

مع رعيل الدبابات الملحق بالكتيبة في الجولان

كما اذكر اتصالي بقيادة الجيش ـ الشعبة الأولى، التي تولاها مدربنا مصطفى حمدون، حيث عرضت عليه رغبتي بترفيع بعض الجنود والعرفاء المتميزين بنواحي عديدة ولكن عقوباتهم السابقة تمنع ترفيعهم وتحطم معنوياتهم، وأوضحت بأن ترفيعهم سيرفع معنوياتهم ويشعرهم بالإنصاف والتقدير ويدفعهم إلى سلوك مسئول بعيد عن أية مخالفات بسيطة جديدة، كما عرضت رغبتي بإجراء بعض التنقلات لبعض الضباط وضباط الصف، والواقع أن كل هذه الطلبات والاقتراحات قد تم تنفيذها.

وأضيف أني اقترحت رسمياً فكرة تشجير منطقة كتيبتي لأسْباب عسكرية وبيئية ونظمت دراسة لهذا الموضوع، مبينا أهمية التشجير لتحسين المناخ وتمويه مواقع القطعات وتجميل المنطقة وربما الاستفادة من ثمار بعض هذه الأشجار، وقد تبنت قيادة الجبهة آنذاك الفكرة وعممتها على جميع القطعات وزودتنا بكميات كبيرة من الغراس المثمرة والبرية، وقمنا

مع الزميل ظهير الجندلي وخلفنا منطقة (الحمّة) على الحدود

بزراعتها على جوانب الطرقات وفوق المواقع الحربية والى جانبها بالإضافة إلى مناطق حرشية متعددة للتمويه، ومن سوء الحظ أن السماء لم تمطر تلك السنة، مما أجبرنا على الاستعانة بمياه الشرب ولكن النتيجة العامة لم تكن وفق ما تمنيناه لقلة المياه. وخلال قيادتي للكتيبة المذكورة تعمدت التركيز على التدريب المتواصل لرفع كفاءة العسكريين، وخاصة في الرمايات بمختلف أنواعها، وقد نظمت مسابقات محلية ضمن فوجي لهذه الغاية، ثم اشتركنا ببطولة الرمي في اللواء، ففازت كتيبتنا بالدرجة الأولى في معظم مباريات الرمي من مسدس وبندقية ورشيش إلى رمايات هاون وقنابل يدوية وغيرها.

مع أهالي قرية (الناصرية) في منطقة (العقبات)

وعندما انتدبت للعمل في مصر أثناء الوحدة تسلم قيادة الفوج مني الأخ كمال هلال، وقد اشتركت الكتيبة بقيادته في مباريات الجيش ففازت أيضاً بالدرجة الأولى في أكثر من نصف تلك المسابقات، وللمرة الأولى في الجيش، كما أعلمني الأخ كمال مقدرا جهدي السابق الشخصي في تحقيق هذه النتائج، واعتبرت ذلك زهرة جديدة في حياتي .

جهود لتحصين الضفة الغربية

بعد حرب ١٩٥٦ ودخول المجموعة السورية إلى الأردن تضاعف

اهتمام القيادة السورية بالوضع في الأردن وفي الضفة الغربية، وفكرت في موضوع دعم تدريب وتسليح أهل الضفة الغربية لتضاعف امكاناتها الدفاعية، لذلك أوفدت بعض الزملاء بمهمات عسكرية خاصة إلى الضفة حيث اتصلوا بأهالي القرى الأمامية، وقدموا لهم ما أمكن من السلاح والتدريب والتنظيم دفاعياً بشكل نقاط استناد مغلقة، وقد شارك في هذه المهمة الضباط محمد الشاعر وعبد الرازق اليحيى ويوسف يازجي وغيرهم، وقد وافقت رئاسة الجمهورية السورية على تقديم ما يمكن من أسلحة ومعدات لتأمين الدفاع عن المنطقة الحدودية (٤٥٠ كيلومتر)، وقد ابتدأ التنفيذ، ولكن حدث بعد ذلك بفترة قصيرة إعداد خطة سياسية برعاية الرئيس عبد الناصر وعبد الحميد السراج، لإجراء عملية انقلابية في الأردن، وتم التوافق على إرسال بعض زملائي من الضباط الفلسطينيين للتحضير والإعداد لذلك، ومنهم سميح الشاهد الذي توجه إلى بلدته نابلس للاتصال بالسياسيين المناسبين لهذه الغاية، والزميل غالب أبو السعود إلى مدينته القدس وعقل دحيلية إلى منطقة طولكرم حيث اتصلوا بضباط أردنيين وبرجال سياسة، وتم تنفيذ انقلاب علي أبو نوار أوائل سنة ١٩٥٧ مما أوقف تلك التحضيرات العسكرية للضفة ثم إلغائها نهائياً.

في هذه الفترة تضاعفت أهمية دعم الإتحاد السوفيتي لسوريا عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولذلك ارتفعت الأصوات المنادية بالتعاون الكبير مع القيادة السوفيتية، وقد كنت وأغلبية الضباط من المؤيدين لهذا التوجه، ليس حباً في الشيوعية، ولكن كرهاً للرأسمالية والصهيونية بالدرجة الأولى. وقد جرت مقابلات عديدة في هذه الفترة بين بعض زملائي وبين قيادات من الحزب الشيوعي السوري لنبحث هذه المواضيع حتى ندعم الصمود السوري في وجه الاستعماريين المتحالفين مع الصهاينة. وكان الرأي لدى أغلبية الزملاء الساحقة هو تجنب الارتباط التنظيمي بأي حزب محلي، مع السعي لتحقيق أكبر قدر من الصداقة والتعاون مع جميع الأحزاب بدون استثناء، كما جرى سابقاً مع بعض أركان حزب البعث سنة ١٩٤٨ وفيم

بعد مع الشيخ مصطفى السباعي أحد قادة الإخوان المسلمين السوريين بعد عودته من القدس، الذي شارك في معاركها سنة ١٩٤٨.

نتيجة لتوجه الرأي العام المدني والعسكري تطورت العلاقات مع الكتلة الشرقية وعقدت اتفاقات جديدة للتعاون العسكري والاقتصادي، وتفاهم الفريقان على العمل المشترك لمواجهة تحديات الأعداء. وعندما هدد الأتراك بحشودهم على حدود سوريا الشمالية، استنفرت سوريا جيشها وشعبها لمواجهة ذلك، فإنتظمت جموع الشعب وتسلجت ضمن المقاومة الشعبية، كما قام السوفييت بضغوط سياسية وعسكرية على تركيا من الشمال، في حين عرضت مصر تأييدها السياسي والعملي لسياسة سوريا وصلابة مواقفها، وبذلك بدأت بوادر التقارب المتسارع بين العرب التقدميين والإتحاد السوفيتي وكتلته الشرقية من جهة وبين مصر وسوريا من جهة أخرى وباتجاه المزيد من تفعيل التعاون بينهما بشكل قيادة عسكرية مشتركة ثم بالاتجاه نحو تحقيق الوحدة بينهما.

واذكر في هذه الفترة أن الزميل الضابط المهندس عزمي نُسيبة الذي كان صديقاً وجاراً لقائد الجيش عفيف البزري طالب بأن تسعى سوريا لاستقدام ضباط مصريين للخدمة في الجيش السوري بقصد تحقيق المزيد من التعاون والتقارب، وقد احتضن البزري هذه الفكرة، وأمكن تحقيقها فعلا، فحضرت مجموعة لا بأس بها من ضباط القيادات المصرية وتوزعوا على مختلف القيادات والقطعات العسكرية، ومنها منطقة الجولان، حيث رحبنا جميعا بالوافدين، ونظمت على شرفهم الولائم وذبحت الخراف، وانتعشت الآمال. ومع تبادل الزيارات بين رجال المجالس النيابية في مصر وسوريا إتخذت قرارات الوحدة، ووضعت قيد التنفيذ، وتضمن ذلك إجراء استفتاء عام شارك فيه العسكريون في كل مكان، فسجلت كلمة أذعتها على مختلف السرايا التابعة لي أدعو فيها للتصويت بنعم على الوحدة ورئاسة عبد الناصر، دون أي تدخل في التفصيلات كشكل الوحدة ومصير

الأحزاب والحياة النيابية والصحافية وغيرها، وقد جاءت نتيجة الاستفتاء لصالح الوحدة بأغلبية ساحقة.

الوحدة المصرية السورية

بعد الإعلان عن الوحدة جاء إلى سوريا والى جبهة الجولان بالذات الرئيس عبد الناصر والسادات وعبد الحكيم عامر وغيرهم في وفد مشترك للتعارف، فتمت دعوتنا كقادة كتائب هاتفياً إلى القنيطرة لحضور محاضرة عسكرية وذلك للتمويه، حيث اجتمعنا بالرئيس عبد الناصر واستمعنا إلى خطابه وخطاب عامر ثم أخذنا الصور التذكارية لهذه الزيارة.

ومع تحقيق الوحدة تم إيفاد عدد كبير من الضباط المصريين إلى سوريا، وكان من نصيب كتيبتي ضابطان مصريان استقبلتهما بكل ترحاب ورعاية مع إعطائهم التوجيهات اللازمة عن الفوارق في الأسلوب والنفسية بين الجيشين لتجنب المشاكل، ولكن حدث أن شتم ضابط مصري أحد الجنود فلم يحتمل ذلك ولاحقه بالبندقية ليطلق عليه النار، فتدخل رفاقه ومنعوه. وأوقعت على الجندي العقوبة المناسبة، وبنفس الوقت أوضحت للضابط المصري عدم تقبلنا لهذه الشتائم، وبالنسبة للرواتب والتعويضات الخاصة بالضباط المصريين فقد أصبح بقدرة أي منهم شراء سيارة صغيرة يتنقل بها في الجبهة، كما أصبح بإمكان أي منهم أن يخصص مبلغاً لشراء دخان يوزعه هدايا على الجنود وضباط الصف، مما أثار تساؤلات عند بقية الضباط السوريين، بسبب الفارق في المدخول والمعاملة، وبالتالي أدى إلى بعض التذمر الذي كنا في غنى عنه. لذلك فإنني ضمن التقرير الشهري الذي أرفعه إلى الأركان العامة عن المعنويات وأوضاع العسكريين أشرت بوضوح إلى هذه القضايا مطالباً بمعالجتها وتجنب أضرارها المعنوية، حيث من المهم أن تزداد أواصر الأخوة بين الضباط السوريين والمصريين وليس العكس، وقد اقترحت آنذاك خطياً أن يعطى الضابط المصري المنتدب راتبه المصري كاملا ليعيش أهله هناك بمقتضاه، وأن يعطى في سوريا راتب

نفس الضابط السوري من رتبته، فيكفيه ذلك لنفقات سوريا وهو وحيد، في حين أن الضابط السوري ينفق نفس راتبه على نفسه وأسرته. وكان كل ذلك حرصاً على سلامة الوحدة التي هي أمل الشعوب العربية جميعاً والفلسطينية في المقدمة. وكان العقيد علوي كاتم أسرار الجيش الأول من الضباط المصريين القادة الموثوقين من القيادة المصرية، واعتقد أنه كان يطلع على تقارير المعنويات ويشارك في جميع قضايا الضباط، وقد زارنا في الجبهة وأقمنا له غذاء في نادي ضباط (فيق)، ألقى خلاله الشاعر الضابط محمد كامل صالح عدة قصائد منها قصيدة : ونعم أحبك يا جمال ...الخ، فأعجب بها كثيراً، وشعرت بأنه اهتم بالتعرف علي شخصياً، وعندما كنت قريباً منه أشار إلى أنه يتابع الأوضاع والتقارير، وأنه معجب بصراحتي، وأنه يرى أن لا داعي لوجود تنافس أو حسد للضباط المصريين، لأنه سيتم وقريباً إيفاد الضباط السوريين إلى مصر فينعموا بنفس الميزات ويعملوا على توثيق أواصر المحبة والتعاون بين سوريا ومصر، ثم أكمل قائلاً بأني سأكون شخصياً من أوائل الموفدين إلى مصر.

بداية انتكاسة الوحدة

وبالفعل بعد بضعة أشهر فقط صدرت أول قائمة تنقلات للضباط السوريين إلى مصر، وكنت أحدهم، وأقدمنا العقيد محمد زلفو ومجموعنا ٤١ ضابطاً وعند وصولنا إلى القاهرة استقبلتنا القيادة بحفاوة ونظمت لنا برامج سياحية وترفيهية عديدة، دون أن يتم تعييننا في القطعات أو القيادات المختلفة، مما جعلنا نتهامس في هذا الأمر، وخاصةً أن معظمنا كان يتولى قيادات ميدانية هامة قي سوريا، وبعد حوالي شهر من الجولات السياحية تعالى صوتنا وطالبنا بمواقع عمل لنحتك بالضباط والجنود المصريين ونحاول فعلاً توثيق العلاقات وزيادة التعارف والتعاون، أما بقاؤنا في هذا الوضع، مرفهين برواتب وتعويضات دون أي عمل فقد اعتبرناه ماساً بحقوقنا وكرامتنا وأصبح البعض يطلق على مجموعتنا اسم علي بابا والأربعين حرامي على سبيل الفكاهة لأن مجموع عددنا كان ٤١ ضابطاً،

ثم وصل الأمر بنا إلى إعلان عدم مشاركتنا بأي برنامج زيارات سياحية، ورغبتنا في الانتقال إلى الأداء العسكري المتناسب مع إمكاناتنا ورتبنا، ونزلت القيادة عند هذه الرغبة وتم تحديد موعد لاجتماع كبير يحضره المشير عامر شخصياً لتعميم قرارات التعيينات وإبلاغنا بمضمونها. وفي الاجتماع المذكور تمت قراءة التعيينات، فكان نصيب معظم إخواننا مراكز في حرس الحدود أو معسكرات التجنيد أو مراكز ثانوية أخرى، بعيدا عن أية قطعة مقاتلة أو أية قيادة ميدانية، مما أثار الاستياء الشديد في صفوفنا، وقد كان من نصيبي سلاح التجنيد مع بعض إخواني، فانتظمنا في دورة خاصة لذلك، وعند انتهائها تمُ توزيعنا على مراكز التدريب العديدة لبعثرتنا، فكان موقعي في التل الكبير قرب الزقازيق وموقع الزميل الفلسطيني رشيد جربوع في الإسكندرية والزميل الفلسطيني عبد الرحمن مفلح في الصعيد، وكذلك بقية الأخوة السوريين، سواء من كان منهم في التجنيد أو من كان في حرس الحدود .

مع الزميل رشيد جربوع في القاهرة على أحد جسور النيل

في سنة ١٩٥٨ بعد بضعة أشهر من الوحدة فوجئنا بإعفاء الفريق عفيف البزري من قيادة الجيش الأول وتعيينه في مجلس التخطيط الأعلى، ورأى الكثيرون في هذا الإجراء نذيراً بخطوات أخرى مقبلة، وتوجهت مع فريق من الضباط السوريين إلى منزله في القاهرة للاستفسار عن الوضع، وكانت هذه أول زيارة تعارف مباشر مع الفريق البزري من ناحيتي.

علمت فيما بعد أن رفيقي دورتي واصف جيوسي وسعد عزوني أعربا بشكل عنيف عن اعتراضهما على قرار الإعفاء لدرجة أن واصف مزق صورة الرئيس عبد الناصر في رئاسة الأركان العامة، حيث كان قد عين

سابقاً من مجموعة حراسة رئيس الأركان الفريق البزري، وطبعاً فرضت بحقهم العقوبة اللازمة ثم أحيلا إلى التقاعد ضمن الدفعة الأولى من رفاقنا الفلسطينيين، وبعد ذلك حاولوا توريطهما في ثورة لبنان سنة ١٩٥٨، حيث طلب عبد المحسن أبو النور معاون رئيس الأركان من زميلنا المهندس عزمي_نسيبة اقناعهما بالانخراط في الثورة اللبنانية فرفض عزمي هذا الاقتراح وأشار إلى أنه يخشى أن يكون الهدف الحقيقي هو التخلص من هذين الضابطين نهائياً بحجة المساهمة في الثورة المذكورة، وكان هذا الرفض من أسباب زيادة تصميم القيادة العسكرية آنذاك على تسريح الضباط الفلسطينيين من الجيش.

ورأيت طلب إجازة للسفر إلى سوريا لرؤية أهلي قبل التحاقي بالتل الكبير، وبالفعل حصلت عليها ووصلت إلى دمشق لمقابلة أهلي. وحدث أن أخبرني رفاقي قي دمشق أن زميلنا أحمد زلوم من الخليل سيقدم إلى المحكمة العسكرية في القنيطرة بتهمة التهجم على القومية العربية لأنه قال لأحد الضباط المصريين أثناء أحاديث ومناقشات عادية أن دماء جميع الشعوب تتألف من جينات بيضاء وحمراء، وأن الإنسانية مهمة جداً كالقومية والوطنية، واعتبرت القيادة أن هذا التصريح موجب لإحالته للمحاكمة العسكرية، وقد طلب مني الدكتور شقير وبعض إخواني أن أكون محامي الدفاع عنه ما دمت موجوداً في سوريا وأن واجبي كطليع للدورة يحتم علي ذلك، فوافقت وتم إبلاغ أعضاء المحكمة بذلك، وقد حضرت جلسة المحاكمة بالفعل في القنيطرة حيث عقدت برئاسة قائد الجبهة آنذاك جادو عز الدين وعضوية خمسة أعضاء بينهم عادل حاج مراد ومصطفى رام حمداني وعبد

مع الزميلين عبد الفتاح يونس
وعبد الكريم عمر في القاهرة

الكريم نحلاوي كمقرر. وتمت المحاكمة والاستماع إلى الشهود ثم ألقيت دفاعي السياسي العسكري المنطقي عن المتهم، وتم التصويت السري على القرار، فجاءت أغلبية الأصوات لصالحي ولصالح المتهم بالبراءة ولم يصوت بالإدانة الا رئيس المحكمة جادو عز الدين، وقد كان موقفه بعد ذلك ديمقراطياً كريماً حيث تقبل القرار ودعاني للغذاء على مائدته في نادي ضباط القنيطرة.

وبعد إنتهاء الإجازة لسوريا وعودتي لعملي في التجنيد، إستدعاني اللواء علي عزت قائد سلاح التجنيد موبخاً لأني سافرت إلى سوريا واشتركت في نشاط عسكري في المحاكمة المذكورة، فاستغربت ذلك، لأن عملي وتنقلاتي كلها ضمن النظام العسكري وبإجازة منه، فأبلغني أنه لم ينتبه إلى وجود قرار بعدم منحنا جميعاً أية إجازة لزيارة سوريا وأن إقامتنا سوف تكون فقط في مصر!!

فور وصولي إلى القاهرة من الإجازة، كان علي أن أقابل الضابط الوزير أمين نفوري وزير المواصلات المركزي لأبلغه رسالة شفهية من الفريق عفيف البزري الذي عاد إلى دمشق بعد إنهاء خدمته كقائد للجيش الأول. زرت النفوري في مكتبه الفخم في مبنى الوزارة المركزية في هليوبوليس مصر الجديدة، فاستقبلني الى مكتبه، ولما بدأت تبليغه أني كنت في دمشق واحمل رسالة شفهية له أشار لي بيده إلى فمه أن لا أتكلم، ونهض عن مكتبه باتجاه النافذة وأشار لي أن اتبعه، وهناك أوضح لي أنه ومكتبه مراقب، وربما يوجد أجهزة تنصت، واقترح أن أزوره في بيته بالزمالك، وهذا ما حصل، وهناك بلغته رسالة من الفريق البزري في دمشق عن سوء الأحوال في سوريا نتيجة ممارسات الأجهزة المصرية وحلفائها، وبشكل يسيء إلى حقوق وكرامة سوريا والوزراء السوريين وكذلك يقترح عليه التفكير بالاستقالة الفعلية مع احمد عبد الكريم الوزير المركزي أيضاً حيث أبعد الاثنان عن سوريا بحجة هذه الوزارة، والبزري يقترح ذلك لأن الأمور وصلت إلى استقالة حتى الوزراء البعثيين احتجاجاً،

وقد تبلغ الرسالة ووعد بدراسة الاقتراح واتخاذ القرار في الوقت المناسب، بحيث لا ترتبط باستقالات الآخرين، وبحيث تكون مبررة بأسباب هامة جديدة، وبالفعل تمت الاستقالة للنفوري وعبد الكريم معاً بعد فترة بسيطة، كما استقال الوزير بشير العظمة وزير الصحة المركزي عندما تأخر الرئيس عبد الناصر بتعيين موعد لمقابلته.

بالنسبة لي فقد التحقت بمعسكر التجنيد في التلّ الكبير وبدون أي عمل يذكر، فاقترحت على مدير المعسكر أن ألقي محاضرة على الضباط وضباط الصف عن جغرافية وتاريخ سوريا لمزيد من التعارف، وافق على ذلك وتبين لي في المحاضرة مدى جهل الأخوة المصريين بهذا الموضوع رغم تحقيق الوحدة، إذ سأل أحدهم عن حلب وهل تقع على البحر المتوسط أم لا؟ كما استفسر آخرون عن نقاط جغرافية وتاريخية تعتبر في نظرنا من البديهيات.

لتنظيم إقامتي الجديدة استأجرت غرفة في الزقازيق في مبنى هو عبارة عن فندق صغير ومطعم وقهوة مجاورين له، وقد شعرت أني تحت المراقبة في هذا المكان ولم أهتم بذلك. وعند الإجازات الأسبوعية كنت أنزل إلى القاهرة فأزور شقيقتي أم إبراهيم المتزوجة من أحد المصريين منذ كنا في عكا وانتقلت معه بعد النكبة إلى بيروت ثم القاهرة، كما كنت أزور بعض إخواني الضباط الذين أصادف وجودهم فيها، ومنهم حكمت الشهابي وجوزيف صقر اللذين سألا عني شخصياً وغيرهما، وكانا ما زالا في الخدمة.

وطبعاً كنا نتابع أخبار الوحدة المصرية السورية والوضع السياسي الداخلي وأخبار الأصدقاء هنا وهناك، كما كنت أهتم جداً بالصحافة المصرية الجديدة كاستمرار لاهتمامي السابق بالصحافة المصرية لحزب الوفد ومصر الفتاة وغيرهما. وكان العقيد أحمد علوي كاتم أسرار الجيش الأول يتردد على القاهرة بين حين وآخر وقد اعتاد على دعوتنا للغذاء معه أنا والضابط الشاعر محمد كامل الصالح حيث نتناول مختلف الأحاديث

بالصراحة التامة خدمة للوحدة في رأينا، وحفاظاً عليها، ثم ندعوه خلال نفس فترة زيارته إلى العشاء معاً في أي مكان يختاره ومع أي عدد من الأصدقاء يصطحبهم معه، فقد كان تعويضنا المادي بسبب انتدابنا لمصر يكفي لمثل هذا الترفيه، وأذكر أنه في إحدى الزيارات سألنا عن الضابط القاضي يوسف شقرا فامتدحنا أخلاقه ووطنيته ونزاهته، وتبين بعد ذلك أنهم يجمعون المعلومات عنه لتعيينه في منصب وزاري هام وتم ذلك فعلاً كأمين عام لإحدى الوزارات. والمهم أنه في آخر زيارة اجتمعنا بالعقيد علوي على الغذاء بدعوة منه مع صديقنا الشاعر أبو كمال، وكانت قد صدرت أول قائمة إحالة على التقاعد للضباط، بعد أن رفعت الحصانة عنهم، خلافاً للقانون السوري السابق الذي يفترض عدم إحالة أي ضابط على التقاعد إلاّ في سن معينة، كما يفترض عدم إنهاء خدمة أي ضابط قبل سن التقاعد إلا بموجب قرار قضائي عن المحكمة العسكرية. تضمنت تلك القائمة أسماء عدد من زملاء دورتي الجيدين ومنهم أحمد زلوم الذي دافعت عنه في القنيطرة وبرأته المحكمة، لذلك شعرت وغيري من الضباط أن في الأمر قرارات سياسية وفق مفاهيم خاصة تقضي بإحالة عدد كبير من الضباط السوريين والفلسطينيين إلى التقاعد، لتنظيم الأمن في الجيش وفق رغبات القيادة الجديدة، كما سبق أن تمت إحالة أعداد كبيرة من الضباط المصريين إلى التقاعد فور حدوث الثورة المصرية سنة ١٩٥٢، ثم بعد الصدام السياسي بين محمد نجيب وعبد الناصر سنة ١٩٥٤، مما حرم الجيش المصري آنذاك من عناصر بالغة الكفاءة بسبب الشك في ولائها، بحيث أصبح عنصر الولاء هو المتقدم على عنصر الكفاءة.

لذلك رأيت من واجبي أن أكتب في هذا الموضوع للقيادة، وبالفعل سلمت العقيد علوي رسالة مني إلى القيادة أرجو فيها إعادة النظر في موضوع الإحالة إلى التقاعد بشكل عام حرصاً على الكفاءات العسكرية والضباط الذين أنفقت الدولة أموالاً كثيرة لتأهيلهم عسكرياً، وبشكل خاص بالنسبة للضباط الفلسطينيين الذين التحقوا بالخدمة العسكرية الوطنية في

مطلع شبابهم كمتطوعين وحولتهم الظروف إلى احتراف الحياة العسكرية، ولم يعد بإمكانهم في هذه السن اختيار أعمال أخرى أو دراسات أخرى، علماً أن تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا لاقت كل الرضا والترحيب من هؤلاء الضباط الذين يتطلعون إلى تحرير فلسطين ويجدون في هذه الوحدة إعادة لعهد صلاح الدين الأيوبي، كما يتوسمون في الرئيس عبد الناصر أن يكون محرر فلسطين مثل صلاح الدين، ومن هنا فإن الضباط الفلسطينيين يعتبرون أنفسهم رأس الحربة في يد القيادة لهذه الغاية.

سلمت الرسالة المجهزة للعقيد علوي عندما دعانا للغذاء، ثم حاولنا الاتفاق معه على موعد العشاء المشترك فأرجأ ذلك لاتصال هاتفي لاحق وانصرفنا، فعدت إلى التل الكبير، حيث تلقيت وسام الاستحقاق السوري وجاء فيه :

من رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر

إلى الرائد (الفلسطيني) محمد حسن توفيق أبو رقبة

تقديراً لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم قررنا منحكم...

الاحالة الى التقاعد

وبعد عدة أيام تلقيت قرار الإحالة على التقاعد، ، وكان كما أذكر في أول أيام العيد، فغادرت الزقازيق إلى القاهرة واتصلت بمكتب الاتصال السوري الذي يرأسه الضابط كاظم زيتوني للتعرف على ترتيبات العودة إلى أهلي في حمص، كما اتصل غيري من الضباط المحالين إلى التقاعد، وكان الجواب أن العودة إلى سوريا متأخرة وموضع نظر، وأن علينا تدبير أمورنا في القاهرة حتى يصدر قرار جديد بالعودة. وهكذا بعد أن كنا نحلم ونطالب بالعودة إلى فلسطين أصبحنا نحلم ونطالب بالعودة إلى سوريا!!

ومن الطبيعي أن نجتمع كمتقاعدين بدون أي راتب عسكري أو راتب تقاعدي لنفكر في تدبير أمورنا المعيشية في هذه الفترة الانتقالية التي لا

نعرف متى تنتهي. بحثنا عن مسكن مشترك لثلاثة أشخاص نتقاسم تكاليفه، فقابلتنا في أحد المقاهي سيدة مصرية متوسطة العمر تعرض علينا مسكناً في مصر الجديدة، وتتعهد بفرشه لنا وتأمين خدماتنا فيه، وبإيجار معقول، فوافقنا وتم فرش الشقة وسكناها ثلاثتنا: محمد كامل صالح وعرفان لوستان وحسن أبو رقبة، وكانت السيدة تخدمنا بنفسها وقد طلبنا منها هاتفاً للشقة فوعدت ونفذت وعدها خلال يومين ثم عرضَت علينا استخدام عامل فقير ووالدته مريضة بالسرطان ويريد أن يشتغل (اسمه منتصر)، بأي مكان وبأي راتب لتأمين معالجتها فوافقنا على استخدامه، وقد حدث أن زارتنا آنذاك إحدى الجارات وقالت أننا تحت المراقبة، وتوجد سيارة مخابرات دائمة على زاوية الشارع، فشككت بأمرها وأجبتها أننا لا نعمل شيئاً يضر الأمن، ولذلك لا نخاف من مثل هذه الأخبار إذا كان المقصود تخويفنا. وبدأنا نسعى لتأمين رواتب لمعيشتنا الإجبارية في القاهرة، وخاصة أن المبلغ الذي أخذته من ابن عمي يوسف عند زيارته القاهرة بدأ ينفذ.

وكنا نجتمع مع بقية المقيمين إجبارياً أو مع معظمهم، واتفقنا على توجيه كتاب إلى المشير عامر عن طريق مكتب الاتصال بدون نتيجة، ثم اتفقنا على إرسال وفد من هشام العظم ومحمد كامل صالح إلى الإسكندرية لمقابلة الرئيس شكري القوتلي وطلب مساعدته، وبالفعل تم ذلك وجاءنا الجواب بأن الرئيس القوتلي قابل الرئيس عبد الناصر وعرض عليه أوضاعنا مستفسراً عن سبب الإحالة إلى التقاعد والإقامة الإجبارية، فأجابه عبد الناصر: أنهم شيوعيون ومعادون للوحدة، فقال له القوتلي لقد قابلني عنهم هشام العظم وأنا أعرفه جيداًجداً ولا يمكن أن يكون شيوعياً أو معادياً، أما الباقون فلا اعرفهم، وآمل أن تساعدهم حتى لا يبقوا بدون أي دخل، وهم جميعاً حسب علمي أدلوا بأصواتهم مؤيدين الوحدة، ولا دليل ضد أي شخص منهم، فوعده عبد الناصر خيراً، وبالفعل تم استدعاؤنا إلى احد مكاتب المخابرات المصرية في مطلع آب ١٩٥٨ وصرفوا لنا رواتب إقامة حسب تسلسل رتبنا عن شهر واحد، فاستبشرنا خيراً، وأصبح بإمكاننا

التحرك والإنفاق قليلاً فسافرت مع محمد كامل صالح إلى رأس البر للتعرف عليها وقضاء ليلة واحدة فيها.

السجن في القاهرة والمزة

وعند عودتنا في اليوم التالي داهمنا زوار الفجر ليلة ١٥ آب واصطحبونا إلى ثكنات العباسية للتحقيق حيث وجدنا هناك عدداً آخر من الرفاق. وزعونا على غرف في الطابق العلوي من الفيللا٧ كما يسمونها وليس في الغرف أي فراش أو كرسي أو بطانية، وكنا ثلاثة في غرفة واحدة فاضطررنا إلى النوم بشكل مثلث على بلاط الغرفة وكل منا يضع رأسه على فخذ زميله، وعندما يريد أحدنا أن يقلب جسمه فلا بد أن يقلب الجميع أجسامهم معه، ورائحة الغبار تزكم الأنوف والشعور بالمهانة يكاد ينسف ما في وجداننا من صبر وتحمل... وما أتعس الإنسان العربي!!

واستدعيت للتحقيق أمام اللواء محمد عبد الكريم في نفس الفيللا، وكان يقف بجانبه باللباس المدني معاونه سليمان نصر حيث الأسئلة المعتادة وأمامه ملف عنا، وقد قال لي اللواء أن ملفي أمامه جيد فلماذا أعارض الوحدة، فاستغربت ذلك، وقلت له أني من اكبر الوحدويين كبقية شعبي الفلسطيني، وحرصي على الوحدة دفعني إلى التنبيه خطياً وسرياً إلى القيادات المسئولة عن أية أخطاء حتى نتلافاها ونعالجها، ولم اشهر بالوحدة أمام أي جهة أو شخص عدا تقاريري واقتراحاتي الخطية إلى قيادتي بقصد تجنب النفور والشقاق والخلاف، ثم سألني عن الكتب التي وجدوها في منزلنا فقلت إنها لي ولرفيقَي في الشقة، فطلب من عرفان لوستان أن يجمع

سجن الفيللا (٧) في ثكنة العباسية ـ القاهرة

كتبه جانباً فقام بجمعها متعمداً أن يتحمل مسؤولية جميع الكتب العلمية الاشتراكية ويدعي أنها له شخصياً ليجنبنا أي ضرر، وهو موقف كريم وأخلاقي. وكان السؤال الأخير والغريب عن أفضل ثلاثة ضباط في الجيش السوري بنظري، فأجبته: عفيف البزري وإبراهيم فرهود وأكرم ديري، وسألني عن عبد الحميد السراج فأجبته بأنني لم أقابله شخصياً طيلة حياتي العسكرية وأسمع أنه وطني وحدوي. وعندها انتهى التحقيق بشتيمة واتهام بالكذب، وأعادنا إلى غرفنا، وبعد ذلك عرفت بقية المعتقلين في سجن الفيللا ٧ ـ العباسية، واذكر منهم العقيد هشام العظم ـ الشاعر المقدم محمد كامل صالح ـ الأديب القصصي فارس زرزور والضباط رشيد جربوع، محمد سليمان قولي، مطيع منصور، عرفان لوستان، إبراهيم معطي، وغيرهم لا اذكر أسماءهم. وانتهى التحقيق معي، ثم مع بقية رفاقي، وبعد عدة أيام احضروا لنا بالتتابع فراشاً على الأرض ثم بطانيات وبعدها وسائد مع ساندويشات الفول والفلافل صباحاً وظهراً ومساءً. وصادفت أثناء انتقالي إلى الحمام مرة أن خادمنا منتصر في شقة مصر الجديدة يتحادث مع المقدم حسن عليش ضابط المخابرات، وهو بلباس شاويش مصري ولما لمحني راح يمثل بأنه مظلوم، وعرفت عندها فقط أنه كان مدسوساً من المخابرات علينا. وعند تخفيف إجراءات العزل أصبحنا نتجمع في شرفة الفيللا الطويلة ونتبادل المعلومات، منها أن أكرم ديري زار سجن الفيللا خلال تواجدنا تحت التحقيق، وأنه كان متشفياً بالزميل محمد كامل صالح، وكنا كما اذكر ثلاثة عشر ضابطاً، طالبنا جميعاً بالتحقيق القضائي والمحاكمة لنثبت أننا لم نقم بأي خطأ ولم نرتكب أية جريمة، ولكن لا حياة لمن تنادي فحصانة الضباط كانت في أبشع حالاتها.

علمنا في هذه الفترة من بعض حراسنا أن الشاويش منتصر خادمنا وضع أجهزة تسجيل في شقتنا ولكنها كانت متعطلة فلم تسجل شيئاً، كما شاهدنا بعد ذلك تحسناً في المعاملة، حيث يتم تأمين طعامنا من نادي الضباط في ثكنات العباسية، وأصبحنا نتحادث مع حسن عليش وبعض

المسئولين عن السجن ونسأل عن مدة السجن ونتيجتها فلا نحظى بأي جواب.

فجأة تم استدعائي وهشام العظم ورشيد جربوع إلى مكتب السجن وأعلمونا أننا سننتقل من السجن المذكور وعلينا تحضير أمتعتنا لذلك، وفي اليوم التالي نقلونا إلى مطار القاهرة ومنه إلى سوريا، ومباشرة إلى سجن المزة حيث وضع كل منا في زنزانة منفردة بالطابق الأرضي وكان رقم زنزانتي ٢، وهي بمساحة ١،٥ ×٢،٥ متر وبداخلها مرحاضها، مع باب حديدي بفتحة صغيرة في أعلاه مغلقة دائماً، وعند إحضار الطعام يفتح الباب الحديدي ويوضع الطعام على الأرض ثم يدفع بالقدم إلى داخل الزنزانة.

منظر عام لسجن المزة قرب دمشق

أذكر أنه عند وصولنا سجن المزة تسلم مدير السجن حقائب ملابسنا وأغراضنا ولم نره بعد ذلك ولم يقابلنا أي شخص للتحقيق. وعندما طلبت من حارس الزنزانة إبلاغ مدير السجن أنني أريد التحقيق معي وأني فلان ورتبتي كذا، جاءني مدير السجن لأول مرة ليطالبني عدم الإتيان بأي إزعاج أو طلب وعدم التصريح للجنود باسمي أو رتبتي إذا أردت المحافظة على كرامتي، وقال أن المحققين يعرفون أنك موجود هنا، وإذا أرادوا التحقيق معك فسيطلبونك لذلك، وأنني في السجن اسمي رقم٢ فقط حسب رقم الزنزانة ولا اسم آخر لي. فهمت الرسالة وانتظرت، وكنت ليلاً اسمع صراخ المعذبين في الجهة الثانية من الطابق السفلي، وسمعت مرة رجلاً يمشي بقوة ومشية عسكرية فحاولت رؤيته من أطراف الطاقة الحديدية

وأرجح أنه مصباح البديري، وبعد ساعتين تقريباً سمعت حفيف جسم على الأرض فحاولت الرؤية ثانية، فوجدت نفس الشخص يتم جره باتجاه الزنزانة وأقدامه مغطاة بالقطن الطبي لعدم استطاعته المشي بعد الضرب الشديد.

بقيت في سجن المزة ثلاثين يوماً كاملة بدون حمام ساخن أو بارد وبدون حلاقة شعر أو ذقن وبدون أي نزهة ولو قصيرة بالشمس، وبدون معرفة أي شيء يدور في السجن أو في البلاد خارجه. وكنت أتسلى بقراءة ما كتبه سجناء سابقون على جدار الزنزانة ربما بطرف ملعقة أو كوب معدني أو غيره، ومنه قول احدهم:

يا ظلام السجن خيم انا نهوى الظلاما
ليس بعد السجن إلاّ فجرُ مجد يتسامى

وكتب آخر متفائلاً وليبعث التفاؤل في نفوسنا:

لو دامت لغيرك لما وصلت إليك

وثالث يظهر أنه متدين إسلامي يقول:

قم نحو حِماهُ وابتهج يا ربي عجّل بالفرج

وأحياناً كنت أتسلى بجمع لبّ الخبز العسكري وأجبله بالماء ثم اقطعه كأحجار بلوك صغيرة، وابدأ ببناء قهوة ومطعم أتخيل أني سأبنيها في عكا فوق ساحة المدورة على السور الغربي مقابل الباب الرئيسي للسجن. واذكر أن قائد الشرطة العسكرية آنذاك عبد المولى الحجة من حمص كان يتفقد السجن وفتح طاقة زنزانتي وأنا منهمك في البناء فابتسم ابتسامة صفراء ربما كانت ابتسامة شماتة، وربما ابتسامة اطمئنان إلى أن هذا السجين بدأ يفقد قواه العقلية.

بعد شهر كامل من الانتظار جاءني مدير السجن مع الحلاق واخبرني بأنّي سأغادر السجن صباحاً، وبدون أي تحقيق، ففرحت ورحت انظم برنامج اليوم التالي حيث سأنزل إلى دمشق أولاً لآكل فتة حمص في المطعم الصحي مقابل نادي الضباط، ثم أسافر إلى حمص لرؤية والدي

وأخوتي. ولكن في الصباح الباكر أيقظوني وسلموني حقيبة ملابسي عند باب السجن وكذلك فعلوا مع رشيد جربوع أما هشام العظم ثالثنا فأعلمونا أنه أطلق سراحه قبلنا، وركبنا سيارة شرطة عسكرية متفائلين، باتجاه دمشق، ولكن فوجئنا أن السيارة اتجهت إلى مطار المزة العسكري، وهناك اركبونا طائرة عسكرية تنقل العديدين من الضباط باتجاه القاهرة حيث أعادونا من جديد إلى ثكنة العباسية، الفيللا رقم ٧ منضمين إلى بقية رفاقنا الذين تركناهم فيها منذ شهر. وتبين لي فيما بعد أن جميع أوراقي ومستنداتي العسكرية الشخصية قد اختفت من الحقيبة.

ولم يكن من أي تطور جديد على مستوى التحقيق أو العودة لسوريا، فقررنا الإضراب عن الطعام، فلم نصل إلى نتيجة سوى ما سمعناه من بعض الزملاء السجناء أن حسن عليش حاول إقناعهم بفك الإضراب الجماعي، وأنه قال لهم : لو كان المضربون هم الضباط الفلسطينيون فقط لما تدخل في الأمر وتركهم حتى الموت!! وقد تم فك هذا الإضراب على وعد بأن تسرع القيادة بمعالجة موضوعنا.

الأخت (منية) وزوجها (أبو سريع) وعائلتها في القاهرة

وحدث في هذه الفترة أن أمنت نرجيلة ولوازمها من بيت أختي في القاهرة إلى السجن بواسطة رشوة احد الحراس، كما أني شكوت لضابط المخابرات المصري حسن عليش جفاف الحياة في السجن ونحن في عز الشباب، ولنا أصدقاء وصديقات، فعرض أي خدمة ممكنة، وتوصلنا إلى السماح لي بزيارة احد الأصدقاء بسيارة عسكرية توصلني إلى أي مكان حيث تعود بعد ساعتين لتعيدني إلى السجن من نفس المكان، وعند اتصالي بالهاتف من مكتب مدير السجن لتأمين هذه الزيارة، فوجئت أن دليل هاتف هذا المكتب

هو نفسه دليل الهاتف الذي كان في بيتنا في مصر الجديدة وعليه بعض الأسماء والأرقام بخط يدي، ومنها اسم رياض كيلاني. وأحياناً كنا نطلب معاينة طبية للأسنان فيصطحبنا الشاويش صلاح بسيارة عسكرية، ثم يوافق معنا على إلغاء زيارة الطبيب لعدم الحاجة الماسة، والاكتفاء بالجلوس في مقهى جروبي سليمان باشا لشرب المرطبات وأكل الكاتو وله هدية مناسبة وعلى الأرجح أن ذلك كان يتم بموافقة مسؤوليه. ولكن دوام الحال من المحال، وقد سمعنا من بعض ضباط السجن أنهم لا يأخذون علينا أي مأخذ، ولكنها رغبة عبد الحميد السراج الذي لا يريد عودتنا إلى سوريا. لذلك قررنا الإضراب عن الطعام حتى الموت، وباشرنا ذلك فعلاً فلم نجد أي اهتمام وإستمرينا في إعادة كل الطعام الذي يحضرونه لنا مكتفين بشرب الماء فقط، حتى اليوم السادس حيث أغمي على احدنا (فارس زرزور) فنقل إلى المستشفى، وفي اليوم السابع أغمي على آخر (إبراهيم معطي) فنقل أيضاً إلى المستشفى، وفي اليوم التاسع أغمي على (محمد كامل صالح) فأسعفته بملعقة سكر مع كوب ماء لينقل بعدها إلى المستشفى، حيث علمنا فيما بعد أنه عمل وإخوانه ضجة في ذلك المستشفى العسكري صائحاً أننا ضباط سوريون ممنوعون من العودة إلى سوريا وأننا مضربون عن الطعام حتى الموت، وأننا عملنا الوحدة مع مصر لأهداف قومية نبيلة ولا يجوز أن نلقى هذه المعاملة.

ويظهر أن ذلك كله لقي رد فعل من إدارة السجن فجاء بعض ضباط المخابرات مطالبين بفك الإضراب، فاجتمعنا ووافقنا على فك الإضراب كبادرة حسن نية على أن يتبعها الإفراج عنا. وهذا ما حصل فعلاً، حيث جاءت لجنة طبية لفحصنا وإعطاء النصائح بكيفية العودة إلى حياة الأكل الطبيعية تدريجياً، وسمحوا لمن يريد منا بالسكن في القاهرة في فنادق معينة وتحت المراقبة على أن لا نغادر الفندق أو القاهرة. فوافق بعضنا على ذلك وبقي البعض الآخر في السجن، وكنت مع الزملاء رشيد جربوع ومحمد قولي قد اخترنا فندق سكارابيه في شارع فؤاد بوسط القاهرة لإقامتنا

وبالفعل تم ذلك ولكن تحت حراسة على أبواب غرفنا وعلى أبواب الفندق مما أزعج رفيقنا رشيد جربوع فطلب العودة إلى الفيللا ٧ وتم له ذلك، وقد أطلق سراحه وإخوانه من الفيللا ٧ في حين بقينا نحن في سجن الفندق على حسابنا لمدة أخرى حتى أطلق سراحنا جميعا شرط البقاء في القاهرة وإعطاء عناوين إقامتنا للمخابرات.

اقامة اجبارية مع عمل في القاهرة

وبعد فترة دُعينا إلى اجتماع في احد مراكز الجيش المصري حيث وجدنا اللواء جمال فيصل قائد الجيش الأول والسيد شمس بدران وغيرهما، وأبلغونا أنه تمت الموافقة على عودة معظمنا إلى سوريا، على أن يبقى في مصر أربعة منا، وأنه سيتم تأمين العودة للفريق الأول وتأمين العمل للفريق الثاني وهم محمد كامل صالح وعرفان لوستان ورشيد جربوع وحسن أبورقبة.

وبعدها ابلغونا بمراجعة السيد حسين الشافعي بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل حيث ابلغونا أنه سيتم تعييننا في مؤسسة التأمينات الاجتماعية في دمشق براتب معين ثم إفرازنا إلى المؤسسة في القاهرة براتب إفراز إضافي، مع الإيعاز بالإسراع بإنهاء معاملة رواتبنا التقاعدية. وكان اجتماعنا بالسيد حسين الشافعي جيداً فهو أدرك أننا مظلومون ولا تهمة ضدنا، فأوعز بتعييننا جميعاً في الإدارة العامة للمؤسسة في القاهرة، حيث وجدنا فيها أيضاً السادة فوزي كيالي وعبد الحليم خدام وعصام الأميري من البعثيين

مع رفاق دورة (العلاقات الإنسانية)
في مؤسسة التامينات ـ القاهرة

المقيمين إجبارياً في الإقليم الجنوبي، وكانت تلك بداية صداقتي مع الأخ أبو جمال والتي استمرت حتى بلغ مرتبة نائب رئيس الجمهورية العربية السورية.

عينت في المؤسسة مديراً لقسم التدريب وهو مركز هام أشرفت من خلاله على تنظيم برنامج تدريبي لكل الموظفين في مصر وسوريا، بعد أن درست قوانين التأمينات شخصياً، كما أني من هذا المركز التحقت بدورات تدريبية عديدة منها الأمن الصناعي، ثم برنامج الأمم المتحدة الذي يشمل دورات متتابعة على العلاقات الإنسانية وتنظيم وتبسيط العمل واتصالات العمل، ثم دورة على تحليل وتوصيف وتقييم الوظائف. ومتزوداً بكل حصيلة هذه الدورات والخبرات، أعددت خطة تدريب سنوية لموظفي سوريا ومصر كافأني عليها ماديا ومعنوياً مدير المؤسسة الدكتور محمد وصفي بعد أن أعجبته، كما تقدمت بعدة اقتراحات عملية لتبسيط الإجراءات وتوفير الجهد والمطبوعات وتعب المواطنين وحيرتهم في عدة معاملات لمؤسسة التأمينات، وتلقيت عليها ثناءً أيضاً من المدير العام. وكان رئيسي المباشر السيد أحمد حمودة وهو ضابط مصري من ضحايا صراع محمد نجيب وعبد الناصر مثل رفاقه أحمد المصري وفاروق الأنصاري، وجميعهم من الضباط المصريين المغضوب عليهم والمبعدين عن الجيش، ويتولى حمودة مهمة مدير الإدارة والتدريب والآخران مناصب اخرى في مؤسسة التأمينات في القاهرة.

مع زملاء مؤسسة التأمينات دمشق في زيادة لشلالات كل شهاب

مساعي لاحياء الكيان الفلسطيني

وأود أن اذكر هنا انني قبيل الإنفصال، وكنت ما زلت مقيماً إجبارياً في مصر، قابلت السيد أحمد الشقيري ابن بلدنا عكا برفقة الزميلين رشيد جربوع وعبد الرحمن مفلح لإقناعه بقيادة الكيان الفلسطيني المزمع إنشاؤه نظراً لخبرته وعلاقاته فاعتذر لأنه يشغل منصباً هاماً في الأمم المتحدة رئيساً للوفد السعودي لخدمة فلسطين وقضايا العرب، ولكن بعد إنهاء خدماته في هذا الوفد اتفق مع المصريين على رئاسة الكيان الجديد.

وفي نفس هذه الفترة سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ كانت تجرى محاولات لإحياء كيان فلسطيني كفاحي جديد في القاهرة وبإشراف المخابرات المصرية، وكان الدكتور فاضل زيدان معتمد المصريين لهذه الغاية، فشكل مجموعة لبحث الميثاق الفلسطيني المقترح. وطلب مساهمتي والزميل رشيد جربوع والزميل عبد الفتاح يونس في اجتماعات في عيادته بالسبتية ـ القاهرة لهذا الغرض، وقد ساهمنا فعلاً في اجتماعات متتابعة في دراسة مشروع الميثاق المحضر سلفاً، واذكر اعتراضنا على موضوع الكتائب الفلسطينية، ومطالبتنا بجيش تحرير فلسطيني، وملاحظتنا بشأن ضرورة الانتخاب الشرعي للقيادة الجديدة، ثم اعتراضننا على بند تعريف اليهودي الفلسطيني بأنه كل يهودي تواجد في فلسطين سنة١٩٤٨ حيث كان المبدأ الوطني يعتبر كل يهودي دخل فلسطين في ظل الانتداب البريطاني غريباً غازياً معتدياً لا يستحق الجنسية الفلسطينية. ولاحظت في تلك الفترة المبكرة وجود (يافطة) في عيادة الدكتور زيدان بعنوان(منظمة التحرير الفلسطينية) وكأن كل الأمور من ميثاق واسم للكيان الجديد مهيأة سلفاً من جهات لا اعرفها، وقد تم بعض التعديل وفق الاقتراحات والملاحظات المذكورة أعلاه.

جريمة الإنفصال والعودة إلى سوريا

تحسن وضعنا المادي وانصرفنا لأعمالنا وباشرت تنفيذ خطة التدريب في المحافظات، وفي إحدى الجولات التدريبية في الإسماعيلية تلقيت خبر

الإنفصال في ١٩٦١/٩/٢٨. فعدت فوراً للقاهرة وطلبت الاستقالة للعودة إلى أهلي، فاقترح الدكتور محمد وصفي بقائي في عملي مع تحسين راتبي فاعتذرت، وعدت بعد عدة أيام إلى بيروت ومنها إلى سوريا حيث التحقت بعملي المقرر سابقاً وهو مدير التدريب في مؤسسة التأمينات الاجتماعية بدمشق، واذكر أنه نُقل إلى هذه المؤسسة بعد الإنفصال عدة ضباط مسرحين منهم عبد الكريم الجندي، ونظمت له مع رفاقه دورة تدريبية على التأمينات، ولكنه انتقل منها للمشاركة مباشرة في انقلاب جديد أوصله فيما بعد إلى مركز أمني رئيسي في سوريا (مدير الأمن القومي)، وطبعاً أحزننا الإنفصال كثيراً واعتبرناه جريمة، فنحن أبناء فلسطين وحدويون حتى العظم، ونؤمن بأن الوحدة هي طريقنا لتحرير فلسطين، وبأن الوحدة يجب أن تكون عادلة وديمقراطية تفيد كل الشعب، ولا تقتصر فائدتها على القيادات السياسية والعسكرية. ومع الأسف فان جريمة هذا الإنفصال تقع في رأيي على حكام القاهرة وانفصاليي دمشق على حد سواء بالإضافة إلى رغبات الاستعمار في عدم نجاح أية وحدة عربية. وليس هنا مجال تحديد مسؤولية كل من الرئيس عبد الناصر والمشير عامر وعبد الحميد السراج وعبد الكريم نحلاوي وحيدر كزبري وغيرهم في هذه الجريمة الانفصالية، فقد كتب الكثيرون آراءهم المختلفة، ولكنني أسفت جداً لهذا الإنفصال الذي ضرب حلماً كبيراً لنا، وأسفت أيضاً لأن رجال الوحدة أقدموا على تسريح ٤٢ ضابطاً فلسطينياً من زملائي من مجموع ٤٦ ضابطاً من دورتي وأسفت أخيراً لروح العداء التي تبعت الإنفصال بين الشعبين والجيشين الصديقين في مصر وسوريا مما جعل التفكير بإعادة الوحدة يحتاج إلى زمن طويل جديد لا يعرف مداه إلا الله، كما جعل بقية الأنظمة العربية تتجنب الوقوع في التجربة التي لم تكن ناجحة.

في هذا المجال اسجل ما ورد في مذكرات العماد مصطفى طلاس "مرآة حياتي" الجزء ٢ وهو يتحدث عن عودة الضباط السوريين من مصر بعد الانفصال واجتماع بعضهم مع قائد الجيش آنذاك الفريق زهرالدين فيقول في صفحة ١٤٢:

" ثمّ سأل الفريق زهرالدين: هل يودّ احدكم ان يتكلم شيئاً، او يحدثنا عن شئ؟ فلاذ الجميع بالصمت ما عدا احد الضباط الفلسطينين العاملين في الجيش السوري واسمه الرائد "....."، وكان قد عاد معنا من القاهرة فأنه وقف وتكلم بضع دقائق شتم فيها المصريين وسوء معاملتهم، فلاقى حديثه استهجاناً لا حدود له، ولاسيما ان هذا الضابط معروف "بخطه الجميل"[1] ايام الوحدة، بشهادة المخابرات المصرية".

مقابلة أسامة النقيب بعد سجنه

في فترة الإنفصال رتّب الزميل عبد العزيز الوجيه اجتماعاً مع الدكتور أسامة النقيب في مقهى عائلي قرب القصاع، حيث تذكرنا الماضي والحاضر والمستقبل، وكان الدكتور النقيب خلال الوحدة رئيساً للإتحاد القومي الفلسطيني في سوريا وصديقاً للحكم الناصري السراجي، لذلك عاتبته على موقفه من تسريح واعتقال الضباط الفلسطينيين حيث تمت مهاجمتنا في بعض المخيمات بتهمة معاداة الوحدة والعمل لإنهائها كذباً مما افقدنا التأييد والتضامن من شعبنا اللاجيء في مخيمات سوريا، حيث كان المفروض أن يطالب الدكتور واتحاده الفلسطيني بالتحقيق العادل وحفظ الكرامة وإطلاق سراحنا، وان يقف إلى جانبنا وليس إلى جانب حكم المخابرات. وقد شرح لنا الدكتور عدم وضوح المعلومات لديه في تلك الفترة، ثم حدثنا عن فترة سجنه هو في المزة بعد الإنفصال وما لاقاه من سوء معاملة، وكأننا أصبحنا متساوين في هذا الموضوع...وما منكم إلا واردها...وأصبحنا صديقين ودودين، وما زال الدكتور يعاملنا في مختبره بدمشق معاملة المناضلين ويأبى أن يتقاضى أية تكاليف مقابل الفحوص المخبرية التي نجريها لديه.

---

(١) معروف بخطه الجميل عبارة شائعة تطلق اصطلاحاً على من يقدمون التقارير السرية المأجورة.

استضافة عفيف البزري

مما يذكر أنني في هذه الفترة كنت اسكن لوحدي في بيت في دمشق بانتظار نقل عائلتي من حمص، وكنت نشيطاً في الاتصالات السياسية مع مختلف المعارف ومنهم اليساريون مثل الرفيق يوسف فيصل ودانيال وفريد من الحزب الشيوعي وغيره، وعندما حصل الانقلاب ضد الانفصاليين والذي قاده لؤي الأتاسي وزياد الحريري بتاريخ ١٩٦٣/٣/٨، طلب مني بعض الرفاق استضافة الفريق البزري في بيتي ما دام لا يوجد فيه غيري، وذلك على سبيل الاحتياط من أي إجراء قد يتخذه بحقه الإنقلابيون الجدد، ومن الطبيعي أن أرحب باستضافة هذا الشخص الوطني بحيث يبقى في البيت ليلاً نهاراً ولمدة حوالي أسبوعين، في حين أتوجه إلى عملي المعتاد وأعود ظهراً مع ما تيسر من الطعام والفواكه والصحف إلى أن استقر الوضع فغادر البزري منزلي، ولكنه بقي طيلة عمره يذكر ذلك بالخير، حتى فوجئت به قبل وفاته ببضعة أشهر فقط يزورني في بيتي في بيروت ـ حي الوتوات، ويصعد على قدميه للطابق الرابع حيث أسكن وبدون أي موعد سابق، فرحبت به كثيراً، ويظهر أنه أراد بذلك تكرار الشكر على الاستضافة في دمشق وذلك لآخر مرة قبل وفاته المفاجئة رحمه الله.

مقابلة الاخ ابو مازن

في اواخر الستينات وبعد نشاط المقاومة الفلسطينية ومنها حركة فتح، اظهر الاخ محمود عباس (ابو مازن) رغبة في الاجتماع معي ومع الزميل رشيد جربوع، وكلّف بهذه المهمة صديقنا المشترك ابو صابر سعيدون الذي كان يعمل معه، وقد تمّت المقابلة فعلا في منزل ابو مازن في دمشق، واهم ما فيها موقف الزميل رشيد جربوع حين يتساءل عن مصدر ميزانية فتح آنذاك، فاذا كان من بعض دول الخليج والسعودية، فأن هذه الدول لا تستطيع تبني اي حركة تحريرية الا بموافقة امريكا وليّة امرها، واستطراداً فأن امريكا لن تسمح بتمويل اية حركة معادية للاسرائيلين، وربما لن تقدر

على ذلك، ومن هذا كله تحوم الشكوك حول طبيعة واهداف النشاط الوطني الجديد ومدى علاقته بالأنظمة العربية البترولية ومن خلفها من دول كبرى لها أهدافها واستراجيتها الخاصة.

حديث عن تسريحنا ومحاولات عفيف البزري

وعن تسريحنا وعفيف البزري وعودته إلى دمشق جاء في مذكرات السيد أكرم حوراني مجلد ٣ صفحة ٢٤٩٦ نقلاً عن الضابط مصطفى حمدون ما يلي:

< < عاد عفيف البزري إلى دمشق ولم يضع الوقت سدى على ما يبدو، فقد اتصل بي النقيب توفيق مخلوف وهو من ضباط الإشارة وأبلغني أن عفيف البزري استدعاه إلى بيته وجس نبضه ليعلم مدى استعداده للمشاركة في حركة عسكرية يطيح بها بالنظام القائم مؤكداً له نجاح هذه العملية، لأن عدداً كبيراً من العسكريين يشارك بها، ومن بينهم عدد من الضباط الفلسطينيين اليساريين، وأكد لي بأنه شاهد بأم عينيه في بيت عفيف البزري عدداً من ضباط الصف والعرفاء أثناء الحديث، كما أكد لي بأنه نقل الحديث إلى عبد الحميد السراج.

إن حديث توفيق مخلوف صحيح وإن عفيف البزري لما علم بإفشاء السر وإبلاغه إلينا والى السراخ وخشيته من الفضيحة كلف السراج بالتحقيق لإبعاد الشبهة عن نفسه، ولأنه يعلم أن السراج اضعف من أن يصل بالتحقيق إلى إتهامه، ومن جهة أخرى فإن مصر لم تشأ أن تثير ضجة حول مؤامرة عفيف البزري على الوحدة لأنها تضعف بذلك موقف الرئيس عبد الناصر، وتقوي مراكز البعثيين، ولأنها لم تشأ استثارة الإتحاد السوفيتي في ذلك الظرف بالذات، ولكن عبد الناصر أسرها في نفسه وانتقم من عفيف البزري والضباط الفلسطينيين اليساريين بعد قيام الوحدة بأسابيع (انتهى حديث مصطفى حمدون).

وفي هذا الموضوع اذكر أن لجنة الضباط في الجيش اجتمعت قبل

الوحدة ودرست أوضاع الضباط الفلسطينيين الذين وصلوا إلى رتب ومراكز فعالة، ورأوا ضرورة إنهاء خدماتهم في الجيش السوري، ولكن تسارع وتيرة الوحدة جعلهم يرجئون ذلك قليلاً، وعلمت أن من ابرز دعاة إنهاء خدماتنا كان مصطفى حمدون وأكرم الديري. ومن أول القرارات العسكرية التنظيمية بعد الوحدة كان قرار وضع الضباط الفلسطينيين، وهم حائزون على الجنسية السورية، في كشف خاص بهم بدلاً من وضعهم السابق ضمن كشف ضباط الجيش السوري بأجمعه، ومن الطريف هنا أن أول اسم في كشف الضباط السوريين العاملين آنذاك هو عفيف البزري وأن أول اسم في كشف الضباط الفلسطينيين الجديد كان حسن أبورقبة.

في مذكراته عن (فترة الانفصال في سوريا) كتب الفريق عبد الكريم زهر الدين قائد الجيش السوري بعد الانفصال الكثير عن تلك الفترة، وقد أورد انتقاداً لاذعاً للضابط (ت.م) "الذي انتدب إلى القاهرة فتطوع كمخابراتي حقير ضد رفاق الدرب وأخوة السلاح طمعاً في مكاسب شخصية"، وأورد الفريق زهر الدين أن القيادة عثرت بعد الانفصال في ملفات المخابرات الحربية السورية على أحد تقارير ذلك الضابط يعدد فيها نشاطات الضباط المنتدبين وأحاديثهم في مقهى غروبي في مصر الجديدة التي كانوا يتناولون فيها الاوضاع الوحدوية وينتقدون تصرفات الضباط المصريين وقياداتهم، وقد أورد التقرير أسماء هؤلاء الضباط المنتقدين وذكر منهم رشيد جربوع وحسن ابو رقبة (ص٤٢,). وفي موضوع آخر من محفوظات المخابرات العسكرية السورية أورد الفريق زهر الدين مجموعة برقيات متداولة بين المشير عامر في القاهرة والفريق جمال فيصل في دمشق، جاء في احداها المرسلة من الضابط أحمد حنيدي من القاهرة يذكر فيها رغبة المشير عامر في إرسال أخر ما وصل إليه التحقيق في مؤامرة الضباط الفلسطينيين (ص٣٧,) والتي تبين فيما بعد أن هؤلاء الضباط جميعاً بريئون من أية مؤامرة مزعومة.

وفي ١/٤/١٩٦٢ حصل مؤتمر حمص وتقرر تسفير النحلاوي ورفاقه

خارج الوطن، واعيدت الحياة الدستورية النيابيه، وشكلت وزارة سورية برئاسة بشير العظمة في ١٦/ ٤/ ١٩٦٢، وحدث في هذه الفترة أن شكلت الحكومة لجنة من ١٤ فلسطينياً في سوريا لتكون مرجعية للفلسطينيين وصلة وصل بينهم وبين الحكومة وكانت هذه اللجنة مرتبطة بمندوب الحكومة الصديق صبيح القلعي وتحت رعاية وزير الشؤون الاجتماعية السيد أحمد عبد الكريم الذي افتتح اعمالها بكلمة توجيهية تكرم فيها بتوجيه تحية خاصة لشخصي كزميل سلاح ورفيق درب سياسي تقدمي وطني.

في هذا المجال بعد مؤتمر حمص وتسوية الأوضاع السياسية مؤقتاً جرى عقد مؤتمر شتورا في ٢٢/ ٨/ ١٩٦٢ بدعوى من سوريا ضد مصر، وقد أثيرت قضية الاعتقالات أثناء الوحدة بصورة عامة، واضطهاد الضباط الفلسطينيين بصورة خاصة، حيث أوضح عضو الوفد السوري السيد أمين نفوري وغيره أن رجال المخابرات المصريين تسلطوا على ضباط الجيش السوري، فلم يكتفوا بتسريحهم التعسفي وتشريدهم بل لجأوا إلى اعتقال عدد كبير منهم، وهي المرة الأولى في تاريخ الجيش السوري التي يتعرض فيها الضباط للاعتقال بالجملة بتهم كاذبة، بالاضافة إلى تعرضهم في سجن المزة للتعذيب والتنكيل الجسدي كما أوضح أن بعض هؤلاء الضباط المعتقلين خرجوا من السجن وهم مصابون بعاهات جسدية وعقلية. وقد جاء في كتاب (مؤتمر شتورا ـ ص ٦٩ ـ ٧٠) :

نذكر من هؤلاء الضباط على سبيل المثال ما يلي :

ـ الضابط عبد الرزاق اليحيى (فلسطيني) اختلال في قواه العقلية نتيجة التعذيب الجسدي والنفسي. ـ الضابط عقل محمود دحيلية (فلسطيني) انثلام في لسانه مما جعله عاجزاً عن النطق مدة طويلة. ـ الضابط يوسف يازجي (سوري) وبهجت عبد الأمين (فلسطيني) ومحمد زلفو وليون بارانسيون ومطيع منصور (سوريون) وعلي بشناق وأسعد دبور وغيرهم (فلسطينيون). وورد في الكتاب المذكور أيضاً : وقد سرحت القيادة المصرية جميع الضباط الفلسطينيين من الجيش، وأبقت على أربعة منهم فقط هم: محمد

ابو حجلة ومحمد ابو غزالة وفتحي سعدالدين ونادر شخشير.

من دمشق الى بيروت: (الهيئة والشركة)

خلال فترة عملنا في مؤسسة التأمينات الاجتماعية جرى انقلاب الحريري بتاريخ ١٩٦٣/٣/٨ ضد النحلاوي، وبتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٣ تم تنفيذ انقلاب حزب البعث، وأصبح أمين الحافظ وزيراً للداخلية، وهو صديق قديم، ومع ذلك فوجئت بصدور قرار إنهاء خدمتي وإخواني من التأمينات مع دفع تعويض نهاية الخدمة لنا، وتصادف ذلك مع اضطراري لإجراء عملية جراحية خطيرة في الجمجمة لوالدتي، وكان التعويض المالي عن التسريح مناسباً وفي وقته لتأمين نفقات العملية التي نجحت مبدئياً، ثم تعرضت الوالدة الغالية لانتكاسة توفيت على أثرها وقد دفنت في دمشق، وقد بكيتها كثيراً ولا أزال، لأنها مثل الكثير من الأمهات الفلسطينيات جاهدت لترى ابنها ناجحاً ولو نسبياً، ولكنها توفيت قبل أن يكتمل النجاح بالعودة إلى فلسطين.

أصبحنا في البيت في دمشق أربعة رجال هم الأب والأخوين فتح الله وعبد الغني وأنا وكلنا بحاجة لمن يرعانا، في حين أن أخواتي وبقية أهلي مقيمون كلاجئين في برج البراجنة ـ لبنان، وقد تطوعت إحدى القريبات (أم عصام أبو رقبة كنفاني) لخدمتنا مشكورة لفترة وبشكل متقطع، في حين كنت أفكر في تأمين عمل جديد لإكمال المرحلة الجديدة من الحياة.

في ذلك الوقت قرأت إعلاناً في الصحف عن وظيفة في قطر ـ تدريب المشرفين ـ فقدمت طلباً مرفقاً بالوثائق والشهادات. وانتظرت الجواب، وفي نفس الوقت عرض علي الأخ عبد الكريم عمر والأخ زياد الخطيب اقتراح العمل مع الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين في بيروت. وحدث أن تلقيت الموافقة على عمل قطر مع عقد عمل حيث توفرت في طلبي المواصفات المطلوبة لتلك الوظيفة حسبما اخبرني الأخ عزمي نسيبة الذي كان يعمل في قطر والذي طلبت مساعدته في موضوع

العمل، للتوسط لدى الأخ فايز قدورة بهذا الشأن، وتم ذلك في نفس فترة عرض العمل من الهيئة العربية العليا في بيروت. ورغم الفارق الكبير في العائدات المادية فقد فضلت العمل في الهيئة العربية، حيث كنت مهتماً دائماً بالعمل السياسي وبنشاط الهيئة برئاسة الحاج أمين الحسيني الذي كان مالىء الدنيا وشاغل الناس، لذلك قابلت وزير الداخلية السوري آنذاك السيد أمين الحافظ وطلبت إذناً بالإقامة كمتقاعد في لبنان مع أهلي فاستحصل لي على الإذن المطلوب بموافقة وزير المالية.

وعندما حدثت حركة ١٨/٧/١٩٦٢ الناصرية واشترك فيها بعض الفلسطينيين وهاجموا رئاسة الأركان السورية نهاراً، دافعت السلطات السورية عن وجودها وهزمت المعتدين وقدمتهم للمحاكمة العسكرية وأعدمتهم.

وقد قام الفريق أمين الحافظ وزير الدفاع آنذاك بدعوتنا للاجتماع به حيث أبلغنا أن المهاجمين الفلسطينيين قاتلوا ببسالة ولكن القضية الداخلية ليست قضيتهم، لذلك أعدمناهم ولكن عائلاتهم من نساء وأطفال لا ذنب لهم فيما حدث، لذلك قررت تكليف لجنة من حسن أبو رقبة وعبد العزيز الوجيه وعلي بشناق لتوزع مساعداتنا المالية على ذوي الضحايا، وبالفعل قدم لنا المبلغ حيث تم توزيعه على العائلات بمعاونة أحد كبار تجار (الحريقة) الفلسطينيين الذي يعرف تلك العائلات ويرعى معظم شؤونها .

بداية النضال المسلح الفلسطيني

في مطلع الستينات كان المحيط الفلسطيني عامةً يغلي ويتحرك باحثاً عن مهمات وطنية مناسبة، وبالإضافة إلى جهود القاهرة لوضع ميثاق وطني فلسطيني جديد وإنشاء كيان فلسطيني بقيادة جديدة، فقد تعددت محاولات العمل الوطني الفدائي، وبدأت حركة فتح تظهر تدريجياً إلى العلن مع صحيفتها (فلسطيننا) كما كان السيد أحمد جبريل مستمراً في زيادة قدراته العسكرية والمالية، وفي هذا المجال أذكر زيارة الزميل علي بشناق لبيتي

في جادة الخطيب قرب القصاع ـ دمشق وبرفقته الزميل عثمان حداد وشخص ثالث، حيث عرض أهمية وضرورة انخراط الجميع في العمل الوطني الكفاحي، وأشار إلى أهمية مساهمة دورة الضباط الفلسطينيين في هذه الجهود، وكان بشناق آنذاك شخصاً قيادياً في منظمة الصديق أحمد جبريل شقيق زوجته، أما عثمان حداد فقد كان متعاوناً أيضاً مع تنظيم جبريل، ومعروف أنه كان أيضاً صديقاً للسلطات السورية، التي دعمته فيما بعد ليتسلم منصب رئيس أركان جيش التحرير الفلسطيني.

وفي هذا المجال أذكر أيضاً جهود الزملاء عبد العزيز الوجيه وسمير الخطيب وعبد الرزاق اليحيى لانشاء تنظيم كفاح مسلح، وبشكل سري أيضاً، وفاتحني عبد العزيز بذلك مقترحاً انضمامي اليهم، فأوضحت بأني لست مع تعدد التنظيمات وتفريق الصفوف والقيادات، وإزاء هذه التطورات دعوت زملاء دورتي الى اجتماع في منزلي الجديد في الشريبشات / دمشق فلبى الدعوة عدد لابأس به منهم، وجرى البحث في دور دورتنا الضروري في هذه الفترة، وقد عرضت ثلاثة اقتراحات هي العمل مع القيادة الوطنية التاريخية لفلسطين وهي الهيئة العربية العليا لفلسطين بقيادة الحاج أمين الحسيني الذي يسعى الكثيرون لاستبداله بقيادة جديدة بغية تغيير المسار الوطني المتصلّب، وإما الانضمام للكيان الجديد المقترح ولجيش التحرير المقبل التابع له، أو العمل على انشاء تنظيم مستقل جديد من زملاء الدورة وأنصارهم لقيادة العمل الفلسطيني العسكري مباشرة، وقد انتهى الاجتماع الى التصويت فارتأى اغلبية الحاضرين افضلية الانضمام الى الكيان الجديد وجيش التحرير الفلسطيني العائد له.

أما في هذه الفترة التي أعقبت الإنفصال فقد قمت بنشاطات واتصالات سياسية متفرقة، وخاصة بعد عودة رفاقنا الذين اضطروا إلى مغادرة سوريا خلال الوحدة إفلاتاً من قبضة عبد الحميد السراج الظالمة، فانتقلوا آنذاك إلى لبنان، وهم واصف جيوسي ـ سميح الشاهد ـ أمين نور الله ـ محمد الشاعر ـ احمد زلوم ـ حسام طهبوب ـ سعد عزوني ـ جواد غبد الرحيم،

وعندما علموا بمشروع اغتيالهم في لبنان غادروه فوراً إلى بلغاريا وتمت المغادرة بمساعدة بعض أركان الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، مما زاد من العلاقات بيننا وبين الكتلة الاشتراكية علماً أن أغلبيتنا الساحقة من القوميين الوحدويين الإشتراكيين، وأننا جميعاً في تلك الفترة كنا ندعو إلى إقامة افضل العلاقات مع الكتلة الشرقية التي تعادي الاستعمار الغربي، والتي كانت تُعتبر القوة العالمية الوحيدة القادرة على تحقيق التوازن مع الغرب من جهة وعلى إمدادنا بالكثير مما نحتاج اليه في المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية من جهة أخرى، وكنت اجتمع مع بعض الرفاق ومنهم يوسف فيصل الذي يستطيع بسهولة أن يكسب عقلك وقلبك، وخلال اجتماعاتنا نبحث أوضاعنا الطارئة، وكنت اختلف مع غالبيتهم في موضوع فلسطين والدين، حيث أشجب موافقة روسيا على تقسيم فلسطين، وأعارض الموقف العام اليساري من موضوع الدين. وقد تعددت لقاءاتنا أيضاً مع زملائنا الخارجين من سجن المزة ثم مع رفاقنا العائدين من منفى بلغاريا.

بالنسبة للمزة فقد سمعت من إخواني عبد الكريم عمر وعيسى الدجاني وعلي بشناق وعقل دحيلية وبهجت عبد الأمين وإبراهيم توفيق ومحمد الحلبي ومصباح البديري وعبد الرحمن مفلح وغيرهم، وقبلهم من عبد الرزاق اليحيى، أخبار التحقيق وأنواع التعذيب الذي تعرضوا له بتهمة الشيوعية والانفصالية والانقلابية، بحيث أدى ذلك إلى نسبة اختلال عقلي كبيرة لدى عبد الرزاق اليحيى والى قص قطعة من لسان عقل دحيلية نتيجة الكهرباء والى أمراض داخلية ونفسية عديدة أصابت الآخرين بسبب ما مارسه ضدهم عدد من ضباط المخابرات، الذين كانوا يريدون تركيب مؤامرة انقلابية مزعومة، ومنهم ثابت برو وعبد الوهاب الخطيب والمحامي بهجت مسوتي وعارف جاجة وغيرهم وذلك لكي يتحدث عبد الناصر عن هذه المؤامرة في خطاب ذكرى ٢٣ يوليو القادمة، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام مجموعة مؤامرات انقلابية متضاربة مفبركة اخترعها الضباط المسجونون

تحت التعذيب لإرضاء المحققين وتخفيف العذاب عنهم، علما أنهم جميعاً خرجوا من السجن فيما بعد أبرياء وبدون أية تهمة أو محاكمة أو حكم!!

بالنسبة الى رفاقنا المهاجرين إلى لبنان وبلغاريا فقد لحقت بهم عائلاتهم إلى لبنان أولاً، ولكن أعين السراج ومخابراته لاحقتهم، وعلمت من احد الموثوقين أن مخابرات السراج كلفت مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين التابعين آنذاك للجيش السوري بالسفر إلى لبنان وزودتهم بصور أولئك الضباط الفلسطينيين ليتولوا ملاحقتهم واغتيالهم في لبنان. وقد نقل احد الفدائيين (أبو سليم الشجراوي)هذه التعليمات إلى قريبه أبو مهند الذي استهول الأمر وسارع إلى إيصاله إلى لبنان محذراً، مما دفع الضباط هناك إلى مغادرتها مع عائلاتهم إلى بلغاريا، وهناك عوملوا جيداً مع محاولات تثقيفية وتنظيمية، ولم يستطيعوا العودة إلا بعد الإنفصال حيث اجتمعنا من جديد في دمشق.

في لبنان: الهيئة العربية والشركة

مع الحاج أمين الحسيني المهندس عربي نسيبة وفيق الحسيني وعبد الكريم عمرو حيدر الحسيني في منتزة المنصورية جبل لبنان

في سنة ١٩٦٣ انتقلت مع عائلتي إلى بيروت حيث بدأ عملي في الهيئة - قسم الشؤون الخارجية - مع السيد إميل الغوري. وفي نفس الوقت تم إنشاء شركة اتحاد المهندسين والمقاولين برئاسة صديقنا المهندس عزمي نسيبة وبالتعاون مع الحاج أمين الحسيني، الذي ساهم شخصياً في الشركة بأسم صهره حيدر كامل الحسيني، ومن ميزانية الهيئة بأسم محاسبها سعدالدين عبداللطيف، ومن المساهمين ايضاً

اجتماع الوالد والاعمام مجدداً في بيروت

اللواء وجيه المدني اول قائد لجيش التحرير الفلسطيني ومدربنا في قطنا، وحوالي خمسين شريكاً عربياً متضامناً منهم الأخ المهندس خليل ابوالرُب الذي تسلّم ادارة فرع الشركة في ليبيا، ولم يوفق الفرع هناك فطلب اعفاءه من ادارته، شاكياً من سوء الاحوال بحيث اصبح يعتمد اساساً على المعكرونة في اطعام اسرته، وقد تمّت الموافقة على انهاء مهمته، فعاد الى الدوحة / قطر حيث بدأ من الصفر مستفيدا من مواهبه الاخلاقية والفنية، فأعاد بناء نفسه من جديد واصبح مديرا عاما لشركة متخصصة في اعمال تعبيد الطرقات والاوتستردات وارصفتها وبنيتها التحتية، اضافة الى الفيللات ومختلف الابنية السكنية، وبذلك اصحبت شركته الجديدة اهم واكبر من شركتنا الام المشتركة، وعبّر ابو خليل عن نجاحه وتفوقه بتبني اعمال الخير على مختلف انواعها الوطنية والتعليمية والاجتماعية.

ومن الشركاء اذكر ايضا الاخ فايز قدّورة وكان من كبار موظفي التعليم المهني في قطر وصديقا لاميرها، وقدّم لامارة قطر خدمات جليلة عديدة. وقد شاركه في ذلك من شركائنا المهندس صدقي خضر وكان موظفا رئيسيا كبيرا في وزارة الاشغال وساهم من موقعه هذا في التخطيط والتنفيذ للكثير من مشاريع ابنية المدارس والدوائر الحكومية والطرقات وغيرها وما زالت بصماته في نهضة قطر العمرانية شاهدا قويا على ذلك حتى الآن.

واذكر من الشركاء ايضاً السيد محمد ابراهيم عبدالهادي وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية في الدوحة / قطر آنذاك والذي قدّم آلاف الخدمات للكثيرين، كما اهتم على المستوى الشخصي بالاعمال الثقافية العليا وقام باعداد مكتبة فنية موسيقية غنائية في بيته تحتوي على الكثير من الاشرطة التاريخية الفنية النادرة.

فيللا الشيخ جابر بن حمد آل ثاني بنتها الشركة في ظهر الوحش ـ عاليه

وهذا كله بالاضافة الى شركاء يحملون الجنسيات السعودية والقطرية والسورية واللبنانية والاردنية مشكلين بذلك وحدة عربية مصغرة، وقد عيّنت مديراً إدارياً للشركة، وكان اول مدير لفرع لبنان الزعيم المهندس نقولا منصور احد كبار ضباط سلاح الهندسة السوري، وبعده المقدم حازم محمود الخالدي مدير دورتنا العسكرية في قطنا واحد كبار الخبراء العاملين في شركات البترول البريطانية، وقد اقامت الشركة فروعا لها في ليبيا وفي القدس (قبل حتلالها) وفي ابوظبي، وقد ساهم مديرنا المهندس عزمي نسيبة في انشاء شركة المانع للهندسة والمقاولات في قطر بالمشاركة مع الاخوة الكرام خالد المانع وزير الصحة وعبداللطيف المانع وغيرهما من آل المانع الكرام، وكانت شركة اتحاد المهندسين والمقاولين في لبنان شريكة لشركة المانع في الفرع التجاري الخاص بتجارة مواد البناء على اختلافها، وكانت مستودعات هذا الفرع اكبر المستودعات من نوعها في قطر كلها. وبالنسبة لي شخصيا فقد كنت اصغر مساهم في الشركة اذ كنت املك سهمين من اصل ٩٠١ سهماً، وقد استدنت قيمتهما آنذاك (الفي ليرة لبنانية) من سماحة المفتي الحسيني، وبقيت مديرا اداريا للشركة حتى اشتعال احداث لبنان وانتقال الادارة العامة نهائيا الى قطر، فتمّ تعييني مديرا لفرع الشركة في لبنان. وقد استُعملت الشركة فعلاً ايضاً كغطاء للنشاط السياسي لعدد من الضباط الزملاء منهم جواد عبد الرحيم (محاسب الشركة) كما كانت محطة انتقالية للزملاء محمد الحلبي وحسام طهبوب وسعد عزوني عند عودتهم من بلغاريا في الطريق إلى دمشق، حيث تم توظيف كل منهم في الشركة حتّى يحين موعد العودة، وقد تم ذلك بالتفاهم بين مدير عام الشركة المهندس عزمي نُسيبة وسماحة الحاج أمين

الحسيني، الذي كان يضع في زملاء دورة ١٩٤٨ ثقة كبيرة، وكان متألماً لما أصابهم على أيدي حكم الرئيس عبد الناصر الذي لم يكن على وفاق معه في كثير من الأمور ومنها إقدامه على إحالة القسم الأكبر من الضباط الفلسطينيين إلى التقاعد ثم اعتقالهم وتعذيبهم ومطاردتهم.

خلال العمل في شركة اتحاد المهندسين والمقاولين قامت الشركة ببناء بنايات سكنية في عدة مناطق منها بناية (البرج الأخضر) في تلة الخياط، وبناية المهندسين في عين الرمانة وبناية (الصنوبر) على طريق المطار وبناية (الدار البيضاء) في بئر حسن، كما نفذت مشروع فيللا الحاج أمين الحسيني ومكاتب الهيئة العربية العليا في المنتزه - منصورية المتن، وفيللا عبد السلام أبو عيسى في كيفون، وقصر الشيخ جاسم بن جبر آل ثاني في ضهر الوحش قرب عاليه وفي سوريا نفذت مشروع ايصال القدرة الكهربائية من سدّ الفرات حتى حلب.

بناية (الدار البيضاء) في بئر حسن - بيروت

وما لبثت الأوضاع السياسية أن أخذت في التطور النوعي على الصعيد الفلسطيني، حيث تسارعت حركة إنشاء كيان فلسطيني جديد بدل الهيئة العربية العليا لفلسطين من جهة، وبدأت تصلنا نشرة (فلسطيننا) من حركة فتح من جهة ثانية، كما ازداد نشاط الأخ احمد جبريل في الميدان التحضيري للكفاح المسلح، وكنت بمثابة ضابط ارتباط بينه وبين المفتي.

سنة ١٩٦٣ أوفدني الحاج أمين إلى الكويت لمقابلة بعض الأركان المؤسسين لحركة فتح ومنهم علي الحسن والتباحث بشأن الرؤية للكيان

الفلسطيني الجديد، حيث توافقنا على المطالبة بجيش تحرير، وبانتخابات ديمقراطية وباستقلالية سياسية. بعد ذلك سافرت برفقة الأستاذ إميل الغوري إلى سويسرا لمقابلة الحبيب بو رقيبة الرئيس التونسي المتزوج حديثاً، وقد دعانا للعشاء على مائدته في منتجع برختسغادن واستمع إلينا، ثم اقترح علينا السفر إلى تونس لعرض أفكارنا على رئيس الحكومة الباهي الأدغم، وبالفعل توجهنا إلى تونس ورافقنا السيد علالا العويتي سكرتير الرئيس بو رقيبة وأمن لنا ضيافة رسمية ومقابلات هامة مع الباهي الأدغم وغيره، وقابلت في تونس الحبيب الابن الذي سبق أن زارنا مع والده في عكا، وانتقلنا بعد ذلك إلى ليبيا لإجراء بعض المقابلات ضمن نفس الغاية، وأذكر زيارتنا لمجاهد ليبي كبير في مزرعته الرائعة حيث ذكر علاقته مع المفتي بكل خير وأبدى استعداده لكل تعاون، وكان ذلك كله تمهيداً لمؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة الذي دعا إليه الرئيس عبد الناصر تحت عنوان بحث الموضوع الفلسطيني والكيان الجديد وتحويل روافد الأردن.

أعدّت الهيئة العربية دراسة هامة مجهزة بالصور اللازمة عن المشروع الصهيوني لتحويل نهر الأردن وخطورته، وعندما تشكلت الوفود العربية للمؤتمر كان احمد حلمي باشا ممثل فلسطين قد أقعده المرض قبل وفاته في ١٩٦٧/٦/٢٩، ولم يكن الأستاذ الشقيري قد اعتُمد رئيساً لمنظمة التحرير. وقد رأى الحاج أمين ضرورة عدم غياب فلسطين وخاصة الهيئة عن هذا المؤتمر، وكلّفني بالسعي الجاد لأحضره شخصياً رغم صعوبة ذلك.

مؤتمر القمة العربية الأول

تزودت بكتاب خاص من المفتي لوزير الخارجية السورية السيد حسان مريود، وقدمته له في دمشق، فاستقبله بكل احترام لأن السيد حسان مريود ووالده المجاهد احمد مريود لهما معرفة حميمة سابقة بالمفتي عندما استقبلهما وأكرمهما في القدس خلال الثورة الكبرى. وعندما قرأ الوزير

الرسالة اظهر صعوبة انضمامي للوفد السوري الذي تعينه قيادة الدولة والذي تم تعيينه فعلاً ليسافر إلى القاهرة، فطلبت مساعدتي بمنحي جواز سفر دبلوماسي باسمي وأقوم بالباقي على مسؤوليتي، فوافق على ذلك وسلمني جواز السفر، فحجزت للقاهرة صباح اليوم التالي، وانطلقت بطائرة من دمشق إلى القاهرة، حيث منعوني في المطار من الدخول وذلك في ١٣/ ١/ ١٩٦٤، رغم جواز سفري الدبلوماسي بحجة أن الوفد السوري وصل بكامله وفق كشف بالأسماء، وأن اسمي غير وارد بالكشف المذكور، وأفادوا بعد قليل أني كنت موقوفاً في القاهرة ولي سجل لديهم، ولكنني أصريت على أهمية الدخول لحضور مؤتمر القمة لأني عينت إضافة إلى الوفد واحمل جوازاً دبلوماسياً وكذلك الدراسة الرسمية الخاصة بتحويل الروافد لتسليمها للوفد السوري وأن منعي من الدخول يسيء إلى العلاقات التي تحسنت مؤخراً، وقد حاول المسئولون في امن المطار الاتصال بفندق هيلتون والوفد السوري للاستفسار عن وضعي فكان الجواب أن جميع الوفود حاليا في جلسة الافتتاح الرسمية ولا يمكن مراجعة احد، فاقترحت على امن المطار أن يرافقني رجال الأمن إلى فندق هيلتون بدون تأخير، حيث الوفد السوري، للإستعلام منه عن

باسم حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية
نحن وزير الشؤون الخارجية في الجمهورية السورية نطلب الى مثيلي السلطات المدنية والعسكرية المكلفين بالمحافظة على الأمن في أراضي الجمهورية السورية ونرجو من الجهات التي تمارس نفوذها السلطات في الدول الصديقة والمحالفة للجمهورية السورية تسهيل سفر السيد حسن ابو رقبة
المتوجه الى جميع البلدان
والسماح له بحرية المرور ومساعدته عند الحاجة
دمشق في ٣ ايار ١٩٦٤
وزير الخارجية

جواز السفر الدبلوماسي السوري
لحضور مؤتمر القمة

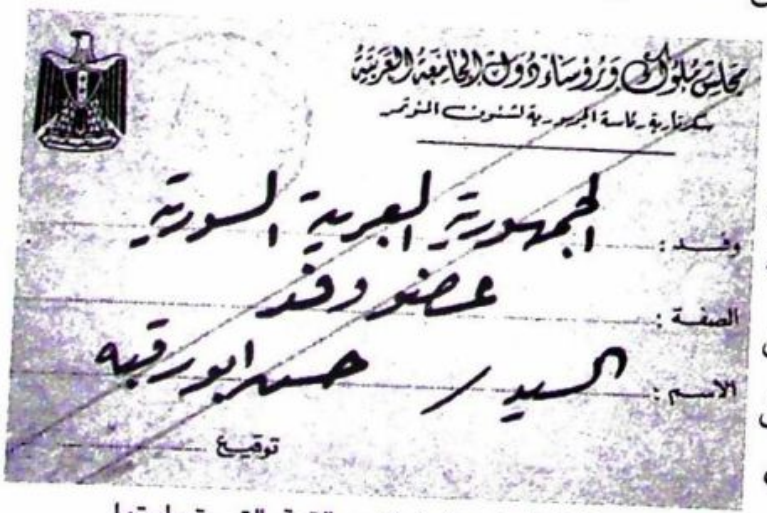
مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية
سكرتارية مجلس الجامعة العربية للشؤون المؤتمر
وفد: الجمهورية العربية السورية
الصفة: عضو وفد
الاسم: السيد حسن ابو رقبة
توقيع

بطاقة العضوية لمؤتمر القمة التي تسلمتها
في فندق هيتون

وضعي، وبالفعل وافقوا على ذلك، ووصلنا الهيلتون وصعدنا إلى جناح الوفد السوري، وكان قد عاد من جلسة الافتتاح الطويلة، وعندما رآني الرئيس أمين الحافظ رئيس الوفد سألني مستغرباً: ما الذي أحضرك إلى هنا يا حسن؟ فأجبته أنّي إنضممت إلى الوفد السوري بمعرفة وزارة الخارجية وأنّي احمل الدراسة الخاصة بتحويل الروافد وهو موضوع البحث في القمة، وطالبته بأنْ يبلّغ حالياً المخابرات المصرية ورجال امن المطار أنّي من الوفد السوري ليخلوا سبيلي الآن، وبعد ذلك اشرح الأمور تفصيلياً، فأدرك ما اعنيه وبادر إلى اعتباري من الوفد السوري فانضممت فعلاً إلى الوفد وحجزوا لي غرفة في الهيلتون وسلموني الشارة الخاصة بعضوية المؤتمر، وصرت أمارس عملي كعضو في الوفد، وكانت أولى الممارسات صبيحة اليوم التالي أن وافقت بصفتي الرسمية على دخول وفد من الهيئة العربية العليا لفلسطين في القاهرة إلى فندق الهيلتون لمقابلتي ولتسجيل رسالة في السجل الرسمي للمؤتمر، وكان الوفد يضم اسحق درويش وموسى أبو السعود وخليل خليف وغيرهم حيث سجلوا أول رسالة تحية في سجل مؤتمر القمة الأول يتمنون فيها على الوفود العربية الاهتمام بقضية فلسطين وبموضوع تحريرها وحقوق شعوبها ومقاومة الصهيونية وليس بموضوع تحويل الروافد فحسب.

صورة نشرتها (الأهرام) للرئيس عبد الناصر وامين الحافظ ويظهر حسن أبو رقية وزياد موصللي في مطار القاهرة

واذكر أنّي حملت في نفس الوقت بيان الهيئة بشأن وجهة نظرها في تشكيل الكيان الجديد، وعندما سلمته للدرديري إسماعيل المساعد السوداني لأمين عام الجامعة العربية في مكتبه بالفندق واطلع على مضمونه وجّه

ملاحظة لنا بضرورة توحيد الموقف الفلسطيني فأجبته أن تدخل الدول العربية الحالي هو الذي يسبب الانشقاق في الصف الفلسطيني لأنه سيوجد قيادتين فلسطينيتين بدل القيادة الواحدة المنتخبة والتي يمكن أن تتبوأ قيادة العمل الفلسطيني لوحدها، حيث يعترف بها الجميع ما دامت منتخبة.

وأذكر أني خلال المؤتمر قابلت الدكتور فاضل زيدان الذي يعمل للكيان الجديد فأعلمني أن مكاني محفوظ في التشكيلة الجديدة مع الزميلين رشيد جربوع وعبد الفتاح يونس، وأنه اخذ موافقة السيد كمال رفعت على ذلك، فأعلمته أني مع الهيئة العربية، فقال أنه يبحث في تأمين المكان اللائق للحاج أمين أيضاً ضمن الكيان الجديد.

واذكر أيضاً في فترة المؤتمر أن الصديق اللواء عدنان طيارة عضو المؤتمر اخبرني أنه اقترح على أمين الحافظ ارتداء قميص خاص واقي من الرصاص، لأن العلاقات بين مصر وسوريا لم تكن على ما يرام، ولكنه رفض ذلك، كما اذكر أنه طلب اقتراض مائة جنيه بالعملة المصرية فقدمتها له ليوزعها رئيس الجمهورية السورية إكراميات على المصريين المرافقين ولكنه أعادها إلي بدون تأخير لأنهم اعتذروا عن قبول تلك الإكراميات. وقد تضمن المؤتمر عشاء في قصر عابدين الفخم، كما تضمن مناقشات جانبية كثيرة لحل موضوع الخلاف السعودي المصري بشأن اليمن والعلاقات الأخرى والوضع في سوريا والعراق وغيرها.

وقد تقرر في هذا المؤتمر إنشاء كيان فلسطيني جديد وتكليف الأستاذ احمد الشقيري باستطلاع آراء الفلسطينيين وتقديم دراسته واقتراحاته بهذا الشأن، وكان هناك تحفظ سعودي على اسم الشقيري، كما تقرر عقد مؤتمر قمة ثانٍ آخر في القاهرة في أواخر السنة نفسها.

تهمة محاولة اغتيال الشقيري

عدت من القاهرة بطائرة الوفد السوري الرسمي. والتحقت بعملي في بيروت وقدمت تقريراً للمفتي، فقدر لي مغامرتي ونجاحي في حضور تلك القمة. سافرت بعد ذلك للكويت ثانية لشرح آراء الهيئة ووجهة نظرها لدى

الفلسطينيين هناك، ولكن السلطات الكويتية اعتقلتني بتهمة نية اغتيال الشقيري، وقد نفيت ذلك تماماً، وعلم أركان فتح بالاعتقال فاتصلوا بالمسؤولين، وحضر لمكان الاعتقال الشيخ سعد الصباح وزير الداخلية آنذاك ليحقق شخصياً بالأمر فأوضحت أننا لسنا رجال اغتيالات، وأن الشقيري من بلدي عكا وصديق لأهلي، وأنا مختلف معه سياسيا واحمل رأي الهيئة في بيانات مطبوعة للاتصال بالفلسطينيين هنا، وأن الكويت الديمقراطية التي تسمح للشقيري بالاتصالات وشرح وجهة نظره لا يمكن أن تبخل على القيادة الفلسطينية التاريخية للشعب بإجراء اللازم من الاتصالات لشرح وجهة نظرها سلمياً وديمقراطياً، فوافق الشيخ سعد على إخلاء سبيلي فوراً ولكنه أشار بشكل غير مباشر إلى ضرورة مغادرة الكويت في اليوم التالي.

بعد مؤتمر القمة الأول وضمن جولات الأستاذ الشقيري اذكر حضوره إلى دمشق واجتماعه بالفلسطينيين في فندق أمية، حيث كان بعضهم صريحاً في معارضة ارتباط الكيان الجديد بالمخابرات العربية وخاصة المصرية والأردنية، ومعارضة القبول بمبدأ تعيين قيادة فلسطينية بدل انتخابها من الشعب. ودعاني الأستاذ الشقيري للغذاء مع الأخوين رشيد جربوع وعبد الفتاح يونس في مطعم الفندق، وأعاد علينا نفس العرض بشأن العمل ضمن منظمة التحرير الفلسطينية المستحدثة، مؤكدا موافقة السلطات المصرية المختصة على أسمائنا،وقد اعتذرت ثانية لارتباطي بالهيئة من جهة ولتحفظاتي السياسية على طريقة إنشاء الكيان الجديد بالتعيين بدل الانتخاب من جهة ثانية، وقد جرى بالفعل بعد ذلك تعيين الأخوين رشيد وعبد الفتاح عضوين في المجلس الوطني الفلسطيني الأول، ثم جرى بعد ذلك تعيين رشيد سفيراً للمنظمة في الصين وعبد الفتاح عضواً للشؤون الخارجية في أول لجنة تنفيذية للمنظمة، كما تم التوافق على ضابط ثالث بدلاً مني هو الزميل المهندس مصطفى سحتوت، وعين أول رئيس لمكتب المنظمة في دمشق.

مؤتمر القدس والاعتقال في نابلس

لم تكن العلاقات بين الهيئة العربية العليا والمنظمة الوليدة علاقات ودية، لأننا شعرنا أن المقصود بإنشاء المنظمة على هذا الشكل هو إقصاء قيادة المفتي العنيدة المستقلة النضالية والتمهيد لقيادات فلسطينية أخرى تكون أكثر انسجاماً مع السياسات العليا والعربية لإيجاد تسويات وحلول مختلفة للقضية الفلسطينية، بحيث ترتاح معظم حكومات الزعماء العرب من عبء حمل القضية الفلسطينية المقدسة.

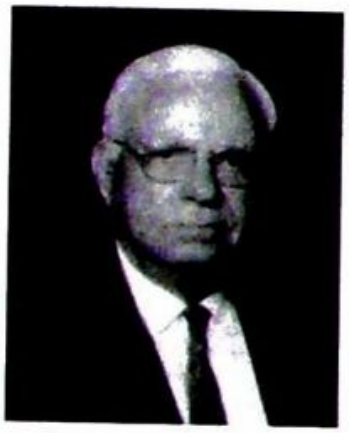

الصديق الكريم رفعت النمر

وكان الأستاذ الشقيري قد عمل على إيجاد مجالات تعاون مع الحاج أمين، فأوفد أكثر من مندوب له ومنهم السيد رفعت النمر ليعرضوا على المفتي أن يكون رئيس شرف للمنظمة أو رئيساً لمجلسها الوطني الجديد. لكن المفتي اعتذر وأوضح أسباب اعتذاره، وخاصة أن الأستاذ الشقيري كان قد قابل، بشكل خاص، المفتي عند بدء تكليفه بإنشاء الكيان، ولما سأله المفتي هل أن الزعماء العرب صادقون في هذا العمل؟ فأجابه: والله أنهم غير صادقين، وأنه محرج بهذا الموضوع، ويتمنى أن يجد لنفسه منه مخرجاً، وتم بحث المخارج، فصار الاتفاق على أن يزود المفتي الأستاذ الشقيري بكتب توصية لدول المغرب الثلاثة المحررة أخيراً (تونس والمغرب والجزائر) لتستفيد من الأستاذ الشقيري وتكليفه برئاسة وفد إحداها إلى الأمم المتحدة بسبب خبرته وسابق جهاده من اجل دول المغرب، وقد اخذ الأستاذ الشقيري الكتب الثلاثة وسافر إلى القاهرة، وبعد وصوله إليها أعلن قبوله التكليف الجديد، واعتبر كتب المفتي شهادات حسن سلوك يبرزها لهذا وذاك دفاعاً عن نفسه من انتقادات الهيئة له فيما بعد. ومما يذكر في هذا المجال أن تكليف الأستاذ الشقيري شخصياً ولهذه المهمة بالذات كان في رأي معظم عناصر الهيئة تكليفاً مرحلياً وبشكل مؤقت، حتى يمكن تهيئة المجال لقيادة اخرى جديدة أيضا تماشي سياسة التسويات أكثر فأكثر، وقد سبق أن كاشفت السيد الشقيري شخصياً بهذا الرأي وبأنه سيقود مرحلة انتقالية لا أكثر ولا

اقل، وأنه ما دام لم ينتخب من الشعب فإن من عينه يستطيع أن يقيله بعد أن يستنفد الغاية منه، ولكن يظهر أن الشقيري كانت له اعتبارات اخرى وكانت عنده وعود متنوعة، وحوله أعوان يريدون تسلم القيادة معه بدلاً من الهيئة، بغض النظر عن إمكانات وواجبات هذه القيادة الجديدة.

الرئيس عبد الناصر والأستاذ أحمد الشقيري

خلال المرحلة بين مؤتمر القمة الأول في القاهرة بتاريخ ١٣/١/ ١٩٦٤ ومؤتمر القمة الثاني بالإسكندرية بتاريخ ٥/٩/١٩٦٤، تمت جولات الشقيري على الدول العربية لاختيار الأعوان، ثم جرى تعيين أعضاء المجلس الوطني في مؤتمر القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤ من قبل الشقيري وبالاتفاق مع مخابرات عدة دول عربية، وقام هؤلاء الأعضاء المعينون بدورهم في تعيين الشقيري رئيساً لمنظمة التحرير، وصادقوا على ميثاقها المعد سلفاً والذي تحدثت عن اعداده سابقاً، وبذلك تقدم الشقيري إلى مؤتمر القمة الثانية كرئيس للمنظمة، وليس فقط كسياسي مكلف بمهمة استطلاع آراء الفلسطينيين في كيانه الجديد.

وعندما عقد المؤتمر الوطني الفلسطيني التأسيسي للمنظمة في فندق الكونتنتال في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤، تم التوافق مع سماحة المفتي على إيفاد بعض الأخوة للاتصال بالأعضاء الجدد المعينين وتوضيح وجهة نظرنا لهم من ناحية استقلالية المنظمة الوليدة وديمقراطيتها الانتخابية واستمرار الكفاح المسلح، وقد حدث أن سافرت مع الأخوين علي بشناق وأحمد جبريل بسيارتهما الحمراء حتى القدس لإجراء الإتصلات اللازمة، ولكن في ليلة وصولنا تم اعتقالنا نحن الثلاثة ونقلنا من القدس إلى ثكنة

للجيش الأردني في نابلس قيد التحقيق، بتهمة لا أساس لها من الصحة، وهي اعتزامنا اغتيال السيد حكمت المصري من أعيان نابلس ومن أنصار الأردن والمنظمة، وذلك كله بزعم أن سيارة حمراء حامت حول منزله في نابلس. وطبعاً كان هذا كله مجرد تلفيق لإبعادنا عن مؤتمر القدس لمدة أسبوع تقريباً، حيث أطلق سراحنا نحن الثلاثة مع انتهاء المؤتمر، وطلب إلينا مغادرة البلاد فوراً إلى سوريا. وكان هذا الاعتقال لي هو الرابع بعد مصر وسوريا والكويت، وكلها اعتقالات مغرضة وبدون تهمة حقيقية،وقد أطلق سراحي منها جميعاً بدون أية محاكمة!!

وقد تبيّن للأستاذ الشقيري فيما بعد صحّة موقف الهيئة من الانتخابات التي تعطيه حصانة، وكان من الممكن تنفيذها في الضفة الغربية (الاردن) وقطاع غزّة (مصر) وفي بقية مواطن الشتات الفلسطيني، لو اصرّ الشقيري ومعاونوه على ذلك، لأن الدول العربية كانت تريد انشاء كيان فلسطيني جديد يتحمل عنها اعباء القضية. واودّ ان اشير هنا الى ان الاستاذ الشقيري كان دائما موضع الاحترام والتقدير لخبرته ومعلوماته وعلاقاته وقد كان سابقاً موضع رعاية المفتي الحسيني وكنّا جميعاً مؤمنين بأن الانتخابات هي لصالحه ولصالح الشعب الفلسطيني.

ومن الوقائع التاريخية المتصلة بهذا الرأي ان الاستاذ الشقيري، بعد موقفه الحازم في مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧، قد تعرض لأزمة سياسية كبيرة اجبرته على الاستقالة كما ورد في كتابه "الهزيمة الكبرى" تحت عنوان "استقالة ام اقالة" حيث اشار الى مواقف الملك الحسين والملك فيصل والرئيس بورقيبة بعدم "انشراحهم" للتعاون معه كما اشار الى ظاهرة "كانت في الواقع مظاهرة فقد اخذت صحف القاهرة على نفسها بقيادة جريدة الاهرام ابراز مذكرة الاخوة السبعة "اللذين طالبوه بالتنحي" والتعليق عليها ونشر صور اصحابها وتصريحاتهم ومطالبتهم باستقالة رئيس المنظمة" وقد ذكرت الصحف آنذاك خبر قيام مظاهرة من طلّاب في الاسكندرية تتطالب ايضاً باستقالة الشقيري بتحريك من بعض الاجهزة الامنية وبعض

اعضاء اللجنة التنفيذية اللذين عيّنهم بنفسه لهذه المناصب.

مؤتمر القمة الثاني في الاسكندرية

وقد حدث أن استدعيتُ قبل هذه القمة الثانية من بيروت إلى دمشق حيث أعلموني بتعييني في وفد سوريا الرسمي للمؤتمر حتى أرافق الوفد ذهابا وايابا، بدلاً من أن أقحم نفسي عليه وأحرجه، وبالفعل وصل الوفد كله إلى الإسكندرية ونزلنا في فندق فلسطين الذي بنيّ حديثاً في حدائق قصر المنتزه الرائعة، وتعددت الاجتماعات العامة والخاصة، ليس من اجل تحرير فلسطين أو معالجة قضية شعبها بشكل رئيسي، بل لبحث جزئي في موضوع تحويل روافد نهر الاردن وبحوث أساسية في إجراء مصالحات بين الدول المختلفة بشأن حرب اليمن والمساعدات الاقتصادية وغيرها.

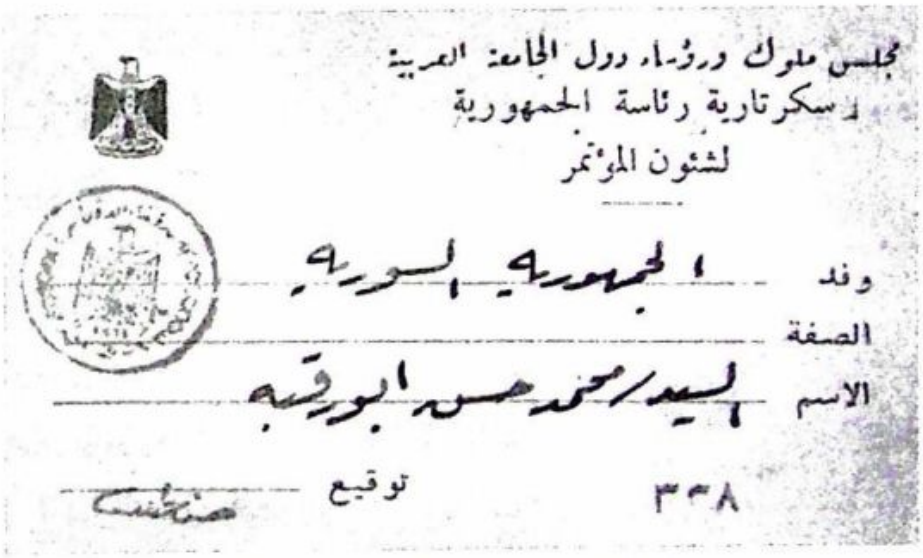
مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية
سكرتارية رئاسة الجمهورية
لشئون المؤتمر
وفد الجمهورية السورية
الصفة
الاسم السيد/ محمد حسن ابو قبه
توقيع
٣٣٨

بطاقة عضوية مؤتمر القمة العربية الثاني

وفي احد هذه الاجتماعات الرسمية تكلم السيد الشقيري عارضاً ما أنجزه على صعيد مهمته وطلب الدعم السياسي والمادي وناشد رئيس المؤتمر آنذاك الملك فيصل أن يحيط المنظمة برعايته، وكان جواب فيصل أنه يتبرع بخمسة ملايين جنيه لجيش التحرير الفلسطيني المزمع إنشاؤه، وبقي على تحفظه بشأن رئاسة الشقيري للكيان. كما انوه بكلمة الرئيس السوري أمين الحافظ حين طالب باسم حزب البعث، بالتركيز على وضع خطة عربية شاملة لتحرير فلسطين وضرورة رصد المبالغ المالية اللازمة

مع الأستاذ أحمد مرعشلي في مؤتمر الإسكندرية

لدول المواجهة، مبيناً وجهة نظره أن ما ينقصنا هو سلاح الطيران والسلاح المضاد للطائرات، وأنه بتوفير المال اللازم يمكن تحقيق التوازن مع العدو في هذا المجال خلال مدة أربع سنوات لإعداد الطيارين الأكفاء والمطارات المحمية وتحقيق التفوق أيضاً. وقد رحب اللواء عبد المنعم رياض بهذا التحليل، ولكن صحف القاهرة صدرت في اليوم التالي تسخر من آراء الرئيس السوري بزعم أنه وعد بتحرير فلسطين خلال أربعة اشهر، وكان هذا التحريف المقصود موضع انتقادات ومصدر تعثر جديد في العلاقات العربية، مما استدعى وساطات وتوضيحات عديدة.

فيصل بن عبد العزيز آل سعود

رئيس الدورة الثانية لمجلس ملوك ورؤساء الدول العربية

يسره دعوة ... سعادة السيد ... يورفبه

لحفل العشاء الذي يقيمه في ... قصر المنتزه

في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم ... الثلاثاء ...

الموافق ... ٨ ... سبتمبر ... ١٩٦٤

دعوة لحفل عشاء خلال مؤتمر القمة الثاني - الإسكندرية

وكالعادة في مثل هذه المؤتمرات أقيمت عدة حفلات منها حفلة عشاء كبرى بدعوة من الملك السعودي فيصل في حدائق قصر المنتزه، كانت رائعة في تنظيمها وبذخها وخاصة في ترتيب تقديم كل صنف رئيسي من الطعام بمرافقة الموسيقى وبتحركات جماعية موحدة من عشرات الخدم المكلفين بذلك، ويا ليتنا نتقن فنون الحرب كما نتقن فنون الطعام!!

وأذكر أني تلقيت اتصالاً هاتفياً اثناء تواجدي في فندق فلسطين من

السيد محمد رستم طبارة (أبو الأمين) فذهبت لملاقاته حيث سلمني مجموعة عرائض مرسلة من المفتي موقعة من آلاف الفلسطينيين في لبنان وسوريا والأردن موجهة إلى مؤتمر القمة تطالب بانتخابات حرة لاختيار قيادة للشعب الفلسطيني وبجيش فلسطيني للتحرير وبمنظمة كفاح وطني مقاوم ورافض للحلول السلمية والاستسلامية. ويطلب المفتي توزيع هذه العرائض على جميع الوفود، وهذا ما تم فعلاً.

واذكر أنّ السيد هاني قدومي سكرتير أمير الكويت ابلغني مبشراً في أواخر أيام المؤتمر أنه تم تعيين المقدم وجيه المدني قائداً لجيش التحرير الفلسطيني المزمع إنشاؤه وذلك بطلب من الكويت الذي كان المدني ضابطاً عندها وبرغبة منها لتقوم بالتبرع المناسب لجيش التحرير، وتم ترفيعه إلى رتبة لواء، وقد صدف أن قابلت اللواء المدني بعد ذلك مباشرة في إحدى قاعات المؤتمر، وهنأته بالمنصب الجديد بصفته كان مدرباً لنا في دورة قطنا سنة ١٩٤٨ وبصفته مساهماً في شركتنا في بيروت، فشكرني وزاد بأنه يرغب في أن أتعاون معه كرئيس أركان وأنه سيطالب بذلك، فأوضحت له أن الأمور ليست بهذه السهولة في مثل هذه المناصب وشكرته، وأبلغته أن الأمر لن يترك له شخصياً في مثل هذه الأوضاع. وبالفعل تم التوافق فيما بعد على تعيين الزميل صبحي الجابي رئيساً للأركان، حيث كان مقبولاً آنذاك من مختلف الأطراف.

الوضع العائلي

سبق ان انتهزت فرصة مؤتمر القمة العربية الأول في القاهرة لزيارة أهل خطيبتي والاتفاق معهم على زواج قريب، وكانت خطيبتي دِرِيتا سكرتيرة في مؤسسة التأمينات الإجتماعية التي عملت فيها وتوطدت العلاقات فيما بيننا، وهي تعرف جميع أخواني السوريين في المؤسسة، وكنت ساعدتها على تأمين عمل إضافي كممرضة في عيادة الدكتور فاضل زيدان الذي بارك الزواج المقبل، الذي تحقق بعد عاطفة تكللت بالكثير من رسائل وقصائد الغزل .

ومن قصائد الغزل التي سبقت الزواج قلت :

روحي عيوني (دريتا) كيف أنساك
وكيف أنسى صباك الضاحك الباكي

وكيف أنسى عيوناً خططت قدري
وكيف أنسى مع الأيام ذكراك ؟

وفي جواب مني على احدى رسائلها الباكية قلت :

يا (درّ) يا ماس يا أحلى أغانينا
لا تذرفي الدمع ما يبكيك يبكينا قالوا

قالوا هواها سقام لست تحمله
فقلت يا رب زدنا، لا تعافينا

ولقد رزقت بهذا الزواج بغلام بكر هو توفيق وثلاث بنات هنّ سمر ورنا وسماح، وقد سارت بهنّ الحياة نحو تعليم جيد ثم تزوجن بالتتالي، وقدموا لي عدداً من الأحفاد والحفيدات هنّ زينة الحياة الدنيا.

بالنسبة للأبناء والأصهار أسجل أنه عندما سافرت ابنتي (سمر) إلى أمريكا لتلتحق بزوجها رفيق الجامعة علي صالح ودعتُها بقصيدة جاء فيها:

ودَّعتُها وعيوني مِلؤها الدررُ
روحي، حبيبة قلبي، هذه سمرُ

لو كنت أوثر نفسي عن أنانيةٍ
ما كنت أرضى لها عن دارنا سفرُ

وأخاطب زوجها :

يا ابن المكارم قد صاهرتنا سنداً
فارعَ الحبيبةَ لا ينتابها كدرُ

وعند ولادتها لحفيدي الأول (أيمن) أضفت :

دقـــوا مـــزاهـــرنـــا، قـــد جـــاء أيـــمـــنُـــنـــا
حـــلُـــو الملامـــح شـــبـــل رائـــع نـــضـــرُ

وعندما تزوجت ابنتي الصغرى (سماح) من المهندس حسان كزما رفيقها في تلفزيون N.B.N آنذاك وهاوي البحر وشواطئه وأسماكه كتبت لها قصيدة منها :

يـــقـــضـــي الـــغـــرامُ فـــيـــخـــضـــعُ الانـــســـانُ
و(ســـمـــاح) يـــأســـرُ قـــلـــبـــهـــا حـــسّـــانُ

فـــرِحـــت لـــه الامـــواج والـــشـــطـــآنُ
وشـــدا الـــكـــنـــار وأزهـــر الـــريحـــانُ

يـــا صـــهـــرنـــا أصـــبـــحـــت ابـــنـــاً غـــالياً
تـــحـــتـــاجـــه الارواح والأبـــدانُ

غـــمـــرت ســـعـــادتـــكـــم خـــريـــف حـــيـــاتـــنـــا
فـــالحـــب فـــي الـــدنـــيا هـــو الميـــزانُ

ولمّا تزوج ابننا وحيدنا (توفيق) في قطر من (ايمان) وأثمر الزواج عن ابنته البكر وحفيدتي الأولى (سارة) قلت :

غـــنـــى الـــكـــنـــارُ مُـــرحّـــبـــاً بـــحـــفـــيـــدتي
والـــعـــنـــدليب شـــدا يحـــيّـــي (ســـارتي)

يـــا حـــلـــوةً، يـــا مـــن أســـرت قـــلـــوبـــنـــا
أصـــبـــحـــت أنـــت مـــســـرّتي وســـعـــادتي

(تـــوفـــيـــق) ابـــنـــي كـــم ضـــمـــمـــتُ ضـــلـــوعـــه
شـــغـــفـــاً، أيـــذكـــر فـــي الـــلـــيالي ضـــمّـــتـــي؟

(ايـــمـــان) أضـــحـــت مـــن كـــرام ديـــارنـــا
صُـــنـــهـــم جمـــيـــعـــاً يـــا الـــه الـــعـــزّة

وعندما تزوجت ابنتي (رنا) من العصامي نبيل الدرويش بعد فترة تفاهم ومودة قلت:

غنّى (النبيل) ممجّداً أزهارنا
فتعطّلت لغةُ الكلام لدى (رنا)

ومضت اليه بقلبها وبعقلها
فالله يَرسم في الهوى أقدارنا

هتفت به لا تبتعد عن حيِّنا
يا عازف الأنغام في أوتارنا

أصبحت ابناً غالياً من أهلنا
ضاعفت مع أحلى البنات سرورنا

تصاعد المطالبة بالتحرير

بعد مؤتمري القمة سنة ١٩٦٤ في القاهرة والإسكندرية تصاعدت المطالبة بالاستعداد للتحرير، وباستعادة إغلاق مضائق طيران عند البوابة الجنوبية لخليج العقبة، والتي فتحت أمام الملاحة الإسرائيلية كشرط للانسحاب الثلاثي في حرب ١٩٥٦، كما تزايدت الدعوات للكفاح المسلح في الصف الفلسطيني، حيث تعددت المنظمات المطالبة بذلك. ومن الناحية التنظيمية الفلسطينية فان موافقة مؤتمر الإسكندرية على اعتماد الإجراءات التي اتخذها الشقيري لتجسيد الكيان جعلته يتقدم لإستكمال الخطوات في هذا المجال من قوات عسكرية ومكاتب إدارية وجيش وموظفين.

وعلى صعيد الهيئة العربية العليا فقد رحبت بانشاء جيش تحرير فلسطيني، وطالبت بحرية العمل والتفكير والتنظيم للشعب الفلسطيني، وبضرورة تحويل مخيمات اللاجئين إلى معسكرات تدريب على القتال، مع ضرورة التمسك بالثوابت الفلسطينية الرافضة للمفاوضات أو الصلح أو الاعتراف بالعدو الصهيوني، مع استمرار محاصرته عسكرياً واقتصادياً وسياسياً حتى تتغير موازين القوى لصالح العرب.

عند تشكيل المنظمة في القاهرة تقرر العمل لتشكيل جيش تحرير

فلسطيني وكلفت لجنة خاصة برئاسة السيد قصي العبادله للتفاوض بشأن الضباط اللازمين لهذا الجيش، وقبل حضور اللجنة لدمشق تم التوافق على عقد اجتماع عام للضباط الفلسطينيين في سوريا - متقاعدين وعاملين - لتشكيل لجنة منهم تتولى الحديث والاتفاق مع لجنة القاهرة، وقد جرى هذا الاجتماع في بيت ضابط من عائلة قدورة في دمشق، وانتخب الحاضرون لجنة من ثلاثة أعضاء، وفزت في التصويت السري بأغلبية الأصوات لهذه اللجنة، ولكن لجنة القاهرة تجاهلت ذلك، وأجرت مباحثاتها واتفاقاتها حسب رأيها والتوجيهات المعطاة لها.

واذكر أني كتبت في مجلة فلسطين التي تصدرها الهيئة العربية شهرياً سلسلة مقالات حول شروط ومواصفات إنشاء جيش التحرير الفلسطيني ليكون على مستوى المهمة المقدسة التي ستوكل إليه، وخاصة أنه تمت فعلاً إنشاء بعض الكتائب الفلسطينية في قطاع غزة وفي سوريا .

بعد تعيين الزميل صبحي الجابي رئيساً للأركان، قام العقيد محمد أبو حجلة بما يشبه الانقلاب عليه في القاهرة وتم افشال هذه المحاولة، وبعد فترة خلافات أصبح الزميل عثمان جعفر حداد رئيساً للأركان، وحدث نزاع داخل قيادة الجيش بينه وبين الزميل عبد الرزاق اليحيى وجواد عبد الرحيم، وتطور النزاع إلى صراع دموي راح ضحيته صديقي عبد الرحمن البرادعي الذي ساعدت على تعيينه في مخابرات الجيش ـ قسم الاستماع إلى الإذاعات الإنكليزية وترجمتها للعربية، وقد اعتبره أنصار حداد أنه من أنصار اليحيى فاعتقلوه في لبنان وعذبوه حتّى استشهد. مما أزعجني وأزعج الكثيرين، وقد تم تصوير آثار التعذيب بالألوان وأرسلت الصور إلى القيادة السورية في دمشق، فانزعجت وقررت

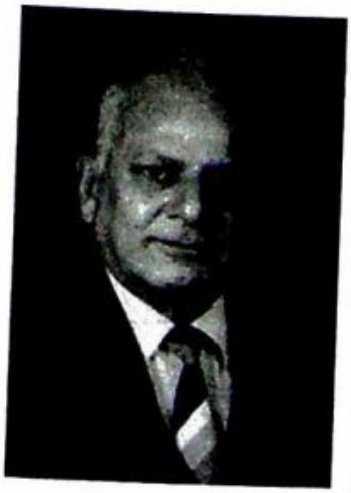

الزميل العقيد محمد أبو

الزميل العميد صبحي الجابي

الزميل العقيد
عثمان جعفر حداد

الزميل العميد
عبد الرزاق اليحيى

الاستغناء عن الفريقين حداد واليحيى، وتعيين رئيس أركان جديد للجيش. وقد زارني في بيروت الزميل عرب محمد عرب وأطلعني على محادثات الأركان السورية معه لاستلام ذلك المنصب وطلب رأيي في الموضوع، فشكرته للاتصال بي، وأشرت عليه بعدم قبول المنصب الجديد، نظراً لاعتداله وعدم حزبيته مما سيعرضه لتجاوزات سيئة من الضباط الحزبيين الصغار في الجيش، ويظهر أنه اقتنع برأيي واعتذر، فجرت مشاورات ومحاولات جديدة مع الزميل مصباح البديري، وقد حضر أيضاً إلى بيروت، وتقابلنا معاً حيث أفادني أن الأركان السورية تعرض عليه منصب رئاسة أركان جيش التحرير الفلسطيني، وأن ذلك يتطلب انتسابه لحزب البعث، وشعرت بميله لذلك فوافقته الرأي نظراً لصلابته وقرابته من العماد طلاس، مما يعطيه إمكانية القيادة العليا مع تحييد الضباط الحزبيين الصغار، وهكذا تم تعيينه للمنصب.

وبالمقابل نشطت حركة فتح في الظهور كقوة ميدانية وقامت بتنفيذ أول عملية لها وأرادت إصدار أول بيان عن العملية، وفي هذا الموضوع ذكر د. طلال ناجي في ص. ٨٠ من كتابه (في الخيمة الأخرى) ما يلي :

"كان الرفيق جبريل يريد مساعدة فتح في توزيع بلاغها العسكري الأول، وهو يعرف أن فتح، على العكس منا، لا تملك تنظيماً في سوريا ولبنان، وفي تلك الأيام كان لي قريب اسمه عارف عبد الله، هو ابن خالي وابن عمتي، يدرس بكلية الطب في جامعة دمشق، وهو يحمل الجنسية السعودية، وقال لي الرفيق جبريل : نريد من عارف أن يذهب بالبيان إلى بيروت، فهو يحمل جنسية سعودية، ولن يشك به أحد، وكل المطلوب منه هو إيصال البيان إلى

بيروت، إلى صحيفة (المحرر) الّتي يعمل بها المرحوم غسان كنفاني، وإلى الأخ حسن أبو رقبة في مجلة فلسطين".

وبالفعل تسلمت آنذاك البيان رقم واحد لفتح، وبما أن مجلة فلسطين تصدر شهرياً ومن الضروري تعميم ذلك البيان فوراً فقد قام صديقنا الصحفي اللبناني صديق بطرس بتوزيع صور عن ذلك البيان إلى معظم الصحف اليومية في بيروت، وكان المرحوم صديق بطرس يتعاون مع مجلة (فلسطين) والهيئة العربية العليا في مجال العلاقات العامة والإعلام .

خلال سنة ١٩٦٥ و١٩٦٦ كنت أتردد على دمشق فقابلت مرة العميد ابراهيم فرهود وحدثني عن اقتراح يرغب في تنظيمه خطياً ليرفعه إلى الرئيس أمين الحافظ يطلب فيه أن تتولى الحكومة طباعة الكتب المدرسية لمختلف مراحل التعليم وأن توزعها مع بعض القرطاسية مجاناً على الطلاب، فشاركته في اعداد التقرير بشكل مناسب وقد علمت فيما بعد أنه قابل الرئيس وحاز الاقتراح على موافقته وأخذت الحكومة السورية قراراً بذلك ما زال ساري المفعول حتى الآن، مما وفر على الطلاب الكثير من النفقات ثمن كتب وقرطاسية.

وفي احدى الزيارات قابلت الصديق أبو سليم الشجراوي من أنصار الهيئة العربية ومن المجاهدين في سبيل القضية، وله فضل في انقاذ زملائي من الاغتيال في لبنان كما سبق أن ذكرت، وقد حدثني آنذاك عن رغبته بانشاء اتحاد للفلاحين الفلسطينيين في سوريا والعالم العربي، وأنه يطلب مساعدتي في اعداد نظام أساسي ونظام داخلي نعرضه على الجهات المختصة وقد تم ذلك وأصبح أبو سليم رئيساً لاتحاد الفلاحين الفلسطينيين علماً انه اخ الفنان الشهيد ناجي العلي.

وبالمناسبة أذكر طرفةً كان يرددها مراراً وهي : اذا وضعت في طنجرة الطعام رزاً وعدساً وماء وسمناً فان الناتج سيكون مجدرة ولا يمكن أن يصبح بفتيك (أكل الأغنياء في نظره)، وذلك تعبيراً عن سخريته من بعض قيادات المنظمات الفلسطينية واعوانهم.

اغتيال الصديق يوسف عرّابي واتهام عرفات

الشهيد الصديق يوسف عرابي

في منتصف تشرين ثاني ١٩٦٦ وفور اغتيال الضابط الصديق يوسف عرابي من أهالي عكّا، انعقدت محكمة عسكرية في دمشق برئاسة العماد مصطفى طلاس للنظر في هذه الحادثة الّتي أدت إلى مقتل ضابط آخر من (فتح) من آل حشمة، ووجهت التهمة بتنفيذ القتل للمساعد عبد المجيد زغموت وتوجهت أصابع الاتهام إلى ياسر عرفات كمحرض وصاحب مصلحة في ذلك لأن قيادة (فتح) في الكويت أصدرت قراراً بتجميد مهمات ياسر عرفات وبتكليف الضابط يوسف عرابي في دمشق بتلك المهمات.

وقد انزعجت كثيراً لمقتل هذا الصديق وابن عكّا البار، ونظم سماحة المفتي كتاب تعزية لوالده وكلفني بالانتقال إلى دمشق لتقديم التعزية، وهناك قابلت الصديق العميد منيب المجذوب والصديق المقدم خالد جلبوط من ضباط الأمن العام السوري، واطلعت منهما على أن ياسر عرفات قد كان في بيت منيب المجذوب القريب من مكان الحادث عندما جرى البحث عنه للتحقيق معه، وأن خالد جلبوط اتصل بمنيب المجذوب ونصحه بأن يسلم عرفات للقضاء وبالفعل تم سجن عرفات لمدة ٥٦ يوماً قيد التحقيق، وقد ابلغني هذه الحقيقة فيما بعد الدكتور عبد الله الدنان والدكتور عادل عبد الكريم من أركان لجنة (فتح) الّتي اتخذت قرار استبدال عرفات بعرابي. ويقول العماد طلاس في مذكراته أن المحكمة كانت تضيق الحصار بالأسئلة والمعلومات على ياسر عرفات مقتنعة بأنه صاحب المصلحة في إزاحة عرابي من الطريق، وكانت باتجاه إصدار الحكم

المناسب بحقه، ولكن حصل تدخل قوي من السيد الشقيري رئيس منظمة التحرير لصالح عرفات ثم من مسئولين كبار في مصر والسعودية والجزائر مع ضغوط معنوية، مما أدى إلى نجاته وإطلاق سراحه تلبية لتلك الوساطات والمساعي.

عدم التدخل في الأردن

قبيل حرب ١٩٦٧ كنت في دمشق فتلقيت دعوة من السيد عبد الكريم الجندي لمقابلته، وكان آنذاك رئيساً للأمن القومي ـ حزب البعث، وفاتحني بموضوع تعاون الهيئة العربية مع السلطات السورية المختصة في مخطط لإزعاج الحكم الأردني امنياً وسياسياً، فاستمهلته لعرض الأمر وأخذ رأي وقرار الهيئة ورئيسها، ولكن الحاج أمين وسائر أعضاء الهيئة طالبوا المحافظة على سياسة الهيئة ومبادئها في عدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية وبعدم تسخير الشباب الفلسطيني لأية مهمة خارج وطنه، ولكن المفتي بخبرته الطويلة طلب مني عدم نقل الرفض القاطع لعبد الكريم الجندي بل محاولة تأجيل هذا التبليغ بحجة أن الموضوع ما زال قيد الدرس .

وهذا ما حصل في أكثر من اجتماع مع الجندي الذي سبق أن ترافقنا معاً في الخدمة العسكرية وكنت أقدم منه، كما كنت قد دربته في التأمينات الاجتماعية بكل رعاية كما سبق أن ذكرت. وهو ذكي وحيوي وعنيف، وسرعان ما أدرك أننا نماطله وغير موافقين على خطته، لذلك أمر الجهات المختصة بعدم السماح لي بدخول سوريا وبعدم تجديد جواز سفري السوري وبمصادرة مكتب الهيئة العربية بدمشق وأخذ محتوياته واغلاقه، وهكذا تم منعي من دخول الوطن السوري لأني رفضت السياسات العدائية العربية، ونحن في وضع اقليمي خطير مع الإسرائيليين، وتجاه ذلك كتب المفتي للسلطات الأردنية طالباً منحي جواز سفر أردني لأواصل عملي السياسي معه، دون أن يطلعها على الموضوع الأمني واستجابت السلطات

الأردنية وتسلمت جواز السفر من السفارة الأردنية في بيروت، وبعد بضعة اشهر حدثت نكسة ١٩٦٧ وانتحر الجندي واستعدت حقوقي في سوريا.

THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN
المملكة الأردنية الهاشمية

PASSPORT
جواز سفر

BY HIS MAJESTY THE KING TO ALL WHOM IT MAY CONCERN GREETING:

GOVERNMENT OFFICIALS OF THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN, REPRESENTATIVES ABROAD AND ALL THOSE WHOM IT MAY CONCERN ARE REQUIRED AND REQUESTED TO ALLOW BEARER TO PASS FREELY WITHOUT LET OR HINDRANCE AND TO AFFORD HIM EVERY ASSISTANCE AND PROTECTION OF WHICH HE MAY STAND IN NEED.

GIVEN AT Beirut
THE 15th day
OF February 1969

MINISTER OF INTERIOR
GENERAL DIRECTOR
PASSPORT DEPARTMENT

This Passport Contains 42 Pages يحتوي هذا الجواز على ٤٢ صفحة

PASSPORT
THE HASHEMITE KINGDOM OF JORDAN
جواز سفر
المملكة الأردنية الهاشمية

NO. OF PASSPORT 191023 رقم الجواز

NAME OF BEARER Mr. Mohammad Hasan Tawfig Abu Ragabh
اسم حامله

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden Name)
مصحوب بزوجته (اسم الزوجة قبل زواجها)

and by ..... children
و ..... اولاد

NATIONAL STATUS
كيفية توال الجنسية

UNDER ARTICLE five
بموجب المادة

صورة جواز السفر الأردني الذي منح لي سنة ١٩٦٧

أما الظروف التي أدت إلى تلك النكسة فهي تعدُّد الإشتباكات على حدود قطاع غزة وعلى جبهة الجولان وتصاعد التهديدات الصهيونية لسوريا، بشكل أحرج القيادات المصرية، ودفعها لأن تعلن عزمها على رد أي اعتداء إسرائيلي على سوريا، وقام الجيش المصري بنقل قوات هامة علناً عبر شوارع القاهرة إلى شرق القناة، ثم طلبت السلطات المصرية سحب قوات الطوارىء الدولية من سيناء، مما ينتج عنه إغلاق مضيق طيران في خليج العقبة وهذا أدى إلى اعتبار اليهود ذلك إعلاناً للحرب، وقاموا في ٥ حزيران ١٩٦٧ بمباغتة سلاح الطيران المصري وسلاح الطيران السوري، وبمهاجمة شبه جزيرة سيناء لتصل قواتهم إلى قناة السويس في ظل سيطرة جوية مطلقة، ثم التوجه بعد ذلك إلى الضفة الغربية بحجة مشاركة الأردن في القتال حيث أنجزت احتلال الضفة الغربية بما فيها القدس في يوم واحد، واتجهت بعد ذلك إلى الجولان السوري حيث تمكنت من احتلاله حتى شرق القنيطرة بعد صدور أمر سياسي عسكري بانسحاب القطعات المقاتلة، بدل الصمود والمقاومة والتمسك بالأرض، مما جعل العدو يحقق انتصاراً عسكرياً وسياسياً ومعنوياً، بالغ الأهمية والخطورة.

تداعيات نكسة حزيران ٦٧

وليس هنا مجال تحليل أسباب وتطورات ونتائج هذه الحرب فقد كتب الكثيرون في ذلك من وجهات نظر متعددة، وإنما لا بد من القول أن هذه الهزيمة الكبيرة التي سميت نكسة، كان لها مفاعيل هامة في المنطقة العربية وفي العالم اجمع، وظهرت دولة الكيان الإسرائيلي كقوة أسطورية لا تقهر، في حين كشفت مختلف نواحي الضعف العربي عسكرياً وسياسياً واقتصادياً الخ... وتحول العرب من مجاهدين لتحرير فلسطين التي احتلها اليهود سنة ١٩٤٨ إلى متسولين لتحرير المحتل من فلسطين وسوريا ومصر سنة ١٩٦٧ مع الأسف الشديد.

كان احتلال القدس ومقدساتها ضربة مؤلمة جدا للعرب والمسلمين، وللحاج أمين بطبيعة الحال، حيث عقد بوجودنا مؤتمراً صحفياً عربياً وعالمياً لشرح خطورة احتلال اليهود للقدس تاريخياً وسياسيا ودينيا، منتقداً أسباب العجز العربي، مطالباً بالاستمرار في مقاومة ورد الاعتداء الصهيوني الاستعماري الذي لا يستهدف فلسطين وحدها بل جميع ديار العرب والمسلمين، ومقدساتهم وثرواتهم ومختلف مصالحهم.

وأدى فشل الحرب العربية الرسمية إلى تصاعد فكرة حرب الشعب التحريرية ومنظمات الفداء، وانخرط الكثيرون فيها، وكان يحضر إلى بيروت بعض المجاهدين لمقابلة المفتي وطلب مساعدته المادية والمعنوية وكنت احضر الكثير من هذه الاجتماعات في بيته ليلاً، للتعاون فيما يتعلق بهذه المساعدات، ورغم ضعف مالية الهيئة، فان المفتي قدم للكثيرين ما أمكن من المال وفق قناعته بجديتهم ومعرفته السابقة بجهاد أهلهم ومدنهم.

وفي نفس الوقت كان يتردد على المفتي الكثيرون من رجال المقاومة الفلسطينية القياديين، وخاصة من فتح والجبهة الشعبية القيادة العامة. حيث يتم تبادل الرأي والمعلومات والتحليلات وأيضاً النصائح والتوجيهات. وفي طليعة الزائرين كان أبو عمار وأبو إياد واحمد جبريل وابو يوسف النجار واحمد العمري وغيرهم.

وكحادثة مميزة اذكر حضور وفد من زملائي الضباط في قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة التحرير الى بيروت برئاسة العقيد بهجت عبد الامين بقصد مقابلة الحاج امين وطلب مساعدته المادية، وقد رتبت لهم موعداً ليلياً ورافقتهم، وكانوا في منتهى اللباقة، وبالتالي كان المفتي في منتهى الكرم الممكن، حيث قدم لهم فوراً مبلغاً معقولاً من المال، وكانوا له من الشاكرين

من جهة ثانية، للحقيقة والتاريخ، اذكر ان المفتي كان يقدر نضال وافكار احمد جبريل ويخصه باهتمام اضافي، ويأمل منه خيراً، ويقدم له دفعات من المساعدات المادية، وكان جبريل بالتالي من الذين يحترمون تاريخ المفتي ونضاله وصلابة مبادئه ومواقفه، وقد لا يعلم الكثيرون ان جبريل اصدر اوامره بتكريم المفتي في كل عيد بوضع اكليل خاص من الورود على مثواه في مدفن الشهداء بيروت، وما زال هذا التكريم قائماً حتى الآن، وفي كل عيد : تعبيراً عن الاحترام وتأكيداً للوفاء.

الفريق امين الحافظ في لبنان

وخلال حرب حزيران أطلق سراح الرئيس السوري أمين الحافظ من سجن المزة ـ دمشق، وسمحت له القيادة السورية بمغادرة سوريا بشكل خاص خلافاً لبقية الموقوفين هناك، وقد انتقل أمين الحافظ إلى بيروت، ونظراً لعلاقاتنا السابقة فقد فتّشت عنه مع الأخ عبد الكريم عمر في طرابلس وغيرها حتى وجدناه في فندق (الشيخ) ببحمدون فحاولنا إقناعه بالانتقال من الفندق إلى بيت خاص تأميناً لسلامته، وأمر المفتي بتأمين حراسة دائمة للبيت ولشخص الحافظ، كما تم تزويده ومرافقيه بما يحتاجونه من أسلحة شخصية لاستعمالها في حالات

الرئيس الفريق أمين الحافظ

الطواريء، واصبحت أسبوعياً استقبل احد ضباطه لتأمين ما يطلبونه من المال للمصروفات العادية، وكل ذلك تقديرا لشجاعته القومية ولمواقفه المناصرة بكل قوة لقضية وشعب فلسطين في مؤتمرات القمة العربية، وأيضاً لاستقباله بكل احترام للمفتي ووفد الهيئة عندما زاروه في القصر الجمهوري بدمشق قبل حرب ١٩٦٧ وأثناء توليه مقاليد الرئاسة.

وقد رغب الرئيس الحافظ بمقابلة المفتي لشكره وتم ذلك في بيت المفتي في المنصورية حيث استُقبل وودع كرئيس سابق للجمهورية بكل احترام وتقدير.

وقد جاء في مذكرات أمين الحافظ التي نشرها بالتتابع في جريدة الأسواق الأردنية بتاريخ ١٩٩٦/١/٦، تحت عناوين(أقرضني الحاج أمين الحسيني خمسة آلاف ليرة لبنانية وعرض تزويدي بالسلاح بعد وصولي إلى بيروت) ما يلي: (بعد اقتراب موعد دفع إيجار الشقة، زارني عدد من الفلسطينيين، مثل حسن أبو رقبة وعبد الكريم عمر من الضباط الفلسطينيين في الجيش السوري، ومعهم بعض قطع الأسلحة الرشاشة... وذلك لاستخدامها من قبلي ومرافقين للدفاع عن النفس، فشكرتهم على ذلك، كما أنهم عرضوا علي كل ما احتاجه من المال وغيره، وحين سألتهم عن مصدر السلاح ابلغوني أنه مرسل من الحاج أمين الحسيني تقديراً لموقفي من القضية الفلسطينية... ولم يكتف الحاج أمين بذلك بل وفر لي الحراسة الدائمة، وقد اكتشفت ذلك مصادفة، حيث كنت اجلس في مقهى كبير، في مكان يكون فيه خلفي الجدار، بحيث أرى الجميع من دون أن يتمكن الجميع من رؤيتي، فلاحظت عدة مرات أن هناك أفراداً يأتون ويجلسون على طاولة في المقهى كلما دخلته، وبحكم حسي الأمني شككت في الأمر، فسألت حسن أبو رقبة عن الموضوع فأبلغني أنهم من امن الحاج أمين الحسيني لحمايتي والدفاع عني).

وفي موقع آخر يقول: (في هذه الأثناء جاءني شاب فلسطيني يدعى حسن أبو توفيق (أبو رقبة) ولم يعجبه تأسيس البيت، حيث كان متواضعاً

فعرض علي أموالاً فاعتذرت شاكراً، فقال إذن خذها على سبيل الدين من الحاج أمين الحسيني، فقبلت وكان مقدارها خمسة آلاف ليرة لبنانية وقد أعدتها بعد عدة اشهر).

واذكر هنا أن الرئيس الحافظ طلبني لمقابلته ذات يوم في بيته الجديد بالأشرفية، حيث ابلغني عزمه المغادرة إلى بغداد، وقام بإعادة جميع الأسلحة لتسليمها إلى المفتي، كما اذكر هنا أنه بعد وصوله بغداد بفترة بسيطة حول إلينا في بيروت كامل المبالغ التي استلفها أسبوعياً منا، وكان يسجلها في حساب خاص لديه، مع كلمة شكر ومحبة.

دائرة الاعلام والنشر

بعد نكسة ١٩٦٧ وتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية وانطلاقها للعمل السياسي والوطني، تم تكليفي برئاسة دائرة الإعلام والنشر في الهيئة، لأشرف على مجلة (فلسطين) الشهرية التي كانت تعمم آراء الهيئة ونشاطاتها

مع الحاج أمين الحسيني والأخوة
في الهيئة العربية العليا الفلسطينية

الشهرية،كما كانت تؤرخ للجهاد الفلسطيني السابق واللاحق.وكانت هذه المهمة من اشق الأعمال التي تتطلب جهداً كثيفاً مستمراً بسبب قلة العناصر البشرية المساعدة .

وتعمدنا في هذه الفترة أن نجعل صدارة المجلة لأخبار الجهاد الجديد وصور نشاطات المجاهدين وشهدائهم، وكذلك تعمدنا نشر بروتوكولات حكماء صهيون بالتسلسل، ومذكرات الحاج أمين الحسيني التي كان يكتبها ويراجعها شخصياً كل شهر، بالإضافة إلى العديد من الكتب الهامة التي وجدنا ضرورة لتعميمها وتوثيقها في المجلة مثل(مضائق تيران) ومذكرات القائد التركي رفعت خان اتل وغيره. وأفردنا باباً خاصاً بعنوان (وراء العدو في كل مكان.)

كنا نوزع المجلة شهرياً على مكتبات بيع الصحف في السعودية وليبيا وسوريا وغيرها، كما كنا نقدمها كهدايا مجانية لدور السفارات العربية والأجنبية ودور الإذاعة والصحافة وعدد كبير من الشخصيات السياسية والأدبية الرسمية والشعبية في مختلف الأقطار العربية والإسلامية.

خلال عملي في دائرة الإعلام والنشر وفي رئاسة تحرير مجلة (فلسطين) تعرفت على الكثيرين من الصحفيين في مختلف الدوائر الإعلامية اللبنانية وكان السيد صديق بطرس مندوبنا لدى هذه الدوائر وكذلك السيد نايف شبلاق، وكان للسيد شفيق ارناؤوط مساهمات كبيرة في مجلة فلسطين، وهو الذي لم يغادر نشاطات الهيئة العربية طيلة حياته، وقدم لها من جهده الكثير الكثير، ابتداءً من ثورة فلسطين الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وطيلة حياته بعد ذلك.

بعد إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة السيد الشقيري ثم انتقال الرئاسة إلى منظمة فتح ومنظمات المقاومة ثم سقوط الضفة الغربية في يد العدو الصهيوني، فقد تطورت الأوضاع السياسية ثم العسكرية في شرق الأردن، بسبب تواجد مختلف المنظمات بمختلف الاتجاهات هناك. واذكر أني زرت الأردن في هذه الفترة وقابلت السيد ياسر عرفات في مكتبه، وهو دائماً مجامل ويعامل بعض الناس باحترام .

قد بدأ التسابق بين المنظمات الفدائية لإقامة قواعد لها في أغوار الأردن وسفوحه الشرقية، وقد أدلى المفتي بدلوه في هذا المجال، كما علمت فيما بعد. فقد قرر إنشاء قاعدتين للهيئة العربية وكلف (أبو صالح) بذلك، ولما نفذ التكليف قامت عناصر من (فتح) بتصفية القاعدتين، وقد فاتحني المفتي بعد ذلك بأن هناك لجنة للشؤون العسكرية في الهيئة من السادة إميل الغوري ومحيي الدين الحسيني وعبد الكريم العمر، وعرض عليّ أن استلم مهمة اقامة قواعد جديدة للهيئة وأن أتفرغ للعمل العسكري، فاعتذرت له عن ذلك معرباً عن غضبي لهذا العرض المتأخر ولإخفائه كل الترتيبات العسكرية السابقة عني.

تداعيات معركة الكرامة ومجزرة ايلول الاسود

بعد معركة (الكرامة) في أغوار الأردن وتداعياتها السياسية والعسكرية، وعندما تكدرت الأمور بين الثورة والأردن، حصلت الإشتباكات المؤسفة المعروفة في عمان وغيرها، وسقط الكثيرون من القتلى والجرحى والأسرى بين الفريقين، وكان للهيئة العربية جهود كبيرة لدى الأردنيين والفلسطينيين تطلب حقن الدماء وضرورة التنسيق الجهادي بدل التصادم الذي لا يفيد سوى الأعداء، ولكن الأمور انتهت بايلول الأسود ثم بانتقال الثورة الفلسطينية عبر سوريا إلى لبنان حيث تمددت تدريجياً من الناحية السياسية والإعلامية والمالية والعسكرية، حتى وصلنا إلى (فتح لاند) واتفاق القاهرة سنة ١٩٦٩.

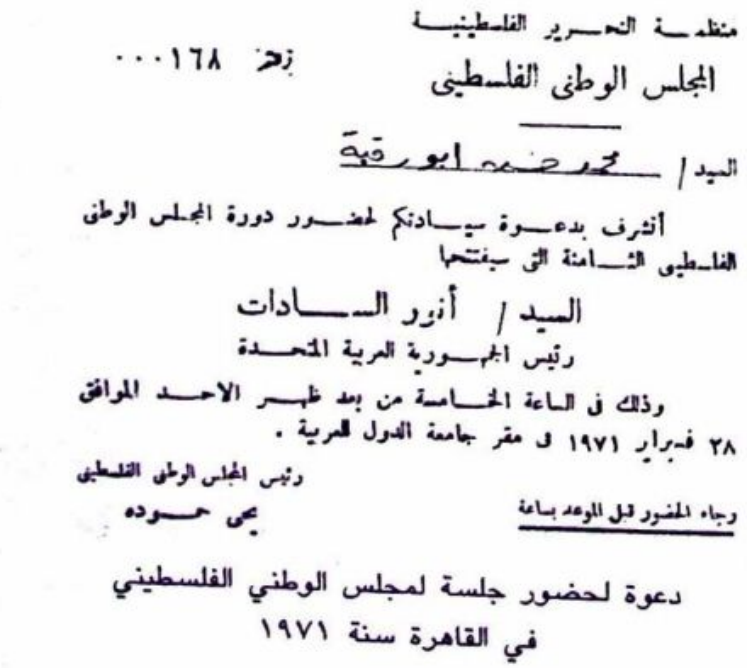

منظمة التحرير الفلسطينية
المجلس الوطنى الفلسطينى
زمز ١٦٨٠٠٠

السيد / محمد ضمد ابو رقيقة

أتشرف بدعوة سيادتكم لحضور دورة المجلس الوطنى الفلسطينى الثامنة التى سيفتتحها

السيد / أنور السادات
رئيس الجمهورية العربية المتحدة

وذلك فى الساعة الخامسة من بعد ظهر الاحد الموافق ٢٨ فبراير ١٩٧١ فى مقر جامعة الدول العربية .

رئيس المجلس الوطنى الفلسطينى
يحيى حموده

رجاء الحضور قبل الموعد بساعة

دعوة لحضور جلسة لمجلس الوطني الفلسطيني
في القاهرة سنة ١٩٧١

بدأت اتصالات قيادات فلسطينية عديدة تتزايد مع الهيئة وسماحة المفتي بسبب تواجد هذه القيادات شبه الدائم في لبنان، وبطبيعة الأمر كنت احضر الكثير من هذه المناسبات، وكان للمفتي آراء يصارح بها الجميع تطالب بعدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية وبعدم استعداء الحكومات العربية أو الأحزاب أو الطوائف، وبمعالجة مختلف المشاكل بمنطق حبي، حتى لا تشكل تصرفات بعض القيادات تحدياً لو استفزازاً أو تعدياً على السيادة، إضافة إلى ما يستفيده العدو من تعدد الجبهات أمام الفلسطينيين، وكنت انقل هذه الآراء والمواقف في مجلة(فلسطين) باستمرار داعين الجميع إلى حشد البنادق كلها في اتجاه العدو الصهيوني.

عندما حدث حريق الأقصى سنة ١٩٦٨ تضاعف حزن المفتي وجهده الإعلامي لتبيان خطورة هذا العمل ضمن مخططات العدو الصهيوني الشاملة، مطالباً العرب والمسلمين بالتنبه والاستعداد لمواجهة هذه المخططات، وعدم الاستهانة بها.

وكانت لي في بيروت علاقات شخصية حميمة مع بعض القيادات اليسارية الوطنية وخاصة السادة نديم عبد الصمد وجورج الهبر وكريم مروة وغيرهم، وذلك بناء على توصيات من أصدقائي اليساريين في دمشق وخاصة السيد يوسف فيصل، وفي الواقع كان إعجابي شديداً بوطنية وثقافة هؤلاء الأصدقاء ورغباتهم الصادقة في تأمين الخدمات والضمانات والاحتياجات المادية والمعنوية لجميع أفراد الشعب في هذه الدنيا وبشكل عادل، ولكني من الناحية الفلسطينية كنت أجد اختلافات في بعض المعلومات والإجتهادات والتحليلات والقراءات، علماً أن الأصدقاء في لبنان كانوا اقرب من الأصدقاء السوريين إلى منطلقاتنا الفلسطينية آنذاك، وخاصة بشأن الخطر الصهيوني وكيفية مواجهته، وكذلك بشأن الموقف السوفياتي واليساري الخاص من قرار تقسيم فلسطين.

من جهة أخرى كنت على علاقة جيدة مع مختلف القيادات الفلسطينية في مختلف التنظيمات التي بدأت تتكاثر على الساحة، وتتنافس على تدريب وتطويع الأفراد والكوادر وعلى فتح المكاتب السياسية والإعلامية في

مختلف المخيمات، وقد وصل الأمر بهم إلى استلام السلطة في مخيمات لبنان بالقوة وإخراجها من سلطة المؤسسات اللبنانية وخاصة المخابرات وقوى الأمن التي يحمل الفلسطينيون ذكريات مريرة من أسلوب تعاملها معهم بشكل استعلائي مخابراتي وإذلالي أحياناً، بما يصاحب ذلك من ملاحقة لأي نشاط وطني سياسي أو عسكري أو اجتماعي، وقد أصبحت المخيمات بعد ذلك تدار من قبل لجان شعبية محلية تمثل جميع المنظمات والمستقلين، وقد حدث أن رشحني البعض لعضوية اللجنة الشعبية لمخيم برج البراجنة، حيث كان منزلي قرب المخيم، وتمت الموافقة على ذلك، بصفتي عضوا مستقلاً، علماً أن العضو المستقل يجب أن يحظى بموافقة الجميع بدون استثناء.

وفي اجتماعات اللجنة الشعبية كنت أطالب بتأمين حسن الجوار مع الأخوة اللبنانيين، وبتحسين الخدمات ضمن المخيمات مثل النظافة في البيوت والشوارع والأزقة، والاعتناء بالزهور والأشجار، وبتأمين شبكة مياه شرب وشبكة تصريف المياه المنزلية التي كانت تمشي في قنوات خاصة صغيرة وظاهرة وسط الشوارع، وبعد ذلك تأمين الكهرباء بشكل عادل للجميع، إضافة إلى ضرورة العناية بتأمين حمام شعبي في المخيم للرجال والنساء، ونادي رياضي ومكتبة عامة، وقد أمكن تحقيق بعض هذه الأماني وتعذر تحقيق بعضها الآخر.

عمليات فدائية

نذكر ايضاً انه بعد نكسة ١٩٦٧ تطور العمل الفدائي من قبل مختلف المنظمات الفلسطينية، وكنت مع الجميع نتابع تلك البطولات، ونعلق عليها اكبر الآمال في حفظ حيوية القضية الفلسطينية، وتأكيد تمسك الشعب الفلسطيني بحقوقه في وطنه، رغم تآمر معظم دول العالم ضده، وعن استعداده للتضحية في سبيل استعادتها.

ويمكن الاشارة هنا الى بعض تلك العمليات بقصد التذكير بنضال

الشعب الفلسطيني البطولي، فعمليات خطف الطائرات من ١٩٦٨ ـ ١٩٧٧ التي نظمها القائد المناضل وديع حداد وضعت قضية فلسطين اجبارياً على خارطة اهتمامات العالم كله، وتخلل ذلك عملية ميونيخ ضد البعثة الاسرائيلية الرياضية في ١٩٧٢/٩/٥، ثم عملية الخالصة للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة في ١٩٧٤/٤/١١، ثم عملية ترشيحا معالوت للجبهة الشعبية ـ الديمقراطية في ١٩٧٤/٥/١٥، وبعدها عملية ام العقارب للجبهة الشعبية القيادة العامة في ١٩٧٤/٦/١٤ التي حركت وجدان الشعب العربي في مختلف دوله، وتبع ذلك عملية احتجاز وزراء اوبيك بقيادة المناضل كارلوس في ١٩٧٥/٢/٢١.

في هذا السياق شكلت عملية (كمال عدوان) التي نفذتها مجموعة (دير ياسين) بقيادة المناضلة دلال المغربي في ١٩٧٨/٣/١١ علامة فارقة وخطوة متقدمة هامة في النضال الفلسطيني حين نزلت مجموعة الفدائيين الى الشاطيء الفلسطيني المحتل بين يافا وحيفا وهاجمت عدة سيارات يهودية واستولت على بعضها ومنها باص اخذت ركابه كرهائن مما اربك الكيان الصهيوني، وأعلنت دلال المغربي (دولة فلسطين) حسب قول الشاعر نزار قباني في الباص الذي احتلته مع رفاقها على طريق فلسطين الساحلي، وحتى الاستشهاد .

نتيجة لهذه العمليات، وتنفيذاً للمخططات الصهيونية الدائمة في الاحتلال والتوسع الجغرافي والاستيطان وتشجيع الهجرة اليهودية وارهاب الدول العربية المجاورة ومحاولة الاضرار بها والضغط عليها واذلالها اذا امكن واجبارها على الاستسلام، قامت قوات العدو بتنفيذ عملية الليطاني ١٥ ـ ١٩٧٨/٣/٢٠ حيث تمكنت من اقامة الشريط الحدودي بقيادة عملائها وهما سعد حداد ثم انطوان لحد في جنوب لبنان.

بعد ذلك انتكس الوضع العربي، عندما قام الرئيس السادات بزيارة للقدس الشريف المحتل في عيد الاضحى في تشرين الثاني ١٩٧٧ وما تبعها من محادثات ومعاهدة كامب دايفيد سنة ١٩٧٩ المشؤومة والتي وصفها الصحفي المصري كمال احمد بقوله :

"ان ما حدث هو الخيانة، وان الخيانة تلجأ الى الاستبداد لتداري جريمتها".

ومن الطبيعي ان تشغلنا هذه الاحداث التي تابعناها مع جماهيرنا العربية، ولاحظنا انه بناء على هذه الاحداث والتطورات فقد ظهرت رغبة من جهات كثيرة في التغطية عليها واشغال العرب عنها، فتم اشعال حرب المخيمات في لبنان، وفي رمضان الكريم بالذات سنة ١٩٨٥، ولثلاث سنوات متتابعة، وانخرط الكثيرون من الفلسطينيين والعرب في هذه الاحداث المؤسفة والقذرة، منشغلين بذلك عن الهم الاكبر، بخروج مصر، اكبر الدول العربية، من ميدان الصراع العربي الصهيوني، وايثار حكامها السلامة الخاصة على المصلحة العربية العامة، متوهمين انهم حققوا نصراً وتصرفوا بحكمة مزعومة حتى صح فيهم قول الشاعر المصري الشعبي أحمد فؤاد نجم : (لقد ربحنا سيناء، وخسرنا مصر).

اما على الصعيد اللبناني الداخلي في تلك الفترة فقد تطورت الاوضاع المأسوية، واحتدم القتال بين مختلف الاطراف، وبرزت فكرة التدخل السوري العسكري لضبط الامور، فاعلن شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك بيانا في ١٩٧٦/١/٨ يعترض فيه على التدخل السوري العسكري المحتمل ويقول فيه : "ان التدخل السوري يجب النظر اليه كغزو وبكل ما في الكلمة من معنى". في حين اعلنت اميركا انها "ضد تدخل اية دولة في لبنان، بما في ذلك سوريا او اسرائيل". وفي ١٩٧٦/١/٢٠ سمحت سوريا بتحرك لواء من قوات اليرموك التابعة لجيش التحرير الفلسطيني من معسكراته في سوريا الى لبنان صباح ١٩٧٦/١/٢٠.

في ١٩٧٦/٢/١٤ اذيع نص الوثيقة الدستورية التي اتفقت عليها المراجع المسؤولة اللبنانية بعد توسط سوريا لتهدئة الامور واقرار اصلاحات دستورية، فابتهج الكثيرون، وانزعج البعض، وقامت في ١٩٧٦/٣/١١ حركة العميد عبد العزيز الاحدب الانقلابية بتأييد من منظمة التحرير وبعض الجهات اللبنانية وربما العربية، ولكنها فشلت، وحدث الانشقاق الكبير في

الجيش اللبناني الذي انقسم الى فريقين مسيحي ومسلم.

تجددت الاشتباكات والخلافات السياسية والعسكرية واتسعت خطورتها، وقررت القيادة السورية ارسال لوائي دبابات في ٩/٤/١٩٧٦ الى الحدود السورية اللبنانية المشرفة على سهل البقاع ثم تقدمت الى مرتفعات شتورا وضهر البيدر، ثم الى بيروت، مما انذر باخطار جديدة اضطررت بسببها الى السفر مع العائلة نحو سوريا والمجهول، ولمدة غير معلومة، ولم تنتهي الا بعد التدخل العسكري السوري في لبنان، ١٩٧٦ - ١٩٧٧، فعدت من دمشق الى بيروت مع العائلة لنبدأ مرحلة جديدة من حياة العذاب من جهة والامل من جهة أخرى.

رواية الضابط عارف جاجة عن اعتقالات الضباط الفلسطينيين

في احدى سفراتي إلى بلغاريا قابلت السيد عارف جاجة ضابط المخابرات أثناء الوحدة الذي حدثني بالتفصيل عن المؤامرة التي دبرت ضد الضباط الفلسطينينن حيث زرته في مقر السفارة السورية في بلغاريا وعندما انهى صلاته رحّب بي ورجوته ان يحدثني عن موضوع المؤامرة المزعومة التي ادت الى سجن وتعذيب الكثيرين من الضباط الفلسطينيين والسوريين. وذلك بصفته كان احد ضباط المخابرات المحققين، ولأني سمعت ان له دور كبير في كشف الموضوع واطلاق سراح السجناء .

روى لي انه كان يلاحظ التناقض والاختراعات في افادات المعتقلين، وادرك ان التعذيب هو السبب، وصمم على معرفة الحقيقة فاستدعى مقدم الاخباريات الرئيسي وهو شاعر اردني اسمه (ذوقان)، يدعى ان له صداقات مع بعض المسؤولين في الاردن وانه وحدوي، ولذلك يهمه ان ينقل للسوريين اخبار اعداء الوحدة. وقد شك عارف جاجة باخباريات وسلوك هذا العميل المخابراتي، فصمم على اكتشاف الحقيقة، فدعاه يوماً لاجتماع خاص في مكتبه وكلفه بمهمة كبيرة بزعم امتحان قوة علاقاته في عمان، اذ طلب منه احضار الشيفرة الخاصة بقوات الجيش في الاردن مقابل وعود

مالية مناسبة. وبعد عدة ايام قليلة عاد ذوقان من سفرته للأردن واجتمع بعارف وقدم له الشيفرة المطلوبة، مما اكد الشكوك بأنه عميل مزدوج، وانه يتعاون مع المخابرات الاردنية وربما غيرها، وهي التي امنت له الشيفرة المزعومة لتزداد قوته لدى السوريين .

وذكر عارف انه اصطحبه الى بيت منفرد للمخابرات وبرفقة اثنين من ذوي العضلات حيث قاموا بضربه بشدة طالبين منه الاعتراف بالحقيقة فافادهم انه يعمل مع المخابرات الاردنية والسفارة البريطانية في عمان، وانه كان ينقل التقارير منهم الى سوريا عن الضباط وخاصة الفلسطينيين الذين لا يعرف بالفعل احداً منهم، وقد سجلت اعترافاته على كاسيت، وكتبها ايضاً بيده، فقدمها عارف جاجة الى اللواء جمال فيصل الذي حوله الى عبد المحسن ابو النور ضابط المخابرات المصري الكبير، وقد فوجئ هذا بافادة عارف ومستنداته الخطية والتسجيلية، واسقط في يده لانه اصبح واضحاً انه لا مؤامرة انقلابية هناك ولا متآمرين، وان المخابرات الانكليزية والاردنية هي التي لفقت ذلك كله لغاية في نفس يعقوب، وهكذا قررت القيادة السورية ايقاف التحقيق والتعذيب، والعمل على اطلاق سراح جميع السجناء بالتتابع، وكان اولهم عبد الرزاق اليحيى الذي نقلوه الى الاسكندرية فزرته هناك واشرت عليه بالتقدم للقومسيون الطبي المصري، ثم واصف جيوسي الذي عاد الى الاردن وعبد الكريم عمر الذي نقلوه الى مصر، وهكذا حتى افرج عن الجميع دون اية تهمة ودون اية محاكمة.

مشروع ملاجئ المخيمات

ومع تطور الأحداث الفلسطينية ـ اللبنانية من جهة، وتعدد الإصطدامات الفلسطينية ـ الإسرائيلية من الحدود اللبنانية من جهة أخرى، طرأ تخوف حقيقي من امتداد نشاط الطيران المعادي إلى المخيمات الفلسطينية الداخلية، وكذلك من احتمالات صدامات مسلحة بين المخيمات وقوات الجيش اللبناني والمليشيات الأخرى، لذلك تم التوافق على إقامة

ملاجيء في مختلف المخيمات لحمايتها من القصف الإسرائيلي المحتمل على الأقل، ما دامت قوات الجيش اللبناني غير قادرة على تأمين تلك الحماية، وبناء عليه تم إقرار اقتراح إقامة المشروع ٩٦٥ الخاص ببناء الملاجيء، وعين اللواء محمد الشاعر رئيساً للمشروع إضافة إلى عمله كرئيس لمؤسسة الإسكان العسكرية في دمشق، وبناء على التجاذبات السياسية بين المنظمات الفلسطينية فقد استوجب ذلك التعيين موافقة منظمة فتح ومنظمة الصاعقة على الأقل. وقد حضر محمد الشاعر إلى بيروت، وهو من زملاء دورتي وعرض علي أن أكون المدير الإداري لذلك المشروع لخبراتي العسكرية والإدارية والعمرانية ولثقته بأخلاقياتي، وأخبرني أنه اخذ موافقة ابو عمار وزهير محسن على ذلك الاختيار، كما تقضي طبيعة العلاقات في المنظمات في ذلك الوقت، وخاصة أنه لن يداوم في بيروت أكثر من يومين أسبوعياً ويترك الإمرة لي في بقية الأسبوع. وقد عرضت له أني كمدير إداري لشركة اتحاد المهندسين والمقاولين لا بد من اخذ موافقة المهندس عزمي نسيبة المدير العام لتلك الشركة، وبصفتي مسئول دائرة النشر والإعلام ومجلة فلسطين في الهيئة العربية العليا فلا بد من اخذ موافقة الحاج أمين، وقد تعهد أن يؤمن موافقة الفريقين، وبالفعل تم ذلك وتسلمت عملي الجديد طيلة قبل الظهر، وعملي في الشركة بعد الظهر، وعملي في الهيئة ليلاً، ووضعت بنفسي القرارات التأسيسية للمشروع، والملاك الضروري للعمل، وتم تعيين مدير فني ومدير مالي، وتقدم المشروع تنفيذياً بشكل جيد من ناحية النفقات وبطيء من ناحية سرعة التنفيذ نسبياً، حيث تم تشغيل اكبر عدد ممكن من صغار المتعهدين

العقيد سمر الخطيب مدير مشروع ملاجئ المخيمات

الزميل عبد العزيز الوجيه عضو اللجنة التنفيذية

في ١٤ مخيم للاجئين في لبنان وبأسعار معقولة جداً. وبحيث يقوم الجهاز الفني بوضع التصاميم ومراقبة التنفيذ ويقوم الجهاز المالي بالإنفاق على مصروفات المشروع شرط أن تقترن هذه المصروفات بموافقة المدير الإداري.

واذكر عن هذا المشروع الحيوي أنه تم إنجاز حوالي ١٥٠ ملجأ متنوع القياسات في جميع المخيمات من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مع تركيز على مخيمات الرشيدية والنبطية وتل الزعتر وعين الحلوة.

وقد قدمت هذه الملاجئ للفلسطينيين في لبنان حماية كبيرة اثناء حرب المخيمات وخلال العدوان الاسرائيلي سنة ١٩٨٢.

لم تكتف ادارة مشروع الملاجيء بتأمين الدفاع السلبي في المخيمات، بل تطرقت الى موضوع الدفاع الايجابي، فاستحضرت مفارز مضادة للطائرات من الجيش السوري تستعمل صواريخ (ستريللا) التي تقذف من الكتف، ووزعتها في معظم مخيمات بيروت والجنوب، كما اتفقت مع الاركان السورية على ايفاد لجنتين اختصاصيتين وضعت الاولى خطة دفاعية عن كل من المخيمات الهامة ومنطقة الفاكهاني، ووضعت الثانية خطة للدفاع الجوي ضد الطائرات، واذكر هنا ان خطة الفاكهاني كانت تشمل المنطقة حتى طريق المطار واول مستديرة الكولا ثم جامعة بيروت العربية حتى مقبرة الشهداء وجامع الخاشقجي، ولدى مراجعة الخطة نهائياً اقترحت توسيع المنطقة لتشمل دوار الكولا بكامله حتى بناية الكولا ثم تلتف حتى مبنى المطافئ والملعب البلدي بكامله، نظراً لوجود الكثير من المكاتب والمنازل لمختلف المنظمات فيها، وقد تم تعديل الخطة فعلاً على هذا الاساس.

اذكر أنه حدث تدخل من اللجنة العليا للمشروع في الفترة الأخيرة وذلك بتقديم اقتراح تكليف متعهد واحد كبير بمعداته الحديثة لإنجاز المشروع بسرعة اكبر بقليل وبتكاليف اكبر بكثير، وقد عارضت هذه

الفكرة، إلى أن قام الأخ عبد المحسن قطان بمراجعتي كوسيط للجنة العليا، موضحاً أهمية الإسراع في إنجاز المشروع وإغلاق مصاريفه ونفقاته، ولو كان ذلك بأسعار أعلى وعلى حساب مصلحة صغار المقاولين لمصلحة متعهد كبير واحد، وتوصلنا إلى حل وسط بحيث يستمر المقاولون الصغار في إنجاز مشاريعهم ومشاريع الملاجيء الصغيرة الأخرى، في حين ينفذ المتعهد الكبير مشاريع الملاجيء الكبيرة، علماً أن هذا المتعهد هو مهندس حديث الخبرة وكنت على معرفة به وبأهله.

اذكر أني اعتبرت المهندسين العاملين في المشروع في تلك الفترة مجاهدين متطوعين آثروا خدمة شعبهم على السفر للعمل في الخليج مثلاً كغيرهم، ولذلك كتبت لعدة شركات هندسية كبيرة اقترح ضمان وظائف لهؤلاء المهندسين في شركاتهم فور إنجازهم مهماتهم في المخيمات ولقيت تجاوباً عملياً أو ضمنياً لهذه الفكرة. ومن هؤلاء المهندسين موسى أيوب وجهاد السيد وأحمد الخطيب وعزام فضة وغيرهم.

وقد عكر صفو العمل غيظ بعض أعضاء اللجنة العليا للمشروع من تمسكي بالمقاولين الصغار وأسعارهم، وأشاعوا أن الهدف هو تطويل مدة المشروع للاستفادة من رواتبه، ثم عقدوا اجتماعاً لهم مع المهندسين والمديرين، وبغياب المدير العام الجديد العقيد سمير الخطيب الذي تولى إدارة المشروع بعد اللواء محمد الشاعر، وفوجئت في هذا الاجتماع بقرار إعفائي شفهياً من العمل صادر عن بعض أعضاء اللجنة الحالية مثل الدكتور وليد القمحاوي والسيد عبد الجواد صالح والسيد عبد العزيز الوجيه، فتصديت فوراً لهذا القرار الأخرق، وأعلنت لهم رفضي إياه لأن ذلك القرار ليس من صلاحياتهم وليسوا هم من عينني للمشروع ولم يساهموا في تأسيسه ورعايته أكثر مني، وأني لا أتلقى مثل هذا القرار إلاّ من منظمة التحرير ومن أبو عمار وزهير محسن شخصياً، وأني مصمم على إنجاز هذا المشروع بنفسي وخاصة أنه لن يستغرق سوى بضعة اشهر إضافية، وأن قرارهم تعسفي ناتج إما عن جهل أو عن تواطؤ مع المستفيدين من الأسعار الجديدة، وذكرتهم بأني أتقاضى اصغر راتب إداري في المشروع وذلك

باختياري الشخصي وبإصراري على ذلك منذ تأسيس المشروع، حيث رفضت راتب مدير واكتفيت براتب أحدث مهندس، مع رفضي شراء سيارة خاصة لي وتأمين سائقها ومحروقاتها، لأني أتحمل تكاليف ذلك شخصياً، خلافاً لجميع المسئولين والمهندسين الحديثين، وتوجهت في نهاية مداخلتي العنيفة إلى السيد عبد العزيز الوجيه، وهو من زملاء دورتي، وكان عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، وسألته كيف توافق أو تسكت على مثل هذا القرار يا أبا محمود؟ فلم يجد جواباً، وعلى ذلك استأنفت عملي وأعلمت المدير العام للمشروع العقيد سمير الخطيب بأن هؤلاء كلهم طارئون على المشروع الذي بلغ مراحله النهائية، وأني مصمم على إنهائه بشكل إداري سليم، يحفظ حقوق المهندسين والموظفين في التعويض، ويحفظ سيارات ومعدات المشروع ويضمن تنظيم ميزانية دقيقة وافية له، وسأقدم بذلك كله تقريراً ختامياً يتضمن كل الإنجازات والنفقات والصعوبات للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير مباشرة. وهذا ما تم فعلا ؛ حتى أنه لما برزت فكرة تحويل مشروع ملاجيء المخيمات إلى مشروع (تحصين المخيمات) قدمت مذكرة اعارض فيها تلك الفكرة التي قد تعرقل الصلة مع الجوار وتحول المخيمات إلى معسكرات قتال معادية، وتعتبر تحدياً للسلطات اللبنانية وتسيء إلى العلاقات معها، واقترحت خطياً تحويل المشروع إلى مشروع (تحسين المخيمات) بدل تحصينها، وأن هذا التحسين يتم بالعناية بالنظافة والزراعة وإقامة مكتبة وملعب رياضي وحمام عام للرجال والنساء وبتنظيم شبكات الري والصرف والكهرباء وغيرها مما يُحسّن مستوى معيشة اللاجئين، كما أوضحت سابقاً.

وربما بقيت على استيائي من الزميل عبد العزيز الوجيه، وقد عرف ذلك بنفسه ولاحظ هذا الاستياء، واذكر أنه بعد فترة من انتهاء مشروع الملاجئ جاءني إلى مكتب الشركة في الحمراء، ليشرب معي فنجان قهوة، اثناء معركة فنادق بيروت واذكر تماماً أنه عند مغادرته المكتب، قال لي: اعتبرني زهرة في سترتك يا أبو توفيق ولا تزعل مني. فودعته مسامحاً فعلاً، ومن المؤسف أنه جاءني خبر وفاته في مساء ذلك اليوم نفسه بعد

وصوله إلى دمشق مباشرة، فأسرعت للمشاركة في العزاء طيلة أسبوع كامل.

زيارة بغداد ومقابلة حمدون والحافظ

كنت طيلة تلك المدة أسافر إلى الدوحة ـ قطر مع مطلع كل سنة لإجراء جردة لمستودعات الشركة هناك، وأثناء عودتي من احدى السفرات في مطلع السبعينات، عمدت إلى زيارة بغداد، حيث قابلت وزير الاصلاح الزراعي فيها آنذاك السيد مصطفى حمدون، مدربنا في دورة قطنا، ورجل الانقلابات المعروف، وطلبت منه تأمين عمل لأخي المهندس الزراعي عبد الغني المتخرج من بلغاريا، فوافق على ذلك وطلب تسفيره إلى بغداد حيث تم تعيينه في وزارة الاصلاح الزراعي لفترة، ثم التحق مجدداً ببلغاريا حيث نال الدكتوراه في الهندسة الزراعية.

في بغداد أيضاً أذكر أني هاتفت الرئيس السابق الصديق أمين الحافظ، فأصر علي أن أزوره فوراً في بيته، وأرسل سيارة رئاسة الجمهورية (العراقية) لنقلي، حيث قضينا سهرة ذكريات تميزت بكرمه ووفائه، وقد عدت بنفس السيارة إلى الفندق وفوجئت بأنها محملة بمجموعة من علب الحلويات العراقية المعروفة (المن والسلوى).

في تلك الفترة أيضاً اذكر أنه مع تقدم الأعمال والمصادمات العسكرية، انضمت مختلف الأحزاب والمنظمات إلى العمل المسلح، حيث تبلورت معالم المعركة بين أمريكا "وإسرائيل" وحلفائهما الحاليين أو المحتملين من جهة، وبين روسيا وسوريا وحلفائهما الحاليين أو المحتملين من جهة أخرى.

بعد الخرطوم وايلول الاسود

من المعروف ان القادة العرب عقدوا مؤتمرا لهم في الخرطوم بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ وكانت ابحاثهم تنصب على ازالة اثار العدوان متجاوزة أي تخطيط لتحرير فلسطين ومع ذلك فقد صدرت قرارات المؤتمر

وهي تتضمن اللاآت الثلاثة "لا صلح ـ لا تفاوض ـ لا اعتراف بالكيان الصهيوني"، مع تجنّب الشعار الرابع المطروح من الشقيري "لا تفويض لأيٍ من الرؤساء العرب بالتصرف بالقضية الفلسطينية"

وقد جرت بعد المؤتمر تطورات هامة على صعيد المنظمة حيث استبدل الشقيري بالسيد يحيى حمّودة ومن ثم ياسر عرفات، وقد عقد مؤتمر وطني فلسطيني في القاهرة سنة ١٩٦٨ (دعيت الى حضوره مع الزميل عزمي نسيبه) حيث تقرر انتقال القيادة الفلسطينية الى ايدي المنظمات الفدائية وبعض المستقلين، وقد ادّى ذلك الى الاصطدامات في الأردن ومجزرة ايلول الاسود سنة ١٩٧٠ ومن ثم انتقال المنظمات وقياداتها الى لبنان.

وفي نفس هذه الفترة كان قرار ازالة آثار العدوان يتصدر العمل السياسي والعسكري العربي وقد امكن تأهيل الجيشين المصري والسوري لحرب مشتركة لأزالة تلك الآثار وقام الرئيس عبدالناصر والرئيس الأسد بتنفيذ الاستعدادات العسكرية اللازمة لتحقيق ذلك الهدف. ولكن بعد وفاة الرئيس عبدالناصر تسلّم الرئيس السادات حكم مصر وتأجل تنفيذ خطة التحرير لفترة من الوقت.

في رمضان (تشرين الاول ١٩٧٣) بدأت الحرب التحريرية وتمكن الجيش المصري من اجتياز قناة السويس واحتلال خط بارليف، كما تمكن الجيش السوري من التقدم في الجولان المحتل حتى اشرف على بحيرة الحوله وبحيرة طبريّة واستعاد قمّة جبل الشيخ، ولكن العدو الاسرائيلي تمكن فيما بعد من ايقاف الهجوم المصري وحقق اختراق ثغرة الدفرسوار كما تمكن من اعادة احتلال الجولان.

وقد كنا نتابع هذه الاحداث الكبيرة مؤيدين للعمل العسكري المشترك "آملين" ان تكون الاستعدادات كافية لتحقيق النصر المطلوب، ولكن مع الاسف الشديد كانت النتيجة كما ذكرنا وبرزت التخوفات والتحليلات من ان يكون هدف هذه الحرب التحريك وليس التحرير، أي تحريك قضية السلام سياسياً وعسكرياً مع "اسرائيل" وفق ما ظهر في سياسة الرئيس السادات، تلك السياسة التي حوّلت الحرب التحريرية الى مباحثات فكّ

اشتباك ومفاوضات ووقف اطلاق نار، وتطورت حتى وصلت الى اقرار الحلول السلمية الأستسلامية في كامب دايفيد .
ومن المؤسف ان هذه الاتفاقية ادّت الى اخراج مصر، اقوى الدول العربية واكبرها، من معركة النضال ضدّ الصهيونية محققة بذلك خسارة كبرى للموقف العربي وانتصاراً هامّاً للتخطيط الصهيوني.

رحيل الحاج أمين الحسيني

في ٧/ ٧/ ١٩٧٤ توفي الحاج أمين الحسيني بعد عدة شهور من المرض، وتم إعلان الوفاة واهتمت الإذاعات والصحف العربية بوفاة هذا المجاهد الكبير الذي تعرض لمطاردات وتضييقات من الإنكليز والصهاينة وبعض العرب. وقد توافد على منزله في منصورية المتن للتعزية جميع زعماء لبنان من مختلف الطوائف بالإضافة إلى شخصيات عربية وإسلامية.

اذكر أن رئيس الجمهورية اللبنانية آنذاك السيد سليمان فرنجية خرق البروتوكول وحضر بنفسه مع الرئيس صائب سلام إلى منزل الفقيد في المنصورية للتعزية، وتكلم عن جهاد الفقيد وأعرب عن رغبة لبنان الرسمي

نعش الفقيد الحاج أمين الحسيني مع حرس الشرف

بتنظيم جنازة الفقيد بصفته ضيف لبنان وشخصية وطنية كبيرة، ولكن أبو عمارالذي كان حاضراً أيضاً، عرض فوراً أن المقاتلين الفلسطينيين من أبناء الفقيد الكبير سيقومون بتنظيم التشييع اللائق بزعيمهم الراحل، فاستاء الرئيس فرنجية من ذلك وتدخل الرئيس سلام فقال أن واجبنا جميعاً أن نشارك في تكريم هذه الشخصية العربية الإسلامية المجاهدة، ولا بد من تنظيم ذلك بشكل مناسب، فتم الاتفاق على تأليف لجنة من الدكتور عمر مسيكة عن لبنان والأخ أبو الزعيم عن منظمة التحرير ومني عن الهيئة العربية العليا، وبالفعل تباحثنا واتفقنا على إقامة التشييع على مرحلتين: الأولى رسمية برعاية وحضور رئيس وزراء لبنان، وحضور وزراء ونواب وسفراء وموسيقى الدرك اللبناني وقوات امن لبنانية، وذلك من بيت الفقيد في منتزه المنصورية حتى جامع البربير قرب مستشفى البربير، والثانية شعبية فلسطينية عربية إسلامية من الجامع إلى روضة شهداء فلسطين، وبالفعل تحرك موكب التشييع برئاسة السيد تقي الدين الصلح رئيس وزراء لبنان وبحضور قوات الأمن والموسيقى الخاصة بها حتى الجامع حيث ادخل الجثمان وانصرفت قوات الأمن اللبنانية ورافقتها الموسيقى لتحل محلها فرقة موسيقى الثورة وقواتها المسلحة التي رافقت الفقيد من لحظة خروج الجثمان من الجامع حتى روضة الشهداء، وذلك برئاسة الأخ شفيق الحوت ممثلاً منظمة التحرير، وألقى كلمة تأبين رائعة عند عملية الدفن منوهاً بجهاد سيف الدين الحاج أمين الذي يترجل عن صهوة جواده دون أي تنازلات للعدو.

مع الأخ أبو عمار والأخ أبو شامخ الخطيب
والعميد سعد صايل

كما أشاد بالراحل الكبير بأنه سيف الدين الحاج أمين الذي يعود اليوم إلى غمده، وعاهده باسم الشعب والجيش والمجاهدين الفلسطينيين على الاستمرار في الكفاح حتى النصر. وكان حاضراً عند الدفن الرؤساء صائب سلام وتقي الدين الصلح وياسر عرفات ومعظم قادة المنظمات الفلسطينية وشخصيات عربية وإسلامية عديدة.

ولقد أصدرت عدداً خاصاً من مجلة (فلسطين) يتضمن بيانات النعي الصادرة في لبنان والأردن، وصور الشخصيات الّتي أمّت منزل المفتي للتعزية قبل الدفن وبعده، وصور يوم التشييع وكلمات التأبين عند الضريح، ثم عدداً كبيراً من أقوال وتعليقات الصحف العربية والأجنبية مع مجموعة قصائد نعي ومعاهدة على استمرار النضال على خطى الزعيم الراحل.

تحت جناح الحاج أمين

خدمت مع الحاج أمين الحسيني حوالي عشر سنوات وحتى وفاته، وقد رغب دائماً في زيادة التعاون مع الضباط العسكريين ومع المثقفين، ويستمع لآرائهم ووجهات النظر المختلفة، ثم يكون القرار النهائي له.

صور تذكارية لمؤتمر العالم الإسلامي في سنة ١٩٣١
ويظهر المفتي على رأس المؤتمر والرئيسين شكري القوتلي ورياض الصلح في طرفي الصورة

كنت وما زلت معجباً بتاريخ هذا المناضل القائد الفلسطيني العربي الاسلامي الكبير، وقبل عملي تحت جناحه كنت اعرف سيرته منذ ثورة ١٩٢٠ الى انتخابه مفتياً

للقدس وفلسطين سنة ١٩٢١ الى ثورة البراق سنة ١٩٢٩ ومؤتمر العالم الاسلامي بعدها سنة ١٩٣١ الذي انتخبه رئيساً دائماً له، وعند استشهاد البطل عز الدين القسام ونشوب الثورة الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ واضرابها الشهير، تشكلت اللجنة العربية العليا لقيادة النضال من قادة جميع الاحزاب وبرئاسة المفتي الذي ظهر علناً لأول مرة على رأس العاملين المخلصين، وقد حاصره الانكليز في المسجد الأقصى فأفلت منهم سراً وظهر في لبنان، وعندما شعر بتوافق الانكليز مع حكومة فيشي الفرنسية اختفى من لبنان وانتقل سراً الى العراق ليشارك شعبه ثورته الوطنية بقيادة رشيد الكيلاني، وعندما دخل الانكليز العراق خلال الحرب العالمية الاولى اختفى الحاج أمين ليظهر في ايران، وعندما تقدم الحلفاء الانكليز من الجنوب والسوفييت من الشمال باتجاه طهران اختفى المفتي لينتقل سراً الى تركيا ثم بلغاريا وليظهر فجأة في ايطاليا موسوليني والمانيا هتلر. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بهزيمة المانيا انتقل الى سويسرا سراً ثم اضطر للجوء الى فرنسا حيث احتجز في الاقامة الامنية، وعندما شعر بان جهود اليهود والبريطانيين والامريكيين لتقديمه كمجرم حرب قد استكملت مع رئيس وزراء فرنسا اليهودي اختفى فجأة وانتقل سراً ليظهر في مصر، ويعود لقيادة النضال في فترة قرار التقسيم وحرب ١٩٤٨ حيث توجه سراً الى غزة لعقد مجلس وطني واقامة حكومة عموم فلسطين خلافاً لمخططات الاستعمار والصهيونية وبعض الزعماء العرب. وتبع ذلك تطورات كثيرة في القاهرة قبل ثورة عبد الناصر وبعدها فانتقل الى لبنان واقام فيها مواصلاً كفاحه، رغم وجود منظمة التحرير الفلسطينية التي

صورة تذكارية للحاج أمين مع الرئيس المصري محمد نجيب والرئيس السوري شكري القوتلي وآخرين

اقيمت وفقاً لرغبات بعض الدول المتهمة بفتح الطريق امام الحلول السلمية الاستسلامية، وبقي على موقفه الرافض لأي تنازل او استسلام والمتشبث بكامل حقوق فلسطين وشعبها حتى وفاته في بيروت سنة ١٩٧٤.

اني من المعجبين بكفاح هذا القائد مثل الكثيرين من العرب والمسلمين، وأتمنى اخراج مسلسل تلفزيوني لائق عن حياته المليئة بمواقف النضال والمفاجآت والمغامرات والصمود رغم مطاردة الاستعمار والصهيونية له طيلة حياته.

لا بد من الاشارة الى أنه كان يؤمن بالعروبة والعمل الاسلامي المسيحي المشترك ضد الصهيونية، وكان رائد الوحدة الوطنية الفلسطينية، ونائبه المسيحي اميل الغوري، ومن اعوانه الياس صهيون وخليل خليف في بيروت وعيسى نخلة في واشنطن، ومعظم الوفود التي ارسلها كانت برئاسة مسيحي او بمشاركته الى معظم قارات العالم.

اظن انه لم ينل ما يستحقه من التكريم والتقدير لفترة طويلة، وانما يعزيني انه اخيراً وبمناسبة ٣٠ سنة على وفاته احتفل اللقاء الثقافي الفلسطيني برئاسة الدكتور انيس صايغ في هذه المناسبة في نادي خريجي الجامعة الامريكية في بيروت، كما اقامت لجنة الوفاء للأرض والانسان اللبنانية احتفالاً عند ضريحه في مثوى شهداء فلسطين، وايضاً نظمت منظمة فتح ـ الانتفاضة احتفالاً مماثلاً لهذه المناسبة وحضر وفد كبير برئاسة الأخ ابو موسى من دمشق الى بيروت لهذه الغاية، وهذا كله يعني في نظري ان المناضلين الحقيقيين سيجدون الانصاف من الله ومن العالم ومن شعبهم، وان طال المدى، والحاج أمين لم يقصّر في مجال الجهاد رغم قلة المال والعتاد، وترجل عن صهوة جواده وما زال هتاف (سيف الدين الحاج أمين) يملأ الاسماع والقلوب.

واختم هذه الفقرة فاذكر ان المرحوم أحمد الشقيري، بعد استقالته من رئاسة المنظمة في ١٩٦٧/١٢/٢٤ وبعد رحيل المفتي بعدة سنوات، حضر الى لبنان وطلب من الاخ شفيق الحوت ان يتصل بي شخصياً لترتيب زيارة

تعزية له لبيت المفتي، ورغم معارضة بعض الحسينيين، فقد تم تأمين الزيارة حيث رافقته والسيد شفيق الحوت من مكتب المنظمة في بيروت الى بيت سماحته وقدم تعازيه وتحدث عن جهاد الراحل بكل احترام.

خطة للقتال في بيروت

حدث بعد مدة أن اتصل بي أصدقاء من أحد الاحزاب اللبنانية لبحث الوضع العسكري في لبنان فوضعت لهم تصوري العسكري للقتال الحالي والمقبل، ونظمت خريطة توضح خطط المواجهة المحتملة، وخطة الدفاع المقترحة وحددتها في منطقة بيروت بمجرى نهر بيروت نفسه من الحازمية إلى سن الفيل إلى برج حمود ثم البحر شمالاً، واقترحت تنظيم خطة العمليات على هذا الأساس بحيث يكون مجرى نهر بيروت هو الفاصل المحتمل إذا لم يتم حسم المعركة لأحد الفريقين، وهو المرجح عندي لمدة طويلة، كما ألفت لهم من ناحية أخرى كتاباً يتضمن قواعد تدريب المقاتلين من مرتبة المقاتل الفرد إلى الحضيرة ثم الفصيلة بكل ما يتصل بهذا التدريب من نواحي وتفصيلات، وقد لقي ذلك ترحيباً وتقديراً منهم، بحيث تمت إقامة حفلة تكريم لي في إحدى المساكن بحضور رئيس الحزب آنذاك وعدد من كبار قياديه.

العمل الصحافي وانقسام الهيئة

لتوضيح عملي في المجال الصحفي أذكر أني كنت قد اتفقت مع جريدة (البيرق) لصاحبها نقيب الصحفيين اللبنانيين الأستاذ ملحم كرم منتصف الستينات على كتابة مقال يوم الثلاثاء وكل أسبوع وبحجم صفحة كاملة بما فيه الصور والعناوين الّتي اختارها بنفسي، وقد استمر ذلك أشهراً عدة، وبعد ذلك عملت في الهيئة العربية رئيساً لدائرة النشر والدعاية وبالتالي مديراً ورئيساً للتحرير في مجلتها الشهرية (فلسطين) من سنة ١٩٦٧ حتى حصول الغزو الإسرائيلي إلى لبنان سنة ١٩٨٢ حيث دخل الإسرائيليون بيروت واقتحموا مطبعة الصيداوي في رأس بيروت وصادروا

وأحرقوا العدد الأخير من (فلسطين) الذي كان جاهزاً للتوزيع، وبذلك توقف نهائياً صدور المجلة، في حين استمر عمل الهيئة سياسياً حتى سنة ١٩٨٤ حين توقف التمويل الكافي لها.

كان قد جرى بعد رحيل المفتي انقسام الهيئة إلى قسمين أحدهما في عمان برئاسة منيف الحسيني وإميل الغوري، وثانيهما في بيروت برئاسة الأستاذ صلاح الدين ابن المفتي الحاج أمين الحسيني، وهو الذي استمر في إصدار المجلة والعمل السياسي حتى عملية الغزو الإسرائيلي للبنان كما ذكرنا .

مغادرة لبنان إلى المجهول ثمّ دمشق

وفي ما بعد تطور القتال واللبناني الداخلي، الجيش السوري إلى لبنان سنة١٩٧٦ وتأزمت الأمور المعيشية فقررت مغادرة بيتنا في الشياح باتجاه دمشق بسيارتي مع عائلتي وحقيبة ملابس للجميع مغلقاً بيتي في بيروت متجهاً لأشواك المجهول غير المحدد بزمان أو مكان، وقد دعوت السيدة زينب الحسيني ومالك الحسيني وزوجته واصدقاء آخرين أم أيمن والأستاذ أحمد عرابي وزوجته لمرافقتي في مغادرة لبنان، وسرنا معاً باتجاه صيدا ـ مرجعيون ـ دمشق، وقد تبرع صديقي أبو صابر(حسين سعدون) بشقة مفروشة في دمشق سكنتها مع عائلتي الصغيرة ثم مع من توافد إلينا فيما بعد من بيروت، ولن أنسى فضل أبو صابر ما حييت لتصرفه الأخوي الأخلاقي رغم أن ابتعادي عن بيتي نحو المجهول كان أيضاً شوكة جديدة في حياتي .

وعندما تحسنت الأحوال الأمنية عدت إلى بيتي في الضاحية والى عملي في بيروت معتبراً تلك العودة زهرة في حياتي، تمنيت بعدها زهرة أخرى في عودتي إلى عكا.

العميد ريمون اده والرئاسة

مع دخول الجيش السوري والفلسطيني إلى بيروت كان العميد مصباح البديري قائد جيش التحرير الفلسطيني يتردد على بيتي كصديق وزميل

سلاح. وفي بداية المعركة على رئاسة الجمهورية اللبنانية بين الرئيس الياس سركيس والعميد ريمون اده، فوجئت بزيارة إلى بيتي في الرويس ـ الضاحية من السيد جميل إبراهيم الذي أراه لأول مرة، وبعد أن تعارفنا أوضح أنه يريد وساطتي ومساعدتي لدى سوريا لتأييد ترشيح ريمون اده للرئاسة، ولما استغربت هذا الطلب مني، وكيفية تعرفه على منزلي، أفاد أنه أخذ معلوماته من قيادات فلسطينية وعلى أساس صداقتي للعميد مصباح البديري الموجود في لبنان، وعلى أساس علاقة البديري بالسلطات السورية الرسمية العليا الّتي يمكن أن ترجح أحد المرشحين، وقد أبديت له ضعف امكاناتي في هذا المجال، رغم إعجابي بالعميد اده ومواقفه ضد الإسرائيليين واهتمامه بمياه جنوب لبنان وحسن علاقاته ومعرفته بقيادات فلسطينية، وقد أوضح السيد جميل إبراهيم أن بإمكاني نقل هذه الرغبة إلى البديري وتشجيعه على نقلها لسوريا، فوعدته بذلك ونفذت الوعد فابلغ البديري دمشق بهذا الاتصال الشخصي من مندوب العميد، فكان الجواب يتضمن طلب تعهد العميد اده بتوقيع اتفاق أمني مع سوريا، وقد قابلت العميد في بيته في بيروت شخصياً لأنقل إليه الجواب السوري، فتلخص موقفه في عدم ضرورة تقديم تعهد خطي، وأنه إذا وعد يستطيع أن يفي بوعده خلافاً للآخرين، ولما أبلغت البديري، وهذا أبلغ السلطات السورية المختصة بهذا الموقف، جاء الجواب بوقف الاتصالات السياسية الرئاسية مع العميد، فأبلغت السيد جميل إبراهيم بذلك، وتبين أن القرار السوري كان قد اتخذ بتأييد الرئيس الياس سركيس.

في هذا المجال نذكر ان العميد اده كان الوحيد الذي رفض اتفاق القاهرة سنة ١٩٦٩ ومع ذلك اصبح من اكثر الزعماء اللبنانيين قرباً من النضال الفلسطيني .

اما سعيه لرئاسة الجمهورية اللبنانية فكان حقيقة من جهة، ومن حقه من جهة اخرى، وان كان يضع دائماً شروطاً قاسية يطلب توفرها ليقبل تولي هذه المهمة، لدرجة ان الرئيس حافظ الاسد قال لرئيس المجلس

النيابي اللبناني حسين الحسيني في آب عام ١٩٨٨ ما يلي :

(يريدنا ريمون اده ان نخوض من اجله معركة الانتصار على الامريكيين الذين لا يريدونه رئيساً، وعلى الاسرائيليين الذين لا يريدونه ايضاً، وعلى الجبهة اللبنانية التي ترفضه ولها مرشحها، اي علينا ان نربح على هؤلاء جميعاً، ونخوض ضدهم معركة المجيء به رئيساً، واذا انتصرنا يطلب منا مهلة قبل ان يوافق، وقد لا يوافق).

محاولات في الصراع على النفط الروسي

في أوائل التسعينات اتصل بي بعض الرفاق وعرضوا امكانية أخذ تعهدات نفطية ضخمة في بعض الدول الشرقية وخاصة في بلغاريا ـ كازاخستان ـ قيرغيريا ـ أوزبكستان ـ وعرضوا رغبة بعض المسؤولين في تلك الدول في اشراك الشركات العربية المختصة بتلك المشاريع، بعد أن تهافت عليها الأميركيون والاسرائيليون، وقد قدمت عرضاً كاملاً عن ذلك لاحدى الشركات في بيروت مع التشجيع على منافسة الاعداء في هذه المشاريع وضرورة خوض غمارها مقابل عمولات بسيطة للوسطاء وربما لبعض المسؤولين هناك، الذين يضمنون تأمين هذه الاتفاقيات النفطية، ولكن من المؤسف أن هذا العرض لم يجد تجاوباً في ذلك الوقت المبكر، لأسباب غير واضحة، مما أفسح المجال للشركات الاستعمارية والصهيونية الفوز بتعهدات كبيرة، قبل ان تنتبه الشركات العربية مؤخراً، ومنها شركة C.C.C. لأهمية هذه المساهمات وقد تم بالفعل مؤخراً عقد اتفاقات هامة خاصة في كازاخستان، مما سمح باستيعاب بعض الأيدي الفنية الفلسطينية هناك، بعد أن سدّت في وجه الفلسطينيين معظم أبواب العمل في الدول العربية.

قد كتبت بعض الصحف العربية مبكراً عن الصراع النفطي على القوقاز وآسيا الوسطى، داعية الشركات العربية إلى الانخراط في هذا الميدان، لمنافسة الشركات الاستعمارية، وأوضحت أن دول هذا النفط تفضل مساهمة العرب الأغنياء في هذا الميدان الذي تتهافت عليه الشركات

الأميركية والاسرائيلية، ولكن التجاوب مع هذا النداء جاء متأخراً جداً مع الأسف الشديد .

استشهاد أخي الدكتور المهندس عبد الغني

نعي (فتح) و(صامد)
لأخي الشهيد عبد الغني

في أوائل سنة ١٩٨٠ عاد أخي عبد الغني إلى بلغاريا حيث نال شهادة الدكتوراه في الهندسة الزراعية ثم عاد إلى لبنان وتقدم بطلب للعمل في احدى مزارع مؤسسة (صامد) التابعة لمنظمة فتح، ولكن طلبه قوبل بالرفض أمنياً(!!) بسبب دراسته في بغداد أو براغ على الأرجح، لذلك فقد ذهبت لمقابلة الأخ أبو الهول مدير مخابرات (فتح) وطلبت منه تأمين العمل المناسب لأخي، وعدم التحجج بوجود ملفات مخابرات لكل فلسطيني، لأننا لا نريد تقليد المخابرات في بعض البلدان العربية مبكراً، وقلت له: أني اعتبره المسئول الشخصي عن عدم إيجاد عمل لأخي، وقد وعد بمعالجة الموضوع وتم فعلاً تعيينه في إحدى المزارع الكبرى لفتح في غينيا بيساو غرب أفريقيا، ولكن بعد بضعة أشهر جاءني خبر وفاته بمرض نتيجة لسعة من بعوضة قي عينه، وأنه تمت معالجته أولاً في مستشفى محلي حتى شفيَ، ولكنه انتكس فيما بعد حتى توفي، وجاءني وفد مرسل من الأخ أبو علاء مسئول(صامد) لإبلاغي باستشهاد عبد الغني، فتجملت بالصبر وقلت لهم: إذا كانت الوفاة طبيعية فهذا أمر الله، أما إذا كانت بفعل فاعل أو إهمال مسئول فلكل حادث حديث.

وبانتظار وصول الجثمان من غينيا إلى فرنسا ثم إلى لبنان خلال عشرة أيام كان بيتي مفتوحاً للعزاء وكانت (صامد) تتولى معظم تكاليف ذلك، وجاء الأخ المهندس عزمي نُسيبة من قطر والزميلان جواد عبد الرحيم

وعبد الكريم عمر من دمشق ليقفوا معي في هذه الفترة القاسية، كما توافد على البيت ممثلوا وقيادات جميع المنظمات الفدائية وبعض الأخوة ممثلو الأحزاب اللبنانية، ورغم حدة الخلافات أنذاك بين أبو عمار من جهة واللواء مصباح البديري قائد جيش التحرير الفلسطيني في لبنان من جهة أخرى، فقد قدم كل منهم التعازي شخصياً في البيت. واذكر هنا أنهما كانا على عداوة قاسية جداً ولا يمكن أن يجمعهما مكان واحد، لذلك كان كل منهم يستطلع سلفاً بيتنا ليحدد موعد حضوره، وحدث في ثالث أيام التعزية أن حضر مصباح مبكراً وغادر البيت، فحضر بعده بقليل أبو عمار.

اذكر هنا أن أبو عمار كان قد طلب أن يدفن شقيقي في مقبرة شهداء فلسطين في مستديرة شاتيلا، لكي يجهز جنازة لائقة بالدكتور المهندس الشهيد، وهو الشهيد الوحيد في(فتح) آنذاك بشهادة دكتور مهندس، ولكني وبخلفية شكوكي في أسباب الوفاة ولأسباب عائلية أخرى، فضلت الدفن في مقبرة الرادوف - برج البراجنة حيث مدفن عائلتنا، وتعهد الأخوة من مختلف التنظيمات في برج البراجنة بتأمين الجنازة اللائقة من فرق موسيقية للكشافة ومواكب طلاب المدارس وأعلام فلسطين وممثلي المنظمات وسيارة الدوشكا والإسعاف والبيارق العالية بحيث فوجئت شخصياً بحجم هذا التكريم، كما فوجيء به مندوبو فتح في الجنازة وهم أبو علاء وأبو موسى وأبو صالح.

واذكر هنا أني كنت قد أوضحت شكوكي بسبب الوفاة لرفاقنا في الحزب الشيوعي اللبناني، ووعدوا بالاستقصاء لوجود علاقات قوية لهم مع غينيا بيساو، وقد أعلموني بعد ذلك أن الوفاة كانت قضاءً وقدراً وأن تحقيقاتهم لم تجد أية شبهة حول ذلك.

لهذا عندما عرض الأخ أبو عمار إقامة حفل أربعين الشهيد في قاعة جامعة بيروت العربية وبحضور أركان المنظمات وشخصيات لبنانية وافقت على ذلك وألقيت كلمة، كما ألقى الأخ أبو عمار كلمة سياسية واجتماعية.

والغريب أنه بعد الجنازة بمدة بسيطة حصل انفجار عبوة ناسفة عند مدخل شقتي السكنية في الرويس - برج البراجنة، فكسرت أبواب شقتي

والشقتين المقابلتين وأتلفت قسماً من مكتبتي في مدخل الشقة، وذلك في التاسعة مساءً وهو موعد وصولي العادي للبيت، ولكن صدف أن قمت بزيارة تعزية لآل الشقيري ليلاً، مما أخرني خمسة دقائق عن الموعد. وقد تعددت الشبهات والاتهامات بين هذه الجهة اللبنانية أو تلك المنظمة الفلسطينية، التي لا تريد مثل مهرجان الجنازة المذكور المتميز والأول من نوعه في الضاحية.

قرار اغتيال شفيق الحوت

خلال الفوضى والصراعات بين مختلف الجهات الفلسطينية واللبنانية والسورية، كان كل فريق يتربص بالفريق الآخر، مع الأسف الشديد، وكأنه عدو لدود، وقد حدث في تلك الفترة أن علمت من مصادر موثوقة بوجود قرار باغتيال الأخ المناضل شفيق الحوت، وأن المكلف بالتنفيذ هو (فلان)، ورغم العلاقة الوثيقة بمصدر التبليغ والتنبيه الشديد بضرورة كتمان السر، فقد رأيت أن الأمر خطير ولا يجوز أن تقع الساحة الوطنية في حومة الاغتيالات وردود الفعل، كما أنه لا يجوز انهاء حياة أي مناضل لمجرد الاختلاف في الرأي أو المصالح، لذلك كله رأيت من الواجب تنبيه الأستاذ شفيق الحوت إلى ما يبيت له، مؤكداً عليه خطورة الموضوع وجديته ليتخذ ما يراه مناسباً، ولا يعتبر التبليغ مجرد جزء من الحرب النفسية آنذاك، وقد علمت منه بعد ذلك أنه تصدى للشخص المكلف بالاغتيال، وهدده بأقصى العقوبة اذا تجرأ على مثل هذا العمل، وأكد له أن الاتهام سيوجه إليه شخصياً، وأنه سيعاقب حينها بما يستحق من الحركة الوطنية، وكان لهذا كله مفعوله في الغاء قرار الاغتيال

وحدث بعد ذلك اشتداد أزمة العلاقات بين سوريا وجيش التحرير والصاعقة من جهة وبين فتح وحلفائها من جهة أخرى، وقد فوجئت بخبر مهاجمة (فتح) لمقر قائد جيش التحرير الفلسطيني في بيروت الزميل مصباح البديري واعتقاله، كما سمعت أنهم أساؤوا معاملته، فحزّ في نفسي أنّ احد زملاء دورتي يعامل بهذه الخشونة، فذهبت لمقابلة أبو عمار ولم أجده

فقابلت ضابط مخابراته(هواري) وطلبت منه إبلاغ الأخ أبو عمار غضب جميع الضباط الفلسطينيين دورة ١٩٤٨ من اعتقال وسوء معاملة العميد مصباح، وطلبت إخلاء سبيله فوراً وحفظ كرامته، وقد تدخلت سوريا أيضاً بقوة فتم إخلاء سبيله وإعادته إلى سوريا، وكان ذلك كلّه شوكة في حياتي .

وفاة والدي

بعد فترة قصيرة جداً من وفاة أخي عبد الغني سافرت إلى الدوحة - قطر، لإجراء الجرد السنوي لبضاعة شركتنا هناك كالعادة، وقد فوجئت مساء يوم بالأخ أحمد العمري مع بعض موظفي الشركة يفاجئوني بزيارتي في الفندق، وعند الاستفسار عن سبب هذه الزيارة، تولى الأخ العمري تقديم التعازي باسم الجميع بسبب وفاة والدي في بيروت، ولم يمض على وفاة أخي عبد الغني مدة طويلة، وكأنه شعر بهذا الحدث، وهو شبه فاقد للوعي وللنطق، وكأنه كان ينتظر عودة عبد الغني من أفريقيا حياً قبل أن يموت، ولكنه قضاء الله فاجأ الجميع، فرغب الوالد باللحاق بابنه الأصغر والأثير لديه.

مع والدي قبل وفاته

لذلك عدت فوراً إلى بيروت في اليوم الثاني وشاركت في تقبل العزاء في اليوم الثالث من الوفاة، حيث أحسست بدفء العلاقة العاطفية من الكثيرين الذين غمروني بمشاركتهم.

المغادرة الثانية نحو المجهول ثمّ القاهرة

في سنة ١٩٨٢ تطورت الأمور الأمنية بين الفلسطينيين في لبنان والعدو الصهيوني، ورغم التوصل إلى اتفاق على وقف إطلاق النار، فقد

استغل العدو حادث إطلاق النار على سفيره في لندن، ليباشر القيام بهجوم واسع محضر سابقاً يقوده وزير الدفاع المجرم شارون، وقد تطور هذا الهجوم حتى وصل العدو إلى حدود خلدة، وتحرك في الجبل لقطع طريق بيروت ـ دمشق، مما جعلني أفكر بالمغادرة ثانية إلى المجهول والى مدة غير معروفة، فاستنفرت جاري أبو علي كبارة وتوجهنا بسيارتين باتجاه عاليه، ولم احمل كالعادة سوى عائلتي وبعض الملابس، وقد حدث أن غادرنا عاليه قبيل احتلال العدو لها، ولما وصلنا إلى المديرج كنا نسمع هدير الطائرات وقصف المدفعية والدبابات حوالي طريق المديرج ـ دمشق حيث كان العدو يبذل جهده للوصول إليها، في حين عمل السوريون على مقاومتهم بضراوة جنوب الطريق المذكور، وقد شاهدنا جميعاً طائرات الهليكوبتر السورية القانصة للدبابات تطير فوق رؤوسنا وبجانبنا متجهة لقصف دبابات العدو المتقدمة على محور عين زحلتا ـ المديرج، وعندما كتب الله لنا السلامة، تقدمنا في البقاع حتى شتورا وزحلة، ثم باتجاه بعلبك، حيث رأينا نتائج قصف الطيران اليهودي لقواعد الصواريخ السورية هنا ولأرتال الدبابات السورية المحترقة، ما عدا العدد اليسير منها الذي صمم على مواصلة التقدم باتجاه شتورا للمشاركة في المعركة، مما أثار إعجابنا الشديد.

عند وصولنا إلى قرب قرية الفاكهة حيث مسكن عائلة أبو علي كبارة وأهل زوجته، وجدنا الجسر الرئيسي مقصوفاً ولا يسمح بالسفر إلى حمص، فانتقلنا لضيافة جيراننا في الفاكهة إلى أن توقف القتال وأمكن تصليح الجسر جزئياً، فانتقلنا إلى حمص، حيث حاول بعض إخواننا وأصدقائنا تأمين مأوى لنا فلم يتيسر ذلك، لهذا ارتأيت التوجه إلى اللاذقية لتأمين سفرنا بحراً إلى مصر، حيث منزل أهل زوجتي في القاهرة، وقد أمكن حجز أماكن على الباخرة للإسكندرية، ولكن شرطة المرفأ رفضت سفري معهم بسيارتي قبل أن يكون لدي تأمين رسمي لتلك السيارة، وهذا كان بحاجة إلى كفيل مناسب، فعدت إلى دمشق وتركت عائلتي تسافر

وحدها إلى الإسكندرية لأبحث عن تأمين للسيارة، وأشار علي البعض بمراجعة السيد سعيد عزيز(أبو رياض) احد الميسورين الأكارم الفلسطينيين في دمشق، وقد عرضت الأمر عليه، فتجاوب بشكل رائع وكلف ابنه بتسديد المتأخر عليه لغرفة التجارة واستحصال براءة ذمة ثم الكفالة على مسؤوليته لسيارتي. وكان أبو رياض من أنصار الهيئة العربية العليا ويعرف ارتباطي بها، كما يعرف الكثير عن خدمتي في الجيش السوري، وقد تسلمت الكفالة في اليوم الثاني وانتقلت بسيارتي إلى اللاذقية ومنها إلى الإسكندرية بحراً ثم إلى القاهرة حيث التقيت بالأهل القلقين، الذين ربما كنت لم أقابلهم آنذاك لولا شهامة ونخوة هذا الرجل الكريم، وكانت هذه النخوة من أبو رياض إحدى زهرات حياتي.

كنا نتابع في القاهرة أخبار لبنان وحصار بيروت وجرائم العدو، وارتكابات حلفائه، إلى أن هدأت الأمور وتم انسحاب الإسرائيليين من بيروت فقط، فقررت العودة، حيث أرسلت عائلتي إلى دمشق ومنها انتقلت إلى بيروت، وأعلمتني بأن المنزل ما زال على حاله، وأنها سألت احد الضباط اللبنانيين عن عودتي فأبلغها بأن معلوماته لا تمنع ذلك وعلى مسؤوليته، فتوجهت ومعي سيارتي من القاهرة إلى ميناء العقبة الأردني المطل على جنوب فلسطين وقضيت ليلتي فيه ساهراً أتطلع إلى الوطن الذي أراه مجدداً بعد غياب طويل، وقد أثار ذلك خواطري نحو فلسطين كلها التي لم أرَها منذ سنة١٩٤٨ وسمعت نفسي تغني:نسّم يا هوا بلادي الحنونة .

العودة إلى لبنان والسجن في بدارو واليرزة

في الصباح اتجهت إلى عمان ثم دمشق، وبعد الاتصال بالأهل تم الاتفاق على أن انتقل جواً من عمان إلى بيروت في حين تطوع احد الإخوان الدكتور عبد الله كبارة بنقل سيارتي على مسؤوليته من البقاع إلى بيروت، وبالفعل وصلت مطار بيروت وكان الضابط اللبناني الصديق في

انتظاري، فغادرته بأمان إلى منزلي حيث تسلمت فيما بعد سيارتي وعدت لترتيب أعمالي من جديد، وكانت هذه العودة من أزهار حياتي الرائعة، ولكني فوجئت بعد أسبوعين من عودتي برجال مسلحين ينتظرونني أمام بيتي ليلاً ليعتقلوني ويصطحبوني معهم إلى مبنى الأمن العام في بدارو بحجة تحقيق بسيط، وأنا مغلق العينين كأني معتقل عند العدو الصهيوني وليس عند إخواني اللبنانيين، ثم حولوني إلى السجن في الغرفة السوداء في ذلك المبنى، ولم يكن التحقيق واضح المعالم، ولم تكن هناك أية تهمة، حيث ذكرت أني فلسطيني الأصل، سوري الجنسية، واحمل رتبة مقدم من الجيش السوري واعمل في بيروت مديراً إدارياً لشركة ولم انتسب لأي تنظيم فلسطيني مسلح، ولم املك أو احمل سلاحاً منذ إحالتي إلى التقاعد، ورغم ذلك كله حولوني للغرفة المطلية جدرانها باللون الأسود فلا نكاد نرى من معنا إلا بصعوبة بالغة، وكنا حوالي ٢٥ سجيناً في غرفة٤×٥ متر تقريباً، وهي بدون نوافذ ولها باب حديدي على غرفة سوداء مجاورة اصغر منها، ولهذه الغرفة الثانية السوداء أيضاً، باب حديدي يؤدي إلى ساحة خارجية، وكانوا يسمحون لنا بالخروج إلى الحمام مرة واحدة يومياً وكل خمسة أشخاص دفعة واحدة مغمضي العيون، نمسك بأيدي بعضنا البعض ويقودنا شرطي، قد يحلو له أن يستعمل عصاه على ظهر من يريد حتى نصل إلى الحمام فنفك قيود عيوننا لخمسة دقائق فقط لنقضي حاجاتنا ونفرغ زجاجات البول ونملأ زجاجات الماء ونعيد عصب أعيننا ليعيدنا الشرطي إلى الغرفة السوداء، ومن المخجل أن المسئولين عن هذه الأوضاع في عهد الرئيس أمين الجميل والاحتلال الصهيوني يتحدثون فيما بعد عن حقوق الإنسان وكرامة المواطن العربي(!!)

اذكر هنا أن الغرفة السوداء الصغيرة المجاورة كان فيها المربي الكبير قيصر حداد احد مالكي ومدير أهمّ مدرسة ثانوية في لبنان (الروضة) ويحمل الجنسية اللبنانية، وهو أخ المناضل الشهيد وديع حداد وكذلك كان معه السيد نمر الجزار من المصرفيين الكبار وغيرهم ورغم كل ما نحن فيه

من وضع مظلم ومصير غامض، كنت أتحدث للمسجونين معي عن العرب والمسلمين وقضية فلسطين، وعن الصهيونية والاستعمار وتواطئهما المستمر ضد حقوقنا وثرواتنا. وكان الأخ نمر الجزار يغني لعبد الوهاب بصوت حنون عندما نلح عليه، أما الأستاذ قيصر حداد فكان يبارزنا بالشعر العربي ويتفوق علينا جميعاً، وكانت الأصوات بين الغرفتين تنتقل من الفتحة السفلية للباب الحديدي الفاصل بيننا.

أما الطعام فكان كالمنتظر فقيراً جداً خالياً من أي ذرة ملح أو ذرة سكر أو قطعة لحم أو نوع فاكهة، ونحن ما زلنا متهمين بتهمة غير معروفة ولسنا مدانين إطلاقاً.

وهذا دفعني لأن ابلغ الحرس أني مقدم متقاعد في الجيش السوري ومدير شركة، وأريد التحقيق معي والإفراج عني، وفي احد الأيام قالوا لي أن استعد للمغادرة للتحقيق، فلبست حذائي الذي كنت استعمله كوسادة نوم وارتديت الجاكته التي كنت استعملها كغطاء، وأغمضوا عيني ثانية وقادوني إلى سيارة، وقال لي احد الضباط أنهم يصطحبوني للتحقيق وفق طلبي وإلحاحي، وسارت بنا السيارة ليلاً ووصلنا إلى حيث عرفت فيما بعد أنه وزارة الدفاع في اليرزة، حيث وضعوني في زنزانة في الطابق السفلي الثالث تحت الأرض مع ثلاثة سجناء آخرين احدهم يبقى عاري الظهر لأن ظهره متقيح من كثرة الضرب، بتهمة أنّه قاتل الصحفي سليم اللوزي، وفي هذه الزنزانة متسع للنوم ويوجد نور كهرباء ليلاً نهاراً، ونتبادل الأحاديث مع رفاق الزنزانة بانتظار التحقيق الموعود، ولكن لا حياة لمن تنادي. حتى ألححت مرة ثانية، فقادوني ليلاً معصوب العينين إلى قاعة التحقيق، فسألني المحقق عن حياتي العسكرية والمدنية فأوجزتها له، ثم سألني عن الاجتياح وحصار بيروت وعلاقتي بالمنظمات الفلسطينية قائلاً أنك كنت مع المحاصرين وخرجت بحراً معهم على شرط عدم العودة إلى لبنان فلماذا عدت؟ فأجبته بأني غادرت لبنان قبل حصار بيروت إلى سوريا ثم إلى

القاهرة وجواز سفري يوضح ذلك، ولم أكن مع المقاتلين الفلسطينيين واطلب الإفراج عني، فأبدى قناعته بكلامي بعد أن راجع جواز سفري بين الأوراق الّتي صادروها من بيتي، واظهر مشكوراً استغرابه لزجي في السجن، ولكنه لا يستطيع الإفراج عني فوراً، فرجوته نقلي على الأقل لمكان أرى فيه الشمس واستنشق هواءً صحياً، فأوعز بنقلي إلى الطابق الأرضي حيث توجد هنغارات مليئة بالمساجين اللبنانيين والفلسطينيين، وطبعاً أفضل بكثير من زنزانة الطابق الثالث تحت الأرض رغم أنّ دبابات العدو الإسرائيلي كانت على مرأى منّا، وهناك وجدت الكثيرين من معارفي القدماء وتعرفت على الكثيرين من الجدد، وقد أكرموني جيداً، ونفذوا اقتراحاتي بأن ينام الثلث بالتتابع ليلاً نهاراً ويصحوا الباقون لأن المكان يضيق بنومهم جميعاً معاً، وبأن يغسلوا ملابسهم الداخلية كل يومين على الأكثر ما دامت المياه متوفرة، وذلك لتجنب الروائح الكريهة، وبعد فترة طلبوني فجأة للإفراج عني، ولكني وجدت نفسي أعود ثانية إلى مبنى الأمن العام في بدارو، ولكن في الطابق السادس العلوي هذه المرة، حيث وجدت أيضاً فلسطينيين من المعارف، وبعد أن رويت لهم أحوالي، عرفوا أنّي لم آخذ حماماً ساخناً منذ حوالي شهرين ولم استمع لأيّة أخبار جديدة، فجهزوا لي حلاقة ذقن وحماماً على السطح حيث قاموا بتسخين المياه في تنكة بواسطة واصل كهربائي من صنعهم، وبعد الاستحمام، احضروا راديو صغير صنعوه بأنفسهم لنستمع منه إلى بعض المحطات. وقد أعجبت ببداهة ومبادرات هؤلاء الشباب وقلت في نفسي أنّ مثل هذا الشعب حرام أن يموت.

وذات صباح نادوا على اسمي فخرجت ملبياً نداء الشرطي، فاصطحبني إلى الخارج وأبلغني أنّه مرسل من النائب عبد المولى امهز للاطمئنان عن وضعي فشكرته كثيراً، وطلبت تأمين زيارة عائلتي لي للاطمئنان عنّا وعنهم، وبالفعل طلبت زوجتي إذناً من السيد احسان ابوخليل الأمين العام لمجلس النواب الذي كان يرأسه آنذاك كامل بك

الأسعد، الذي أمّنت له شقتين بالإيجار للسكن فيها أثناء اضطراره لمغادرة الحازمية، فتمّ تأمين إذن الزيارة فعلاً، لزوجتي وابنتي الصغرى، فسررت بهما وفوجئتا لمنظري وهزالي، وبعد ذلك لم يطرأ جديد على التحقيق أو الإفراج، ممّا دفعني لأن أكتب رسالة إلى مدير الأمن العام السيد زاهي بستاني اشرح وضعي وأطالب بالإفراج عني قبل ١٩٨٣/١/٢٨ حتّى احتفل بعيد ميلادي مع عائلتي، وأغلقت الرسالة وأوهمت مسئول السجن ضرورة إيصالها للمرسلة إليه بصمت وسريّة لأن فيها معلومات هامة، وجلست أنتظر النتيجة، حتّى مرّت ذكرى ميلادي بدون الإفراج عني، فشعرت باليأس ولكن فوجئت بعد يومين باستدعائي لإدارة السجن وإبلاغي بقرار الإفراج عني، وهنا لا بد أن اذكر أنّه تمّ تأخيري عند مدخل بناية الأمن العام لكي يصطحبوني إلى مسئول يريد رؤيتي، وبالفعل قادوني سيراً على الأقدام لمكتب المحامي ناجي بستاني الذي طلب رؤيتي ولكنه كان قد غادر إلى منزله القريب لذلك طلب إحضاري إليه، حيث رحبّ بي بكل تهذيب وأخبرني أنّه كان يتمنى الإفراج عني في الموعد الذي طلبته ولكن الوقت لم يسمح بذلك فشكرته كثيراً، وهو كان المستشار القضائي لمديرية الأمن العام على ما اذكر، وعرض عليّ مالاً إذا كنت بحاجة إليه فشكرته حيث معي ما يكفيني حالياً، ثمّ أصرّ على أن يوصلني بسيارته الخاصة إلى منزلي في برج البراجنة فشكرته ورجوته الاكتفاء بتوصيلي إلى منطقة البربير، وهكذا كان، ولا أنسى لهذا الرجل الكبير أخلاقياته وتهذيبه وإنسانيته ما حييت. علماً أنّ السلطات طلبت منّي التردد أسبوعيّاً على الأمن العام لإثبات وجودي في لبنان لثلاثة أشهر.

وهكذا عدت إلى بيتي وعائلتي من جديد بعد سجن ثلاثة أشهر وغياب قسري، ورحت أعمل لتصحيح وضعي القانوني كمدير شركة لأحصل على إذن عمل وإذن إقامة، بصفتي سورياً وأعتبر أجنبياً عن لبنان.

وكانت قد صدرت قوانين جديدة بشأن عمل الأجانب والوظائف الممكن إسنادها إليهم، ولم تكن بينها وظيفة مدير شركة أو مدير فرع

شركة. المهم أنّ صديقي النائب عبد المولى امهز تولى الأمر مع الإدارة العامة لوزارة العمل، وبعد زيارتين منه للإدارة تم إيجاد المخرج القانوني الممكن لوضعي فاعتبرت (مسئول) شركة... وليس مديراً لها وحصلت على إذن العمل، وقدمته للحصول على الإقامة السنوية، فتعثرت المعاملة أيضاً في الأمن العام ضمن جوّ عام ضد الفلسطينيين والسوريين آنذاك، وأخيراً تدخل الصديق الأمير فيصل مجيد إرسلان في الموضوع بحكم صلاته وصداقاته وتمّ الحصول على إذن الإقامة المنشود.

استأنفت العمل الجدّي في الشركة حيث كنّا نقوم بإدارة أبنية عديدة، كما كنت أسافر سنوياً للدوحة لإجراء الجرد السنوي لفرع تجارة مواد البناء في شركة المانح الّتي كنّا شركاء فيها، إضافة إلى انتظام عقد اجتماعات مجلس الإدارة للشركة بإمرة المهندس عزمي نُسيبة الرجل الوطني النزيه والأخلاقي الكبير، الذي كان قدّ قرر استمرار منح الرواتب لموظفي الشركة في بيروت خلال محنة الاحتلال اليهودي أينما كانت إقامتهم الجديدة وبدون أي انتقاص من قيمة الراتب بل ربما زيادته إذا تطلب الأمر ذلك .

جريمة حرب المخيمات في لبنان

اذكر من أهم الأحداث آنذاك حرب المخيمات سنة ١٩٨٥، وخاصة في برج البراجنة. فقد اختلطت الأوراق والتحالفات والإشتباكات قبل ذلك ضمن الفصائل الفلسطينية، وبين بعضها وقوى لبنانية أو سورية، ولكن فجأة احتدمت الإشتباكات بين مخيم برج البراجنة والجوار بشكل مؤسف لا يخدم إلاّ الأعداء، وقد تعددت الروايات عن الباديء بالتحدي وإطلاق النار. وقال أبو زهير بكير أنّه كان في مقهاه صباحاً حين خرجت مظاهرة من المخيم بهتافات تحدّ وإطلاق نار في الهواء وذلك احتجاجاً على مقتل فلسطيني بأسلحة أمل في يوم سابق قرب صبرا، ممّا وتر الأجواء في برج البراجنة فحضرت بعد ذلك قوات من حركة أمل للرد وقامت بحصار المخيم وإطلاق النار عليه من مختلف الجهات، ثم تطورت الأسلحة

المستعملة ضد المخيم الصامد في وجههم، في حين قال آخرون أنّ حركة أمل هي الّتي تحرشت بأبناء المخيم وقامت بمحاصرتهم وإطلاق النار عليهم مما دفع أبناءه إلى إغلاق مداخل المخيم وإقامة التحصينات ومراكز القتال وبالبدء في الرمايات على حركة أمل وعلى الأبنية المجاورة للمخيم الّتي يتواجد فيها مقاتلوا أمل، ثمّ انتقلت العدوى إلى مخيمات أخرى أهمها مخيم شاتيلا وصبرا، وقد هالني ما أراه من رمايات وصلت إلى استعمال الرشاشات الثقيلة والهاونات وصواريخ ر.ب.ج. ضد المخيم ورمايات مماثلة من المخيم إلى خارجه، وكان بيتي إجمالاً في منأى عن جبهة القتال، ولكن جميع الفلسطينيين خارج المخيم أصبحوا أيضاً يعتبرون كأعداء لابأس من مضايقتهم واعتقالهم وقتلهم أيضاً.

ووجدت من واجبي أن أحاول وقف الجرائم المتبادلة، فسافرت إلى دمشق وقابلت الأخ والصديق الأستاذ عبد الحليم خدام الذي استقبلني في بيته لأول مرة بسبب شهر رمضان وشرحت له ما يجري في حرب المخيمات، واعتبرتها فتنة شارك فيها فلسطينيون جهلة ولبنانيون حاقدون، ومن الضروري العمل لوقفها، وخاصة أنّ لسوريا تأثير على الفريقين تقريباً، وبعد أن استمع لما أقوله أخبرني أنه سيُعقد الليلة اجتماع لقادة المنظمات الفدائية في دمشق، وسيتصل بهم ليستمعوا لما أقوله علّ ذلك يفيد، وبالفعل اجتمعت بهم مساءً في احد المكاتب وشرحت معلوماتي طالباً العمل لوقف سفك الدماء وتجنب الفتنة، فقد يكون لأبو عمار حساباته ولحركة أمل حساباتها ولسوريا حساباتها، ولكن يجب أن يكون لنا أيضاً حساباتنا لوقف إطلاق النار وتجنب المزيد من القذائف والضحايا والأحقاد، لأن لبنان بلد مضيف، وكفاه الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢، وأكدت أنّ المسؤولية لا تقع على حركة أمل فقط، بل جماعتنا مسئولون أيضاً. وقد حضر ذلك الاجتماع أبو موسى وأبو خالد وطلال ناجي وأبو ماهر اليماني وغيرهم، كما حضر الأخ جبريل إلى مكتبه القريب في نهاية الاجتماع فقابلته وكررت عليه ضرورة وقف الاقتتال الأخوي والنزيف الدموي الذي

لا يستفيد منه سوى الأعداء، فاستمع ولكنه تحدث أيضاً عن جرائم قذف الناس الأبرياء في برج المر من الطوابق العليا إلى الأرض ليموتوا ويدفنوا سرّاً. وقبل عودتي زرت السيد خدام ثانية، وعرضت عليه الأخطار الأمنية عند التنقل في لبنان بين الفصائل والحواجز وغيرها، فنظم لي توصيتين شخصيتين إلى الأستاذ نبيه بري والسيد أكرم شهيّب (وليد جنبلاط) فزوداني كلّ منهما بكتاب خاص يطلب عدم التعرض لي ومساعدتي لأني صديق مشترك، ومن المؤسف أني بعد استلامي كتاب التوصية من الأستاذ نبيه بري مباشرة وعودتي إلى البيت جاءت مفرزة من حركة أمل واعتقلتني بالقوة والضرب وساقتني معصوب العينين إلى قبو في المريجة قرب برج البراجنة على ما اعتقد، وعندما أبلغتهم أني فلان وأني احمل توصية من خدام وبري، لم يوفروهما من شتائمهم، وحققوا معي وأنا معصوب العينين فأعلمتهم أني ضابط سوري وأحمل الجنسية السورية ومن أصل فلسطيني، فلم يقبلوا هذا التوضيح وطلبوا أن أسلمهم المبالغ المسجلة في دفتر التوفير الخاص بي، والذي أصبح بحوزتهم بعد أن فتشوا بيتي واخذوا معهم ما يريدون من أوراق ومستندات، وطبعاً رفضت لأن المبلغ الزهيد في دفتر التوفير هو ملك لأولادي، ولما هددوا بتسليمي للمخابرات السورية في لبنان، رحبت بذلك بل ألححت عليهم، ولكنهم بدلاً من هذا نقلوني معصوب العينين إلى مكان جديد، وجلست في حديقة خارجية مع

وليد جنبلاط

بيروت في ١٥/٦/١٩٨٥ .

الرقم : ١٠١/١٢

لمن يهمه الأمر .

يرجى من جميع الرفاق والأصدقاء عدم التعرض للقدم المقاوم محمد حسن أبو رقيه من الأخوة السوريين كونه صديق شخصي للرئيس الحزب التقدمي الاشتراكي .

نرجو تسهيل مروره ومساعدته حين الحاجة .

مكتب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي

كتاب التوصية من الأستاذ وليد جنبلاط
رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي

العشرات. وكلنا معصوبو العيون لا نعرف المصير الذي ينتظرنا، ولكن بعد بضع ساعات جاء من يسأل عني بصوتٍ عالٍ فرفعت يدي وقلت أنا فلان، فأخذ يلعن الذين اعتقلوني وأحضروني لهذا المكان، وفك العصبة عن عيني واصطحبني لأغسل وجهي وأستريح في المكتب المجاور في فيللاّ غندور المجاورة لجسر المطار، حيث مقر قيادة عقل حمية من (أمل) آنذاك، وقد أعاد لي أوراقي ونقلني بسيارته إلى بيتي موضحاً لي أنه الشيخ حسن المصري، وأن أقاربي أو زوجتي اتصلت بالتسلسل بالأستاذ نبيه الذي غضب كثيراً وكلّفه بأن يبحث عني ويخلي سبيلي فوراً. ومن المضحك المبكي أنني بعد وصولي إلى البيت مباشرة جاءت مفرزة أخرى من أمل وسرقت سيارتي جهاراً نهاراً وأمام الجميع، وقد أعلمت المسئولين وأمل عن السرقة فلم أجد نتيجة، إلاّ بعد بضعة اشهر حين زرت الأخ عاطف عون لمعايدته وأخبرته أن معلوماتي أن السيارة موجودة في المريجة قرب بناية معينة، فاستغرب الأمر وطلب مني ومن زوجتي البقاء في بيته حتّى يعود، وبعد غياب ساعتين عاد وابلغني أن السيارة أصبحت أمام بيتي، وأنه تأخر بسبب شحن البطارية وتصليح الدواليب، فشكرته وقدرت له ذلك .

وأذكر انني في فترة حرب المخيمات كنت متوجهاً بسيارتي الى بيتي في الرويس - برج البراجنة، فأوقفني حاجز طيار وطلب رئيسه ان يصعد بجانبي وقد عرفته فوراً فهو (الحنش) احد

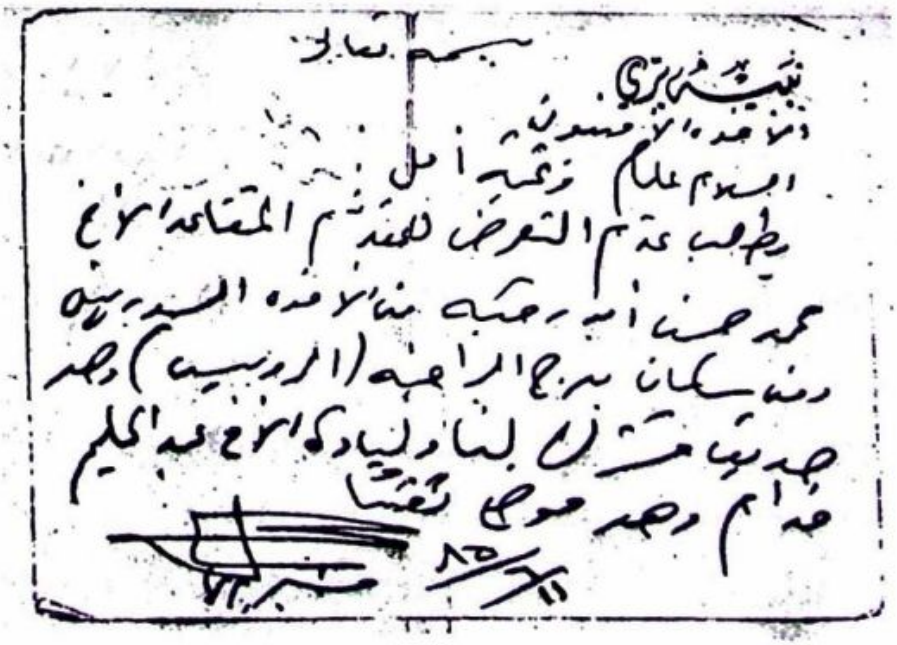

كتاب التوصية من الأستاذ نبيه بري رئيس حركة (أمل)

مسؤولي امل الرئيسيين في المنطقة، وطلب مني التوجه جانيباً خارج الطريق العام مما آثار شكوكي، فعرفته بنفسي واني ضابط سوري متقاعد فلم يكترث وقال انه يعرف اني فلسطيني، فابرزت له هويتي الشخصية السورية وهويتي العسكرية فلم يهتم اطلاقاً، وتخوفت من نواياه السيئة تجاه سرقة سيارتي او القضاء على حياتي في هذا الطريق الجانبي في محيط مخيم برج البراجنة الخالي من المارة بسبب اشتباكات المخيم، وعندها ابرزت له توصية الاستاذ نبيه بري التي يطلب فيها من كوادر امل عدم التعرض لي، كوني صديقاً شخصياً له ولسيادة الاخ نائب الرئيس عبد الحليم خدام، وهنا تغير الوضع واظهر احتراماً لهذه التوصية وغادر سيارتي واخلى سبيلي، واعتبرت هذه التوصية منذ ذلك الحين انها انقذت فعلاً حياتي. وخاصة ان (الحنش) المذكور وشقيقه (سيف) معروفان بالشراسة والوحشية، وقد نفذا بعد ايام عديدة مجزرة اودت بحياة ١٤ فلسطينياً مدنياً آمنا انزلوا من بيوتهم وتم اعدامهم بالرصاص وبالبلطات .

مما يذكر في هذا المجال ايضاً ان حزب الله عندما استولى على السلطة في منطقة مخيم برج البراجنة في الضاحية الجنوبية قام فوراً بتنفيذ حكم الاعدام بالاخوين الحنش وسيف في نفس الساحة التي نفذوا فيها الاعدام بالفلسطينيين، وبنفس الطريقة بالرصاص وبالبلطات، حسب افادة الشهود .

كما اذكر ان اخي فتح الله اتصل بي هاتفياً وبلغني ان مجموعة مسلحة من امل قامت باخراجه وعائلته من البيت الذي يملكه ويسكنه في برج البراجنة، وانه في الشارع مع زوجته واولاده امام البيت وان المحتلّين رفضوا ان يأخذ معه اية ملابس وعندها اتصلت بالصديق العزيز الحاج عاطف عون وابلغته هاتفياً بما حصل فاخذ العنوان وطلب مني ملاقاته امام البيت، حيث حضر مع مفرزة عسكرية، فاخرج المحتلّين من البيت واعاده لأخي وعائلته مشكوراً.

تكررت بعد ذلك معارك المخيمات في شهر رمضان لسنوات متعاقبة،

مرة لثلاثين يوماً ومرة لمئة يوم وثالثة لبضعة أسابيع، وكانت في كل فترة تقع الخسائر البشرية والمادية في الفريقين، إضافة إلى ما يتسرب إلى النفوس من أحقاد وضغائن ويأس ونفور.

فوجئت ذات ليلة بمن يطرق باب شقتي في الرويس - برج البراجنة، وتبين أنهم من العناصر السيئة في (أمل) يطلبون أن أرافقهم لمكتب عقل حمية، ومعهم سيارتا لاند روفر ومسلحون في الشارع قرب البيت، فطلبت إمهالي لأتصل بالسيد هيثم جمعة من قيادات بري، حسب تعليمات مكتب بري السابقة ولكن لم أجد جواباً، وأثناء ذلك أشارت زوجتي من الشرفة الخلفية إلى جيراننا من آل المقداد فسارعوا وحالوا دون المسلحين واصطحابي معهم، وانتزعوني من بين أيديهم وكادت تقع إصابات لأن أحدهم كان يحمل قنبلة يدوية في يده، وفجأة وجدت نفسي في بيت آل المقداد الذين وضعوا حدّاً لهذا الاعتداء، واتصلوا بعقل حمية هاتفياً فادّعى أنّه يريد التعرف عليَّ عن قرب لا أكثر، فاستغربوا طريقة التعرف بواسطة زعران مسلحين وليلاً، ولما كرر رغبته بالتعرف عليَّ شخصياً وافقوا على شرط أن يرسل سيارته الخاصة وأن يرافقني مسلحان من آل المقداد ليعودا معي في نفس الليلة إلى منزلي، وهذا ما حصل واستقبلني عقل حمية في مكتبه وكان في نفس الفيللاّ الذي اعتقلت فيها سابقاً، وكرّمني بنرجيلة وشاي وحدثني عن رسالة ماجستير يعدّها عن فلسطين بإشراف الدكتورة بيان نويهض، وقال أنّه سمع عن مكتبتي، وربما يحتاج الى الاستعانة ببعض كتبها، فتجاوبت معه في هذا الموضوع، وعدت إلى البيت لأقرر مغادرة المنطقة كلها فوراً خوفاً من تكرار هذا العمل وسقوط أي قتيل أو جريح من دار المقداد أو من (أمل) بسببي، وفعلاً انتقلت إلى بيروت - شارع الحمراء مع عائلتي واستأجرت شقة مفروشة هناك.

ولكن لم نكد نستريح في الشقة المفروشة في شارع الحمراء حتّى اندلعت المعارك بين أمل والحزب التقدمي وانتشر المسلحون في كل مكان يتقاسمون السيطرة على شوارع بيروت وأزقتها، ويقتحمون معظم البيوت للسرقة بحجة البحث عن السلاح أو مطلوبين.

تطور القتال بين أمل والتقدمي حتّى ضجّ أهالي بيروت، وطلبوا دخول الجيش السوري إليها لإيقاف الاقتتال، وتمّ ذلك فعلاً مما جعل الكثيرين يتنفسون الصعداء، في حين تضايق آخرون .

في هذه الفترة كان لأحد الأصدقاء شقة محتلة في ساقية الجنزير من قبل عناصر عسكرية درزية، فلجأت إلى السيد أكرم شهيّب ومنه إلى العميد أبو ضرغم دون نتيجة مباشرة، فعدت ثانية للسيد شهيّب الذي بحث الأمر وطلب من مدير الإستخبارات لديه المدعو أبو هيثم، أن يعمل على إخلاء الشقة وتسليمها لي، وبالفعل تمّ ذلك بعد أن سرق أبو هيثم والمحتلون السجاد والفضيات وغيرها. وقد انكشف أبو هيثم فيما بعد كعميل إسرائيلي واعتقلته سوريا.

أذكر أنّه في فترة سكني في روف ساقية الجنزير في بيروت أن أعلن الجنرال عون قائد الجيش اللبناني حرب التحرير ضد السوريين، وقام بقصف المنطقة الغربية بالمدفعية الثقيلة، وأصاب العديد من الأماكن في شارع فردان ومفرق اليونسكو وساقية الجنزير، ممّا أشعل الحرائق في السيارات وأوقع الكثير من القتلى والجرحى في صفوف المدنيين وخاصة طلاب المدارس.

بعد هدوء الأحوال نسبياً انتقلت للسكن في شقة استأجرتها في حي الوتوات بعد دفع تعويض لمحتلي تلك الشقة بموافقة مالكيها، وأذكر أني فوجئت ذات يوم بحضور الفريق عفيف البزري لزيارتي رغم أنّ شقتي في الطابق الثالث من البناية الّتي لا تحوي مصعداً، فأكبرت فيه هذه الزيارة الّتي قال عنها أنها لشكري على استضافته في منزلي بدمشق قبل أكثر من عشر سنوات، معرباً عن اهتمامه وإيمانه بأهمية نصرة القضية الفلسطينية وشعبها موضحاً أنّه ما زال يهتم بالقضية ويعمل من أجلها ويتصل بعدة منظمات فدائية ويقدم لها النصائح العسكرية والسياسية وقد احترمت هذه الروح الوطنية كثيراً.

في هذه الفترة تضاعف اهتمامي بنشر مقالات في الصحف اللبنانية سواء عن قضية فلسطين أو رثاء لبعض الضباط الذين لم يجدوا أي تكريم عند وفاتهم. كان خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان ومجازر صبرا وشاتيلا قد أضافت أعباء جديدة على اللاجئين في لبنان مع نقص في الموارد وتضييق على الحريات، ممّا سبب غلياناً في النفوس، وجاءت حرب المخيمات المتكررة لتزيد الطين بلّة، وبالتالي لتضاعف من جهودنا لتخفيف الآلام وتقديم مختلف الخدمات الطبية والتعليمية والاجتماعية.

أذكر أنّه خلال فترة حرب المخيمات إضطّر الدكتور محمد يوسف نجم عميد الادب العربي في الجامعة الاميركية سابقاً وهو من اهل المجدل قرب غزة ويحمل الجنسية اللبنانية منذ سنة ١٩٦٢ لمغادرة بيروت إلى القاهرة، وكانت شقته قرب برج المرّ والصليب الأحمر على الجهة الغربية لبيروت وفيها مكتبة رائعة بمحتوياتها وتنظيمها، وكان يخشى من الاعتداء عليها من قبل الميليشيات وبالتالي سرقة هذا الكنز الثقافي الكبير، ولما عرض عليّ عديله الأخ أحمد زكي عرابي الموضوع، سارعت إلى تكليف أحد المسلحين من الأصدقاء بالمبيت في المنزل وحمايته ليلاً نهاراً وخاصة أن سمير ابن الدكتور نجم كان يتواجد في المنزل أيضاً لبعض الوقت قبل مغادرته له إلى القاهرة، وكنا نسمع عن المعتقلين الفلسطينيين في منطقة المخيمات وعن سوقهم إلى برج المرّ المذكور حيث يعرّضون لأهوال التعذيب، كما سمعنا عن قذف أعضاء سيئين من حركة أمل لبعض هؤلاء المعتقلين من الطوابق العليا للبرج باتجاه الأرض لقتلهم ممّا أثار جواً من الرعب الشديد في المنطقة خاصة وفي جميع أماكن سكن الفلسطينيين في المخيمات وخارجها عامة، وحدث أن حارس الشقة أبدى رغبته في الالتحاق بأسرته ليكون بجوارها لذلك اضطررت للمبيت شخصياً في شقة الدكتور لحماية مكتبته القيمة، لفترة من الوقت، وحدث ذات ليلة طرق شديد على الباب من مسلحي أمل ففتحته لهم، بعد أن تمنع سكان الطابق العلوي الأرمن من فتح باب شقتهم خوفاً من السرقة والاعتداء، وواجهت

المسلحين الأربعة بتعريفهم بنفسي وبوضعي العسكري وبأن هذا البيت ثقافي خاص ولا صحة لادعائهم باحتمال وجود أسلحة فيه، ورافقتهم إلى كلّ الغرف للتأكد من ذلك متظاهرين بأن ذلك كان هدفهم الوحيد، وليس السرقة أو الابتزاز، ومع ذلك سايرتهم ودعوتهم للشاي ثم أنقذت محتويات البيت من شرورهم، وأصبحوا يتظاهرون بصداقتي ويعطوني أفضلية في المرور وفي استلام البنزين من المحطة وغير ذلك من الخدمات.

وأذكر أني عندما قابلت الأخ أحمد جبريل بعد اشتعال حرب المخيمات كما ذكرت سابقاً وأبلغته روايتي الّتي سمعتها عن ذلك، وجدته غاضباً جداً ومتألماً لما سمعه عن حوادث التعذيب والتنكيل في برج المرّ وعن إلقاء المناضلين والأبرياء من الطوابق العلوية إلى الأرض، وكان غاضباً أيضاً من قيادة حركة أمل ومن عدم وفائها لعلاقات التعاون الكبير طيلة الفترة الماضية ضد القوات الإسرائيلية والأجنبية وضد التسلط الطائفي، وذكر لي أنه كان عليهم أن يتذكروا مساعداتنا لهم وخاصة في حركة ٦ شباط الّتي احتاجوا خلالها إلى أسلحة وذخيرة ومعدات فقدمناها لهم ضمن عدة سيارات شحن كبيرة مما كان له تأثير هام في ترجيح كفتهم على خصومهم .

بعد هذه التطورات استقر بي المقام في بناية الصنوبر ـ طريق المطار، ملك الصديق والشريك المهندس محمود خليل أبو الرُب، وأصبحت بذلك قريباً من أهلي وأبناء عمّا في برج البراجنة، وارتاحت الأمور بشكل عام رغم وجود جيش لحد الصهيوني في جنوب لبنان.

ماذا بعد خدمة زملائي العسكرية ؟

في فترة الانفصال التي اعقبت تسريحات الكثيرين من الزملاء اهتممت بتسجيل الطريق الذي سيسلكه زملائي في حياتهم المدنية وكذلك بعض محطات حياتهم العسكرية، كجزء من عملي في توثيق ما يمكن عن الضباط الفلسطينيين دورة ١٩٤٨، واقدم فيما يلي بعض المعلومات عن بعضهم :

- المقدم المهندس عزمي عزت نسيبة : خدم في سلاح الهندسة السوري قبل النكبة ثم التحق بالدورة ليصبح ضابط ميدان، وبعد النكبة اعيد للهندسة في الجيش كمتعاقد، وتدرج فيها لمهمات كبيرة، وكان معلماً وطنياً كبيراً، استقال خلال الوحدة عندما رفض طلبه بالانتساب الى الجيش السوري بدل التعاقد، وكان سبب الرفض، كما بلغه، انه من اصل فلسطيني، فغضب وانسحب ليعمل في بلدية اللاذقية ثم سافر الى الدوحة لينشئ شركة المانع للهندسة والمقاولات، ثم استدعاه الحاج أمين الحسيني لبيروت للتعاون معه، وتم الاتفاق على انشاء شركة اتحاد المهندسين والمقاولين التي كان مديراً عاماً لها وحقق انجازات عمرانية كبيرة في لبنان وقطر وانشأ فروعاً للشركة في القدس وليبيا والامارات ثم تفرغ للعمل في قطر سياسياً وعمرانيا ومناضلاً حتى وفاته في لندن اثناء سفره اليها للعلاج، وقد دفن فيها بدلا من مدينته القدس الشريف.

- النقيب المهندس محمد خير رستم : خدم في سلاح الهندسة السوري - حمص، ثم استقال وأنشأ شركة ناجحة في ليبيا حيث زرته هناك مراراً، وحقق فيها نتائج ممتازة، سافر بعدها الى الاقامة النهائية في انجلترا.

- المقدم عبد الكريم عمر عمل في سلاح المشاة السوري في الجولان والداخل حتى احالته الى التقاعد اثناء الوحدة في دمشق واعتقاله وتعذيبه في المزة ثم انتقاله الى القاهرة، وعاد الى دمشق حيث ارتبط سياسياً بالهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني وعمل في مكتب الهيئة بدمشق ثم صادق الكثيرين من رجال المنظمات الفلسطينية وخاصة قيادات منظمة الاخ احمد جبريل. وما زال عضواً مستقلاً في القيادة السياسية للمنظمات المعارضة الفلسطينية.

- العميد صبحي مسعود الجابي : عمل في سلاح المدرعات في منطقة دمشق والجولان واتبع دورة اركان حرب في مصر ثم اصبح اول رئيس لأركان جيش التحرير الفلسطيني في منتصف الستينات حيث حقق انجازات جيدة حسب الظروف المتاحة، وبعد انتهاء خدمته في القاهرة

عاد الى سوريا وعمل في مؤسسة الدراسات العسكرية تحت رعاية القائد مصطفى طلاس.

- العقيد جواد عبد الرحيم : ضابط مشاة ثم محاسبة في الجيش السوري واشترك في معركة عرب الشمالنة بكل شجاعة، ثم لجأ الى بلغاريا مضطراً خلال الوحدة السورية المصرية، وعاد بعدها الى لبنان مديراً لمحاسبة شركة اتحاد المهندسين والمقاولين، ثم استدعي الى جيش التحرير الفلسطيني حيث عمل في قوات التحرير الشعبية التابعة له كما عمل مديراً لمخابرات جيش التحرير في دمشق وعند انتهاء خدمته عين مدير مكتب في الدائرة السياسية لمنظمة التحرير في سوريا وهو سليل اسرة وطنية ووالده هو المرحوم القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد (ابو كمال).

- العقيد سميح الشاهد : عمل في سلاح المشاة السوري في معظم المناطق العسكرية، واثناء الوحدة لجأ الى بلغاريا مضطراً بسبب التهديد بالاغتيال، وبعد عودته عمل رئيساً لبلدية مخيم اليرموك وفي جيش التحرير الفلسطيني حيث اتبع دورة اركان حرب في العراق، وبانتهاء خدمته العسكرية اصبح مديراً لشركة فيلبس في سوريا ثم تقاعد منها ليتفرغ لادارة مزرعته ولاعمال تجارية حرة.

- العميد وليد طاهر جاموس : خدم في سلاح المشاة في معظم المحافظات السورية وبنجاح، واثناء الوحدة احيل الى التقاعد فدرس المحاماة ثم استدعي لجيش التحرير الفلسطيني مديراً للشؤون الادارية فيه حيث اصبح برتبة عميد واضحى اقدم عميد في ذلك الجيش حيث احتفظوا به لمقدرته وخبرته الادارية.

- اللواء مصباح البديري : خدم في مشاة الجيش السوري، وضابط شرطة عسكرية فيه، ثم احيل الى التقاعد اثناء الوحدة وتعرض للاعتقال والتعذيب في المزة، وبعد الانفصال مارس اعمالاً حرة ثم خدم في

جيش التحرير الفلسطيني وبعدها تسلّم رئاسة اركان الجيش فحقق انجازات جيدة، وانتقل مع الجيش الى لبنان اثناء الاحداث، حيث ادى التناقض السوري الفلسطيني الى اعتقاله ثم الافراج عنه فعاد الى سوريا وعمل قائداً للمنطقة الوسطى ورقي حتى رتبة عميد ثم احيل الى التقاعد برتبة لواء حيث عمل في احدى المؤسسات التجارية في دمشق.

- العقيد سمير الخطيب : عمل في سلاح المشاة السوري في عدة مناطق واحيل للتقاعد اثناء الوحدة وعمل في مؤسسة مياه الفيجة بدمشق ثم التحق بجيش التحرير الفلسطيني، وعمل على اقامة تنظيم عسكري مسلح مع العقيد عبد العزيز الوجيه، بعدها انتسب الى (فتح) وعين رئيساً للدائرة العسكرية في المنظمة وجيش التحرير الفلسطيني، وانتدب مديراً عاماً لمشروع ملاجئ المخيمات في لبنان ثم انتقل مع المنظمة الى عمان ـ الاردن بنفس وظيفته في الدائرة العسكرية.

- المقدم عقل دحيلية : ضابط اشارة واتصالات في عدة مناطق سورية واعتقل اثناء الوحدة وعذب في المزة حتى انثلم لسانه، وبعد الانفصال التحق بجيش التحرير الفلسطيني معاوناً لرئيس الدائرة العسكرية في دمشق، وبقي فيها ولم ينتقل الى عمان.

- المقدم عيسى الدجاني : خدم في المشاة بالجيش السوري، متميزاً بالهدوء وحفظ المعلومات والاسرار وخدمة رفاقه، دخل سجن المزة وتعرض للتعذيب وبعد تبرئته من اية تهمة كباقي رفاقه بدون استثناء عمل في مؤسسة الكونسروة السورية بدمشق ثم تقاعد نهائياً عن العمل.

- العقيد عبد العزيز الوجيه : ضابط مشاة في الجيش السوري في عدة مناطق، وعند احالته للتقاعد اثناء الوحدة حاول انشاء تنظيم مسلّح ثم التحق بجيش التحرير الفلسطيني ـ قوات التحرير الشعبية، كما التحق بمنظمة (فتح) وتم اختياره عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني ثم في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وحضر معارك الاردن ولبنان

وتوفي بالسكتة القلبية في دمشق.

- العقيد حسام طهبوب : عمل في سلاح المشاة السوري ثم تخصص بالمحاسبة ولجأ الى بلغاريا اثناء الوحدة وبعدها عاد الى بيروت ـ شركة اتحاد المهندسين والمقاولين ثم التحق بجيش التحرير الفلسطيني في الاردن وسوريا، وبعدها عمل في عمان ـ لجنة الارتباط السوري الفلسطيني وانتقل للسكن النهائي في عمان.

- اللواء فايز جابر : بعد دورة ١٩٤٨ اختار العمل في الجيش الاردني حيث تدرج في الرتب حتى (لواء) وعمل في عدة وظائف ومهمات بما فيها المخابرات العسكرية الاردنية، وبعد التقاعد عمل رئيساً للجنة الاشراف على قضايا الضفة الغربية بعد حرب ١٩٦٧.

- المقدم عرب محمد عرب : سلاح المشاة السوري في حلب وغيرها، تدرّج حتى تسلم قيادة كتيبة حرس وطني في الجولان ثم التحق بجيش التحرير الفلسطيني قائداً ميدانياً ورشح لرئاسة اركان الجيش ثم استقال وعمل في وزارة الدفاع الكويتية حتى وفاته في فندق بعمان اثر ازمة قلبية.

- المقدم واصف فريد جيوسي : خدم في سلاح المشاة واظهر شجاعة فائقة في معركة عرب الشمالنة حيث جرح ولم ينسحب الا بأوامر صارمة من قيادته للعلاج ثم اصر على العودة فوراً الى ميدان المعركة، عمل في حراسة الاركان العامة اثناء تولي اللواء عفيف البزري رئاستها ثم احيل الى التقاعد ولجأ الى بلغاريا، وبعد عودته منها فضل الاقامة في بلدته.

- المقدم طاهر دبلان : عمل في سلاح المدرعات السوري واعتقل وعذب في سجن المزة اثناء الوحدة ن وبعد اطلاق سراحه توجه لاقامة منظمة عسكرية في لبنان والاردن وسوريا، وقد اعتقل في عمان وبقي بانتظار المحاكمة حتى وفاته في السجن.

- اللواء محمد الشاعر، من أكثر الزملاء حيوية. عمل في سلاح الهندسة السوري وشارك في الرتل السوري للاردن، ثم انتقل إلى لبنان وبلغاريا وبعد الانفصال عاد إلى دمشق والتحق بمنظمة فتح وعين رئيساً لمؤسسة الاسكان العسكرية السورية وأيضاً اول مدير لمشروع ملاجئ المخيمات في لبنان، ورفع في فتح إلى (لواء) ثم عين سفيراً للمنظمة في موسكو إلى أن توفي فيها ودفن في الاردن.

وليعذرني بقية الاخوان الاعزاء الذين لم اذكرهم في هذا الموضوع.

تنازلات "اوسلو" والانتفاضتان الباسلتان

اما على الصعيد الوطني العام فانني، ومن الطبيعي، بخلفيتي السياسية والعسكرية ان اتابع تطورات قضية وطننا وشعبنا، وفي طليعتها الانتفاضة الفلسطينية التي سميت (انتفاضة الحجارة) سنة ١٩٨٧، والتي ازعجت العدو كثيرا ؛ واثبتت للعرب والمسلمين ان الشعب الفلسطيني متمسك بحقوقه، مجاهد في سبيلها، رجالاً ونساءً، واطفالاً وشيوخاً.

لقد اثرت هذه الانتفاضة الاولى على اقتصاد العدو ووتيرة الهجرة اليهودية، وايقظت العرب والمسلمين والعالم اجمع على الاحتلال ومقاومته.

ومن الطبيعي ان تظهر على الساحة قيادات جديدة ترسم لنفسها الخط النضالي الذي يناسب قضيتها.

وقد طالب البعض بابقاء الانتفاضة بعيدة عن استعمال السلاح، لأن ذلك يستدرج العدو ويبرر له استعمال سلاحه المتفوق.

ورأى هذا البعض ان مختلف اشكال النضال السلمي من تظاهرات واعتصامات وبيانات واحجار تكفي لتحقيق الغاية نسبياً، وتكسب الرأي العام لدعم قضية الفلسطينيين المظلومين.

ولكن هذا الرأي، على اهميته، جوبه برأي آخر يوضح ان العدو الذي استراح منذ الاحتلال سنة ١٩٦٧ لا يمكن ان يصدمه ويجرّه الى تلبية مطالب الشعب سوى ايقاع الخسائر البشرية والاقتصادية في مختلف

مجالات حياته، وكانت الغلبة فعلاً لهذا التوجه الذي يرمي الى عسكرة الانتفاضة، بدل الاكتفاء بالنضال السلمي. ومن رأيي ان وجهتي النظر تحملان رجاحة تفكير ورغبة في تحقيق مكاسب للشعب والقضية، ولكني اميل الى ترجيح ضرورة الكفاح المسلح، باعبائه البشرية والمادية على الفلسطينيين واعدائهم، حتى تبقى مطالب الحرية والاستقلال ودحر الاحتلال وانشاء دولة فلسطينية مشتعلة في نفوس الاجيال الفلسطينية الصاعدة، الى ان تتهيأ الظروف لتحقيق مكاسب حقيقية على ارض الواقع، لأن ابقاء الاحتلال مرتاحاً من اية مقاومة تجعله يسارع في استيطانه ودعوة المهاجرين الجدد، واستثماراتهم المالية، وربما في معالجة الوضعية الديمغرافية بينه وبين الفلسطينيين الباقين في الارض المحتلة سنة ١٩٤٨.

اشير هنا الى ان هذه الانتفاضة قد ازعجت الاسرائيليين واعوانهم فعلاً، لذلك عملوا بعد حرب الخليج ومؤتمر مدريد الدولي سنة ١٩٩١ على الالتفاف عليها باتفاقية (اوسلو) المعروفة التي سمحت بدخول قيادات وقوى امنية فلسطينية الى الضفة الغربية وقطاع غزة تحت اشراف العدو الكامل، وللقيام اساساً بمهمة امنية حقيرة، هي قمع الانتفاضة الفلسطينية الباسلة، وتغليف ذلك بوعود واوهام ما انزل الله بها من سلطان.

وقد رأينا جميعاً كيف تطور تنفيذ اتفاقية (اوسلو) لصالح الاعداء، وخاصة بانجرار القيادة الفلسطينية لتغيير ميثاق المنظمة بمهرجان سياسي مشؤوم في مدينة غزة وبحضور الرئيس الاميركي كلينتون وكبار معاونيه، ليشهدوا بانفسهم اقدام المجلس التشريعي الفلسطيني، بمعظم اعضائه على الغاء مواد الميثاق الوطني التي تتحدث عن حقوق الشعب الفلسطيني في استمرار الكفاح بكل اشكاله حتى استعادة كامل الحقوق المسلوبة.

مقابل اتفاق غزة عقدت القوى والشخصيات الوطنية الفلسطينية والعربية والاسلامية مؤتمراً مقابلاً في المزة - دمشق بحضور قادة الفصائل الفلسطينية المعارضة وشخصيات عربية هامة مثل الرئيس بن يللا والسيد حسن نصر الله ووفود من مصر ولبنان ومختلف التنظيمات المعارضة لاتفاقية (اوسلو).

في مؤتمر غزة ويظهر من اليسار حبش وجبريل ومشعل والقاضي وبن بللا وامين الحافظ رئيس وزراء لبنان السابق

وقد شاركت في هذا المؤتمر، ثم كتبت عنه مقالاً في (السفير) تحت عنوان (مؤامرة غزة ومؤتمر المزة).

ولست هنا لتأريخ القضية الفلسطينية، وانما لا بد من ذكر اهم الاحداث التي رافقت القضية في هذه المرحلة، والتي اسهم العديدون في التصدي لها.

وفي هذا المجال اذكر ان السلطة الوطنية التي انتقلت الى فلسطين بموجب اتفاقيات اوسلو تمكنت مع الاسف الشديد من ايقاف الانتفاضة الشعبية وزجت بالكثيرين من المناضلين في السجون على امل ان يعطيها ذلك المكاسب الموعودة بدولة فلسطينية مهما كانت مساحتها ومواصفاتها.

ومن الطبيعي ان لا يتحمل الشعب هذه النتيجة المؤلمة، وخاصة حين رأى تجاوزات الاعداء بالهجرة والاستيطان والاقتصاد، وأخيراً بالاعتداء الشاروني على الأقصى سنة ٢٠٠٠، مما اشعل انتفاضة جديدة هي انتفاضة الأقصى، والتي كانت منذ بدايتها تحمل طابع الكفاح المسلح، ولكنها لم تكن مستعدة تماماً لمختلف متطلبات هذا الكفاح، وخاصة ان السلطة الوطنية انصرفت لبقاء ما يسمى اجهزة امنية وسجون وجيوش موظفين (بدل

الانهماك في الاعداد لما تتطلبه قيادة الثورة). ذلك ان هناك فارقاً كبيراً بين الدولة والثورة لم نستوعبه مع الاسف الشديد.

وما زالت الانتفاضة الثانية مستمرة بمشاركة مختلف التنظيمات الفلسطينية، على امل ان تحقق الاستقلال ولو في حدود سنة ١٩٦٧. وفق ما تراه بعض التنظيمات، وكمرحله أولى وفق مايراه البعض الآخر.

للوصول الى تحرير فلسطين... ما العمل؟

بدراسة الوضع السياسي والعسكري العام لقضية فلسطين في ظروفها الحالية يطرح دائماً سؤال : ما العمل؟ وبرأيي المتواضع ان العمل المطلوب والممكن يسير ضمن ما يلي :

١ ـ استمرار ومضاعفة التوعية السياسية الوطنية الصلبة للأجيال الفلسطينية والعربية والاسلامية بخطورة الصهيونية واهدافها الاستعمارية، وتحالفاتها الدولية، وبالتالي بضرورة مقاومة الصهيونية واهدافها وحلفائها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واعلامياً وغيره، وذلك لايجاد المواطنين الصالحين المناضلين.

٢ ـ تحقيق اوسع ديمقراطية في صفوف الفلسطينيين والعرب والمسلمين حتى يتحمل كل مواطن مسؤوليته بقبول حسن، ويكون عوناً لحكومته في تحقيق اهدافه واهدافها، ويشعر بانه الحاكم الفعلي والمستفيد الحقيقي من التصدي للاستعمار، والديمقراطية تشمل حرية الرأي والتعبير والتنظيم، والحياة الحزبية والبرلمانية وتداول السلطة.

٣ ـ الوحدة الوطنية بحيث يمكن حشد معظم او جميع القوى المناضلة العربية والاسلامية في فلسطين وخارجها لتشارك هذه القوى في السلطة والادارات وقيادة العمل السياسي والعسكري على قدم المساواة، بدل احتكار السلطة لفريق واحد فقط، يستفيد من معظم المال الخاص بالقضية

٤ ـ الاستعداد المتصاعد من الناحية المعنوية ومن الناحية العسكرية

وفقاً لقوله تعالى : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وبحيث يصبح لدى العرب والمسلمين الاسلحة اللازمة نوعاً وكمية والقادرة على تحقيق التوازن ثم التفوق على اسلحة العدو، دون ان نغفل ان الاستعداد المطلوب يشمل حيازة العرب لمختلف الامكانات المتوفرة لدى العدو دون استثناء.

٥ ـ العمل على تشكيل وحدة عربية او ولايات عربية متحدة تندمج فيها دول الطوق العربي بالدرجة الاولى، ثمّ تتسع لتشمل من يريد من بقية الدول العربية، ويكون التوحيد العسكري لقوى هذه الدول هو الانجاز الذي يُعطى الافضلية الاولى لأنه بالوحدة العربية ـ العسكرية منها على الأقل ـ يمكن التصدّي للأخطار، وبدون مثل هذه الوحدة ستبقى الغلبة للعدو مع الأسف الشديد.

٦ ـ قيادة عسكرية سياسية وطنية خلاقة بارعة مؤمنة تستطيع توظيف الامكانات الفلسطينية والعربية والاسلامية معاً ضمن خطط وبرامج متقنة لخوض غمار النضال بكل اشكاله ضد العدو الصهيوني وحلفائه ولتحقيق النصر التاريخي عليه، وهو نصر اكيد باذن الله لأنه لا مكان في بلادنا لكيان غريب مصطنع.

صندوق الطلاب الفلسطينيين في لبنان

اجتماع لمجلس امناء صندوق الطلاب ويظهر من اليسار المهندسان سعيد خوري وحسيب الصبّاغ ثم الدكتوران محمد نجم وصلاح الدباغ

في سنة ١٩٨٥ تمت مقابلتي مع الدكتور محمد يوسف نجم والدكتور صلاح الدين الدباغ، وكلاهما عزيز على قلبي، حيث عرضا وضع صندوق الطلاب الفلسطينيين في لبنان ورسالته النضالية وتعرضه بسبب ذلك لاقتحام القوات الإسرائيلية

لمكتبه في الحمراء، وسرقة بعض سجلاته وملفاته، ثم تعرضه لاحتلال المليشيات، وعرضا تعييني مديراً للصندوق، حتّى يمكن إخلاؤه من المحتلين واستئناف عمله في خدمة الطلاب، واعتبرت هذا العمل واجباً وطنياً لا آخذ عليه أي أجر، ولكنهما أصرّا على ضرورة ذلك ليشكل التزاماً رسمياً بين الطرفين. عندها اطلعت على كشف الرواتب واتفقت معهم على أن يكون راتبي مساوياً لأقل راتب آنذاك. وانصرفت لإخلاء المكتب من الميليشيات، حيث كانت معي توصية خاصة من الأستاذ نبيه بري وتوصية أخرى من السيد وليد جنبلاط، بناء على رسالتين سابقتين من الصديق الأستاذ عبد الحليم خدام إليهما، كما اوضحت سابقاً.

وبالفعل تم إخلاء المكتب واستئناف العمل فيه لخدمة الطلاب الجامعيين بإقراضهم نسبة من أقساطهم سنوياً حتّى التخرج ثم يعيدونها بالتقسيط وبدون فوائد خلال خمس سنوات بعد التخرج .

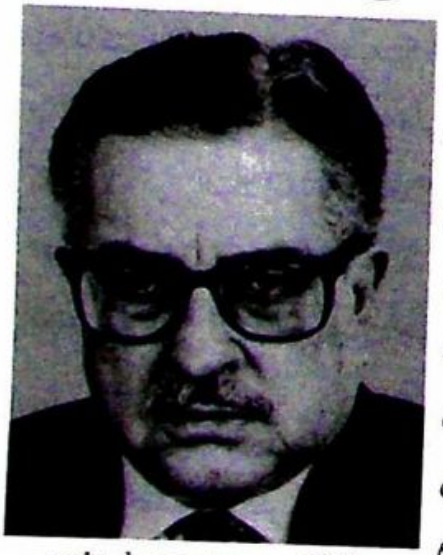

الدكتور محمد يوسف نجم
رئيس الهيئة الإدارته للصندق

وقد انشأ هذا الصندوق عدد من كبار الأثرياء الفلسطينيين الوطنيين في مختلف البلدان ضمن (مؤسسة التعاون) التي تقدم التبرعات لقطاع غزة والضفة الغربية ولبنان وهم سيظلون موضع تقدير واحترام الوطن والمواطنين الفلسطينيين وأخصّ بالذكر الدكتور محمد يوسف نجم رئيس الهيئة الادارية للصندوق وعميد الأدب العربي في الجامعة الأميركية لعشرات السنين وامين عام مؤتمر وزراء الثقافة العرب لفترة طويلة.

أثناء عملي كمدير لصندوق الطلاب كنت أشعر بسرور وفخر بدرجة كبيرة عندما ننهي عقد أي طالب يتخرج ويأخذ شهادته الجامعية ليبدأ حياته العملية في لبنان او خارجه رغم التضييقات والمحرمات والعقبات الموضوعة امام الطلاب الفلسطينيين. وكنت وما زلت أعتقد أن عمل صندوق الطلاب هو عمل وطني كفاحي من الدرجة الممتازة، لأنه يقدم

القروض للطالب الجامعي مما يساعده على تحمل الأقساط الجامعية المرتفعة في لبنان واللازمة لاكمال التعليم.

لقد أمَّن الصندوق القروض لحوالي عشرة آلاف طالب فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزّة ومن مصر والاردن وسوريا ولبنان وبعض دول الخليج، وقد التحق هؤلاء بأفضل الجامعات في امريكا واوروبا وفي تركيا ومصر وسوريا ولبنان، وقد ادّى تراجع ميزانية الصندوق الى تراجع هذا الانتشار في التعليم الجامعي ليقتصر حاليا على طلاب لبنان وبعض طلاب سوريا ومصر والاردن، وفي الجامعات اللبنانية بشكل رئيسي.

اما على الجانب الآخر، فلا بد من الاشادة بالاقتصاديين الوطنيين الذين اسسوا صندوق الطلاب ودعموه مادياً ومعنوياً، حتى تمكن من اداء واجبه تجاه آلاف الطلاب المتفوقين المحتاجين، وفي طليعتهم السادة حسيب صباغ وسعيد خوري وعبد المجيد شومان والسيد رفعت النمر والدكتور محمد يوسف نجم ومن المؤسسين سميح العلمي وسميرة خوري وغيرهم من الغيورين على مستقبل الشبان الفلسطينيين وتعليمهم .

اذكر هنا انني قدمت لصندوق الطلاب تبرعاً بمبلغ اثنين وعشرين الف دولار وهو حصّة مساهمة الهيئة العربية العليا لفلسطين في شركة اتحاد المهندسين والمقاولين حين تمّت تصفية هذه المساهمات.

تطور الاوضاع في لبنان

عندما اقتربت الإنتخابات الرئاسية اللبنانية، احتدمت الأزمة الداخلية نتيجة سعي العماد عون إلى ترشيح نفسه للرئاسة مقابل سعي سمير جعجع لنفس المنصب، وتطورت الأمور في لبنان لانتخاب رئيس جمهورية جديد بينهما، وكانت هناك رغبة عند الرئيس الجميل بتأزيم الموقف عسى أن يتم التجديد له، وفي اليوم المحدد للإنتخاب المفروض أن يتم تحت حماية الجيش اللبناني تنفيذاً للمهمة الدستورية الموكلة إلى العماد بتسهيل وتحقيق ذلك الأمر، فقد اضطربت الأمور وتعذر عقد اجتماع انتخابي، ممّا جعل الرئيس الجميل يكلّف عون برئاسة حكومة عسكرية سرعان ما انسحب منها

الضباط المسلمون، وبقيَ النصف الآخر برئاسة عون الذي عمل على كسب شعبية خاصة مقابل مختلف خصومه، ولكن ذلك كله لم يمنع من مآسٍ عديدة أصابت المنطقة الغربية خاصة عندما أعلن "حرب التحرير" ضد الوجود السوري وقصف مختلف شوارع وأحياء المناطق الغربية موقعاً أضراراً كبيرة في الأرواح والمنشآت والسيارات، وأصابت المنطقة الشرقية عندما أعلن "حرب الإلغاء" ضد القوات اللبنانية موقعاً في المناطق المسيحية أضراراً فاقت كل ما نالته خلال سنوات الحرب المنصرمة.

ولم تنتهِ هذه الفترة من الأشواك والآلام والخسائر والإرتباكات السياسية والاقتصادية والأمنية إلاّ بانعقاد مؤتمر الطائف في السعودية بحضور معظم أعضاء المجلس النيابي وباتفاقهم على ميثاق سياسي جديد، وانتخابهم الرئيس معوض لقيادة البلاد، وبعد اغتياله انتخب الرئيس إلياس الهراوي مكانه، حيث تطورت الأمور وهو يقود البلاد من البقاع ثم من بيروت الغربية، في حين يتمسك العماد عون بالقصر الجمهوري ووزارة الدفاع مسيطراً على قسم من المنطقة الشرقية، إلى أن تمَّ التوافق المحلي والإقليمي وربما الدولي على إخراجه من القصر الجمهوري ليدخله الرئيس الهراوي شرعياً وليغادر عون بعد ذلك البلاد بنفي إجباري إلى فرنسا .

وشعر معظم لبنان بالارتياح الأمني ليستأنف نشاطه الاقتصادي والعمراني تعويضاً عن سنوات الحرب القذرة.

الصداقات في سوريا

كلمة صديق ليست كلمة سهلة أو عفوية، وانما تحمل في طياتها الكثير من معاني الترابط والمشاركة والتعاون والصدق وتبادل الشعور بالأحزان والأفراح، وبدون غاية أو مطمع.

لقد اعتبرت دائماً جميع زملائي في دورة ١٩٤٨ أصدقاء حقيقيين دائمين، مهما اختلفت مراكزهم ومراتبهم، وأخص منهم من الأحياء سميح الشاهد هاوي التجارة والزراعة، وجواد عبد الرحيم الحاج محمد سليل الوطنية والجهاد، والعميد وليد جاموس الشريك في الأزمات وأكثر من

خدم في الجيش برتبة عميد، ومحمد أبو حجلة الصديق في القاهرة وفي دمشق وبقية الزملاء الأعزاء، أما الأصدقاء المدنيين فأذكر منهم عفيف درويش من أفضل الجمركيين في سوريا وابراهيم رشيد الأتاسي من أبرز أعضاء غرفة التجارة في حمص، وعبد الله السقا الشريك في سهرات القهوة، وفتحي كلش العصامي الكريم صاحب مطعم زنوبيا في دمشق، والأخوين أبو صابر ومحمد سعيدون رفاق الصبا والشيخوخة في حمص، وأرجو أن يعذرني الكثيرون الذين لم أذكرهم بالتفصيل. ولكن لا بد من الاشارة اليهم كأصدقاء مثل عبد الكريم العمر وعيسى الدجاني والدكتور وليد كنعان وصلاح المعاني وعقل دحيلية والمحامي خالد جلبوط والدكتور أسامة النقيب راعي المرضى والمجاهدين وشوقي الدقاق ومحمد قولي وأبو سليمان أبو شعر وعرفان لوستان وغيرهم الذين أرجو أن يعذروني للسهو وضعف الذاكرة.

ومن أصدقاء دمشق أيضاً الزملاء مصباح البديري وأمين نور الله ومحمد أبو غزالة وفضل شرورو وقريبنا سعيد الصفدي وقريبنا معين ابو رقبة، وفي حلب الزميل عبد الرحمن مفلح سعد وفي ألمانيا غالب أبو السعود، وفي بريطانيا المهندس محمد خير رستم الذي يتفقدني عن بعد باستمرار هاتفياً.

وقد قضيت مع هؤلاء الأحبة أجمل الأيام في سوريا، وبعد انتقالي إلى لبنان، حيث بدأت أقوم بزيارات خاطفة إلى دمشق وحمص لحفظ التواصل معهم.

الصداقات في لبنان

العمل في لبنان استوجب صداقات جديدة مختلفة عن صداقات زملاء دمشق، وقد أقمت أفضل العلاقات الأخوية مع السادة عزمي نسيبة وجواد عبد الرحيم وابراهيم توفيق وهم من زملائنا العسكريين السابقين، ثم علاقات مع الدكتور صلاح الدباغ المحامي البارع، والدكتور انيس صايغ المناضل الثقافي الذي لا يكل ولا يمل والاستاذ شفيق ارناؤط صديق الهيئة

العربية الدائم والاستاذ عصام صبح وجميع ممثلي المنظمات الفلسطينية في سوريا ولبنان وأحمد عرابي مدير المدرسة السعودية، وميشال ناصر المدير الفني في شركة C.C.C. ومع السيد ابراهيم حداد مدير C.C.C. في لبنان ومع السيد رفعت صدقي النمر رئيس مجلس ادارة بنك بيروت للتجارة آنذاك ومع السادة زهير باكير وعرسان الهابط وعثمان اسكندر وطبعاً كانت صداقتي مع أخي فتح الله أقوى الصداقات، وكذلك مع صديقي منذ عكّا الحاج محمد عمر الخيّاط. وايضاً مع المناضلين اعلامياً واجتماعياً صقر فخري وقاسم عينا وجابر سليمان ، والفنان التشكيلي محمد الشاعر.

ولا بد ان اذكر صداقتي مع العزيز سهيل ناصر محاسب ال C.C.C. والعميدين طارق سكرية وعلي المكحل ومع المناضلين وابو ماهر اليماني وصلاح صلاح والعميد سلطان ابو العينين والعميد ابو طعان والصحفي والاعلامي امين مصطفى والعزيز سعيد قوبر والصحفي المحسن الكبير بسام عفيفي والمناضلين في المخيمات ابو رشدي وابو حسن وابو فادي راجي وغيرهم.

وقد تطورت هذه الصداقات وتحسنت حتى آخر الأيام، حيث كنت أشرب الأركيلة والعب الطاولة الزهر يومياً مع أخي فتح الله، كما كنت أتناول طعام الغذاء كل يوم سبت مع الصديق ابراهيم حداد المدير السابق لمكتب C.C.C. في بيروت بعد أن مرض واعتكف في بيته في منطقة الحمراء ـ بيروت، ومع بسام قدورة مدير البنك العربي ـ الحمراء. وفي السنوات الأخيرة توطدت العلاقات أكثر مع السيد رفعت النمر بحيث أزوره عدة مرات في مكتبه اسبوعياً، ثم أتناول الغذاء معه كل يوم أحد ونمضيه معاً، وانا اعتبره زيتونة مباركة من فلسطين وأرزة خالدة في لبنان وسنديانة شامخة في ديار العرب، ورجل خير في مختلف المجالات الوطنية والطبية والعلمية والاجتماعية وغيرها.

وأذكر زياراتي المتعددة للوجيه العكاوي مصطفى السعدي أكبر معمّر حيث أقعده المرض في البيت، وهو والد صديقي المهندس حسن

السعدي، وكنت وما زلت اعتبر زيارة المرضى واجباً انسانياً ووطنياً لا أتخلى عنه.

العمرة في مكة المكرّمة

في بداية سنة١٩٩٦ علمت أن أختي الكبيرة (نهلة) في الرياض تعاني من حالة صحية سيئة، وكذلك زوجها العزيز (أبو سهيل)، ولم يكن من سبيل إلى زيارتهما مباشرة في الرياض، لذلك ارتأينا أن نطلب تأشيرة دخول إلى السعودية للعمرة، شقيقتي (حياة) وأنا كمرافق لها. وبالفعل سافرنا بهذه الطريقة إلى جدة ومنها مع أقاربي إلى مكة المكرمة بلباس الاحرام لأداء العمرة، ثم أمكن تهريبنا براً إلى الرياض بموافقة وتوصية احدى الأميرات الفاضلات، حيث قضيت فيها حوالي اسبوعين ثم حان موعد عودتي إلى لبنان في حين تبقى أختي (ام عصام) في الرياض فترة أخرى مع أختنا (ام سهيل) رغم أني مرافق لها، وقد نظمنا واسطة لخروجي منفرداً من مطار الرياض ولكنها لم تجدنا نفعاً إذ أن الشرطة أصرّت على أن تصحبني أختي موضوع المرافقة، ثم لجأنا إلى ترتيب واسطة أخرى في المطار وتوفقت في اجتياز الشرطة عند المدخل، ولكن أوقفني شرطي آخر على مدخل الطابق العلوي ليتفقد جواز سفري، فاكتشف موضوع المرافقة وسألني عنها، فأحرجت، ثم سرعان ما أشرت إلى سيدة كانت سبقتني في دخول القاعة العلوية وقلت له أنها أختي، فسلمني الجواز وسمح لي بالدخول، وكانت تلك المرأة هي (أم زهدي) زوجة صديقي المرحوم عبد الله حبيشي من عكّا، وكانت بالصدفة مسافرة إلى بيروت يوم سفري إليها. وقد سعى بالعمرة

في مراسم العمرة مع المهندس
محمد مياسي

ورافقني فيها وسهّلوها لي المهندسان سهيل ومحمد مياسي ابناء اختي (نهلة) والمهندس عصام ابو رقبة ابن اختي (حياة).

عملية القلب المفتوح

في ١٤/ ٢/ ٢٠٠١ أجريت عملية قلب مفتوح في مستشفى الجامعة الأميركية، ومن مظاهر هذه الفترة في المستشفى زيارة تفقدية كريمة من ممثلي مختلف المنظمات الفلسطينية في بيروت بوفدٍ موحد، وقد كنت هادئ الأعصاب تماماً وأنا مقبل على اجراء هذه العملية الخطيرة، ولدرجة اني انصرفت لكتابة قصيدة غزل في الممرضة المسؤولة عني، وذلك ليلة تحضيري للعملية، وقد تشاهدت قبل التوجه لغرفة العمليات، أما بعد العملية فاذكر حوادث أثرت بي كثيراً، فقد فوجئت بزيارة جهاد أحمد جبريل موفداً من والده مع وفد وباقة ازهار كبيرة، وكنت قد تلقيت باقتي ورد من العميد سلطان ابو العينين مع وفد كريم يمثل العميد وفتح من جهة، ويمثل اتحاد طلاب فلسطين التابع لمنظمة فتح من جهة أخرى. وأذكر باعتزاز زيارة الدكتور محمد نجم رئيسي في العمل، والذي أعرف أنه لا يرغب بزيارة أي مريض في مستشفى ولا المشاركة بالعزاء بأي ميت الاّ عند الضرورة القصوى، فيتحامل على نفسه لأداء هذه المهمة الصعبة في نظره.

وكان اسم الممرضة سناء فنظمت لها قصيدة ليلة اجراء العملية جاء فيها :

يا من سناها سباني والهوى قدرُ
في حسنها قد تبارى الشمس والقمرُ

اسعفتِ مرضى قلوبٍ أمرهم جلل
مَن يُسعد الناس يكسو عُمره الظفرُ

هذي سناء ملاك الخير تنشده
حباً جميلاً فلاهم ولا كدرُ

قد رافقت ساهراً في الليل يغمرها
ضيَاؤه، كم حلا في ضوئها السهرُ

احتفالات بذكرى رحيل المفتي

على الجانب الآخر من الوان الحياة فقد استقبلت بترحاب كبير مظاهر اعادة الاعتبار للمرحوم الحاج أمين الحسيني على اصعدة عدة، وفي فترة واحدة سنة ٢٠٠١ وهي الذكرى السابعة والعشرون على رحيله، فقد نظم اللقاء الثقافي الفلسطيني الذي يرأسه الدكتور الصديق انيس صايغ احتفالاً هاماً بهذه الذكرى، تحدث فيه العديدون عن مآثر الفقيد، وكانت لي كلمة عن ذكريات السنوات العشر التي قضيتها في رحابه.

من جهة ثانية تم تنظيم (حركة الوفاء للأرض والانسان) برئاسة المناضل زياد بكداش، زيارة وفاء لضريح المفتي الحسيني حيث قام الحاضرون بوضع الورود الحمراء وقراء الفاتحة والاشادة بتاريخ هذا المناضل، الذي لم ينل ما يستحق من تقدير العرب والمسلمين.

وفي نفس المناسبة، ولأول مرة ايضاً، تنظم حركة فتح - الانتفاضة زيارة لضريح المفتي حضرها وفد الحركة في دمشق برئاسة الأخ ابو موسى، حيث تليت الفاتحة وتمت الاشادة بتضحيات وجهاد الراحل الكبير.

ولما كنت اعتقد ان هذا المجاهد التاريخي يستحق الكثير من الاحترام والتقدير فقد سررت من هذه الصحوة الهامة، وطبعاً شاركت في جميع احتفالاتها.

كلمات رثاء ووفاء للمناضلين الأصدقاء

من الضروري تكريم المجاهدين الأحياء والراحلين لذلك فقد كتبت مراراً عن الحاج أمين الحسيني وكفاحه العنيد ومطاردة الأعداء له حتّى وفاته سنة ١٩٧٤، كما اعتنيت برثاء بعض زملائي وأصدقائي من الضباط الشرفاء والسياسيين المناضلين .

وعند وفاة عفيف البزري في دمشق، وجدت من واجبي أن أرثيه فكتبت في السفير بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٩٤ تحت عنوان (ذكريات مع عفيف البزري) مقالاً جاء فيه: " لقد شارك الفقيد في ثورة رشيد علي الكيلاني

سنة ١٩٤١، وقاتل في فلسطين سنة ١٩٤٨ وقاد رتلاً سورياً إلى الأردن سنة ١٩٥٦ وتدرج في مناصب القيادة في الجيش السوري حتّى منصب رئاسة الأركان العامة... كان الفقيد قبل ذلك ضابطاً كبيراً في الهندسة في الجيش السوري، تميز بثقافة عالية أكملها في فرنسا كما تميز بحضور اجتماعي واضح، إضافة إلى عدائه العميق الأصيل للاستعمار والصهيونية".

ثم ذكرت معرفتي به منذ دورة الضباط الفلسطينيين في قطنا سنة ١٩٤٨، حيث كان من اللجنة الفاحصة عند عودته من فلسطين، ثم رأيته مرة ثانية عندما زار الجبهة برفقة الرئيس شكري القوتلي سنة ١٩٥٧، ولم أجتمع به بعد ذلك حتّى الوحدة، حين كان من أوائل العاملين من أجلها، وأيضاً من أوائل ضحاياها، حيث تم تسريحه من قيادة الجيش وتكليفه بعمل شكلي آخر ممّا أحدث موجة من الغضب، وقد زرته مع بعض الضباط في بيت إقامته في القاهرة لتحيته، ولم أقابله بعد ذلك حتّى إحالتي إلى التقاعد، ومع ذلك فحين تم اعتقالي في القاهرة سنة ١٩٥٨، كانت التهمة الرئيسية أني وزملائي من أنصار عفيف البزري ونشاركه في التحضير لإنقلاب مزعوم ضدّ الوحدة المصرية السورية ".

كنت قد نشرت رثاء للفقيد العميد إبراهيم فرهود في ٢/١٠/١٩٩٢، في صحيفة السفير جاء فيه: " من حق الفقراء الشرفاء، إذا ماتوا أن تقال فيهم كلمة رثاء، وخاصة إذا كانوا مميزين بالعصامية والوطنية والنزاهة" .

وذكرت في الرثاء كيف انتقل الفقيد من بائع خضرة في طفولته في قريته أريحا السورية إلى الكليّة العسكرية، ثم كضابط هندسة ساهم في حرب ١٩٤٨ بمجهودات كبيرة في ميدان زرع الألغام أو نزعها، وبعد إحالته إلى التقاعد أثناء الوحدة برتبة عميد، بدأ دراسة الهندسة المدنية، وعين كأول مدير لمشروع سد الفرات البالغ الأهمية لسوريا. وفي ختام الرثاء قلت:

"العميد إبراهيم فرهود واحد من الشخصيات السورية العربية الّتي

تصلح لأن تكون قدوة لشبابنا وهو من النماذج الّتي يجب أن تذكر وأن تشكر، بعد وفاته على الأقل، حتّى لا يقال: ذهب الوفاء والتقدير والإنصاف عند العرب، وحتّى لا يقال أن الرثاء والعزاء للأغنياء فقط".

وكنت في فترات سابقة قد نشرت مقالات رثاء لبعض زملاء دورتي ومنهم العقيد رشيد جربوع صديقي الحميم وبطل معركة الحمّة سنة ١٩٥١ والحائز على الوسام الحربي السوري، وزميلي العقيد عبد العزيز الوجيه الذي عمل في قوات المقاومة الشعبية في الأردن، ثم أصبح وزيراً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ورافق الحرب اللبنانية حتّى حرب الفنادق حيث انتقل إلى دمشق وتوفيَ فيها.

كما رثيت زميلي علي بشناق أحد كبار المؤسسين لحركة النضال المسلح مع المجاهد أحمد جبريل في الستينات، والّتي أصبح اسمها (الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة)، والذي توفي وهو في عز شبابه، ثم الزميل العقيد بهجت عبد الأمين الـــذي أســـس قـــوات المقاومة الشعبية لمنظمة التحرير في الأردن وله سجل كبير من النضال والنزاهة والإخلاص.

ذكرى اربعين
المؤرخ مصطفى مراد الدباغ
١٩٨٩/١١/١٧
في
دار الندوة

الاحتفال لذكرى اربعين المؤرخ مصطفى مراد الدباغ

ثمّ رثيت المؤرخ الكبير مصطفى مراد الدباغ (السفير) في ١١/٥/ ١٩٨٩ بعنوان "فلسطين وسنوات العطاء"، وساهمت في إقامة احتفال ذكرى الأربعين لوفاته في بيروت (دار الندوة) بشكل يليق بتاريخه وعطائه.

بعد ذلك نشرت رثاء لصديقي الشاعر محمد كامل صالح الذي توفي سنة ١٩٩٣ ولي معه ذكريات جبهة الجولان، والانتقال إلى مصر ثم السجن المشترك في الفيللاّ ٧ بالعباسية وصداقة آخر العمر حين طال مرضه، وهو من كبار الشعراء العرب الذين لم ينالوا ما يستحقون. وقد

تناول أبو كمال في أشعاره مراحل الكفاح العربي، وأعطى في كلّ موقف رأياً، فعن محاولات السلم الاستسلامي قال:

يـا مـدعـيّ الـسـلـم ليس الـسـلـمُ سـلـسـلـةً
فـي الـعُـنـق أو أمَـةً تحـنـو وتُـضـطـهـدُ

دمـشـقُ أشـكـو إليكِ الـعُـربَ ضـيَّـعـهـم
فـي كـل صَـحـراءَ تـيهٍ قـادة عُـبُـدُ

وغير ذلك في مناسبات وطنية عديدة أخرى.

وعند وفاة اللواء عدنان طيارة رثيته تحت عنوان (الرجل الذي اصطاد الجاسوس كوهين)، وكنت قد شاركت الفقيد في مؤتمريّ القمة العربية الأول والثاني سنة ١٩٦٤ وبقيت على علاقة جيدة معه عندما كان ملحقاً عسكرياً في الأردن، حيث سلّمني نسخة كاملة من اتفاقية روجرز الّتي كانت بتفاصيلها شبه سرية آنذاك.

وكان المهندس عزمي عزت نُسيبة صديقاً للفريق البزري والعميد فرهود، ومديراً لشركة المانع للهندسة والمقاولات في الدوحة قطر ومديراً عاماً لشركة اتحاد المهندسين والمقاولين في بيروت منذ سنة ١٩٦٤ والّتي كنت مديراً إدارياً لها .

الصديق الراحل الكبير
المهندس عزمي نُسيبة

وقد تأثر أبو عزت لوفاة صديقيه البزري وفرهود ولحال الأمة العربية ومأساة الشعب الفلسطيني فمرض حيث زرته في الدوحة وفوجئت بمدى هزاله وبعجزه عن المشي، وذلك قبل وفاته بفترة قليلة، وكأنها كانت زيارة وداع لرجل الوطنية والشهامة والذكاء وحب الخير، حيث سافر بعد ذلك إلى لندن فتوفي ودفن فيها بدل أن يدفن في مدينته الحبيبة (القدس) كما كان يتمنى .

وقد رثيته في (السفير) بتاريخ ١٥/٧/١٩٩٧

تحت عنوان(ذكريات مع عزمي نُسيبة ـ مفجر خط التابلاين في سنة ١٩٥٦) .

وكتبت كلمة رثاء في ٢٨/ ١/ ٢٠٠٠ في (السفير) تحت عنوان(عروس فلسطين اللبنانية ـ وداد محمصاني الدباغ) أشدت فيها بعلم وأخلاق وجهاد هذه الفاضلة الّتي وقفت إلى جانب زوجها حتّى منتهى شيخوخته، والّتي لها أياد علمية بيضاء في فلسطين ثم لبنان .

من الأصدقاء الأعزاء إبراهيم حداد مدير شركة .C.C.C في لبنان لفترة طويلة، وعند وفاته رثيته في السفير في ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٠ بعنوان (الصفدي إبراهيم حداد يدفن في بيروت الحبيبة)، وكان من أفضل العاملين لخدمة الشبان الفلسطينيين الأكفاء وتأمين فرص عمل لهم .

في سنة ٢٠٠٠ توفي زعيمان عربيان كبيران هما الحبيب بو رقيبة والعميد ريمون اده، وقد كتبت كلمة رثاء في السفير بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠٠٠ تحت عنوان(ذكريات فلسطينية مع بو رقيبة ـ من المنفى إلى الرئاسة وتقسيم فلسطين) وذكرت زيارته لمدينتنا عكّا سنة١٩٤٦ واستضافتنا له، وهو المجاهد الكبير الذي يسعى لتحرير بلاده تونس، حتّى نجح وأصبح أول رئيس لجمهوريتها، فاهتم بمحاربة التضخم المالي وتأمين فرص العمل للشبان وتحقيق التقدم الاقتصادي لبلاده، مع اختلافنا في الرأي بشأن مساندته لتنفيذ مشروع تقسيم فلسطين آنذاك. ونشرت مع الرثاء بعض صور الفقيد في عكا.

أما بشأن العميد ريمون اده فقد نشرت في(السفير) بتاريخ ١٢/ ٥/ ٢٠٠٠ كلمة تأبين عددت فيها أخلاقياته ونزاهته ووطنيته واهتمامه بقضية فلسطين ومياه لبنان، كما ذكرت فيها باختصار مسعاه لرئاسة الجمهورية اللبنانية كما جاء سابقاً، وهو المتمتع بصفات شخصية هامة يفتقدها الكثيرون من زعماء العرب.

في سنة ٢٠٠١ خسرت صديقاً وطنياً كبيراً هو العقيد هشام العظم

صديق الخدمة العسكرية في سوريا ورفيق السجن في ثكنات العباسية في القاهرة، ثم في سجن المزة الشهير، وقد رثيته في السفير في ٢٠٠١/٦/٨ تحت عنوان(جهاد مجيد للفقيد العقيد هشام العظم من معركة صفد حتّى مقاطعة "إسرائيل" وملاجيء المخيمات). وحياته حافلة بالأحداث وقد تسلم قيادة الشرطة العسكرية في سوريا وأصبح مديراً لكلية الضباط الاحتياط في حمص ثم انتدب للقاهرة حيث أحيل للتقاعد وسجن ثم أفرج عنه فتسلم مكتب مقاطعة "إسرائيل" في دمشق، وعند انتهاء عمله فيه انتقل إلى لبنان، وتسلم مهمة المفتش العام في مشروع ملا جيء المخيمات الذي كنت مديراً إدارياً له، وكان في عمله مثال الرجل العاقل الوطني المنتج والمنظم .

كما فقدت في تلك السنة المناضل القومي واصف كمال فرثيته بتاريخ ٢٠٠١ /١٢/١ معدداً مساهماته في حركة القوميين العرب الأولى ثم في وفدَي فلسطين وسوريا إلى الأمم المتحدة سنة١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ثم انشغاله في العمل المصرفي بنجاح حتّى تقاعده ووفاته في بيروت ودفن فيها بدلاً من أن يدفن في نابلس كما كان يتمنى.

وبوفاة السفير الصديق عبد الفتاح يونس خسرت زميلاً آخر من زملاء دورتي، وقد كان رفيقاً في جبهة الجولان ثم شريكاً في الأعمال التمهيدية لميثاق منظمة التحرير في القاهرة، ثم سفيراً لسوريا في عدة بلدان قبل أن يتفرغ للعمل في منظمة التحرير الفلسطينية ـ دائرة الشؤون الخارجية، وهو من بلدة عارة ـ قرب حيفا ـ فلسطين، وعند وفاته في دمشق تمكن أهله بصعوبة كبيرة من إيجاد مكان يدفن فيه فور الوفاة.

ولقد رثيت في حينه المناضل ابو شاكر الدبسي وكتبت عن جهاده طيلة حياته وقدم لي الصديق خالد الدبسي تسجيلا بصوت الراحل عن مجمل نشاطه المشرّف، كما اذكر اني تلقيت تسجيلا على شريطين لنضال المجاهد ابو اسعاف بصوته وهو من قادة ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وتوفي في دمشق.

اللقاء الفني الفلسطيني في لبنان

تعددت النشاطات، ومنها النشاط الثقافي والفني. وقد كان للفلسطينيين دور هام في هذه المجالات حيث شكل الدكتور أنيس صايغ" اللقاء الثقافي الفلسطيني" ليدعو إليه صفوة من رجال الفكر والسياسة والاقتصاد وبشكل أسبوعي تقريباً لسماع محاضرة هامة من شخصية سياسية أو ثقافية ثم يدير مناقشة ديمقراطية عن مضمونها، وكنت من جملة المدعوين، وكلّي أمل أن يتحول هذا اللقاء إلى مرجعية سياسية لفلسطينيّ لبنان المحرومين من أية مرجعية منذ احتلال بيروت سنة ١٩٨٢.

كما تنادي بعض المهتمين بالأمور الفنية إلى تشكيل" اللقاء الفني الفلسطيني" ويهتم بالفنون المسرحية والتراثية والفولكلورية، وتم التوافق أن أكون مستشاراً لهذا اللقاء ويرأسه الأخ محمد الشاعر ومن قياداته المخرج محمد الشولي وغيرهم، وقد نظم هذا اللقاء مسرحية عن العرس الفلسطيني وتقاليده وأغانيه ودبكاته تحت اسم(حبيبتي جفرا) وقدمها على أهم مسارح لبنان (مسرح المدينة ومسارح الجامعة الأميركية والعربية والأميركية اللبنانية ومعروف سعد في صيدا)حيث لقيت إقبالاً رائعاً.

وضمن نفس الاهتمامات الثقافية كان من الضروري تشجيع تسجيل جميع اغاني واناشيد الفولكلور الفلسطيني للمحافظة على هذا التراث الفني، وكذلك تشجيع تأليف كتب عن المدن والقرى الفلسطينية التي احتلها الاعداء الصهاينة وازالوا بعضها بالكامل، وبحيث يقوم بعض المثقفين من تلك المدن والقرى بأن يؤلف كل منهم عن بلدته كتاباً يؤرخ فيها تاريخ وجغرافية وعادات وعائلات تلك البلدة، وكان كتاب (عكّا) للسيد متى بوري والدكتور يوسف شبل من تلك الكتب الهامة، اضافة إلى كتب أخرى عن مدن القدس وحيفا وطبريا واللد وعن القرى : الطنطورة ـ لوبيا ـ دير القاسي ـ ترمسعيا ـ الكويكات والظاهرية التحتا وغيرها.

تراث فنّي... وفيروز فلسطينية

ضمن اهتماماتي الثقافية تعرفت بالسيد روبير صفدي في كفرشيما، وهو صاحب مكتبة فنية هامة جداً تحوي جميع الاسطوانات والتسجيلات الغنائية منذ مطلع القرن العشرين، وله انجازات في تأريخ الغناء العربي وسيرة حياة الفنانين العرب، وخاصة مطربه المفضل الأستاذ محمد عبد الوهاب الذي يحمل له عظيم التقدير وألّف كتاباً عن تاريخ الموسيقى العربية اعتبر فيه عبد الوهاب في المقام الأول من فناني العالم العربي. ومن معلوماته الفنية الهامة أن المطربة فيروز هي من أصل فلسطيني، حيث أن والدها من شفا عمرو، وأنه كان يعمل في مطبعة في حيفا قبل أن ينتقل وعائلته إلى حلب قبل نكبة ١٩٤٨ ثم انتقل إلى لبنان - ضبيّة حيث بدأت ابنته فيروز في الغناء بدار الاذاعة اللبنانية ثم انطلقت شهرتها بعد زواجها من عاصي الرحباني، وكانت هذه المعلومات مفاجئة لي وللأخ الصحفي أمين مصطفى الذي سارع إلى نشر مقالة هامة في هذا الموضوع في احدى صحف الخليج الرئيسية وأورد فيها أن هذه المعلومات تعرفها نجاح سلام وزكية حمدان وغيرهما منذ فترة من الزمن، وأن أداء فيروز لأغنياتها الوطنية الفلسطينية بذلك الشكل الأسطوري يعود إلى شعورها العميق بالانتماء الفلسطيني .

ونظراً لتنوع النشاطات الفلسطينية الفنية في لبنان وتعدد المنظمات والجهات التي تنظمها، فقد كان من الضروري المساهمة في مختلف النشاطات ومنها المعارض للمنتجات الفولكلورية الفلسطينية ومعارض الرسوم لمختلف الفنانين الفلسطينيين والمعارض الأخرى المتنوعة التي تدل على حيوية هذا الشعب، وخاصة في لبنان، رغم كل المآسي التي يتعرض لها.

شعر تمجيد للبطولات

ضمن النضال الفلسطيني المجيد برزت العمليات الاستشهادية المتعددة، وقد أثارني نبأ والدة الاستشهادي محمد فرحات الّتي حثته على

الجهاد والاستشهاد، وودعته عند توجهه للقيام بعملية فدائية، فكتبت بعض أبيات من الشعر نشرتها في عدة صحف منها (الحياة) بتاريخ ٢٠٠٢/٤/٩ وهي كما يلي:

صورة الشهيد محمد فرحات ترفعها والدته المناضلة الكبيرة

ولدي حبيبي قد وهبتُكَ للوطن
فاحملْ بُنَيَّ البندقيةَ والكفنْ

وأقحم ديارَهُمُ بكلّ شموخنا
واعصفْ بهم، فلقد بلَونا بالمحن

الشعب هبَّ بشيبهِ وشبابه
للقدس، للأقصى، لأمجاد الزمن

قُم للشهادة مثل أجدادٍ مضوا
ولتحضُنيه في جنانك يا عدن

واستذكر القسّام في وثباته
وابنَ الوليدِ فما استذلَّ وما وهن

مِن شعبنا عبدُ الرحيم ورَبعُه
فوق الروابي للأعادي قد كمن

أما الحسينيون في القدس الّتي
تهوى البطولة فاستماتوا دون منّ

لا نرتضي ذُلاً ولا نخشى الردى
حتى الصبايا خُضن ويلات الأحن

قـرَعـت كـنـائـسُ أهـلـنـا أجـراسَـهـا
وعـلا الأذانُ يهـدّ عـبـادَ الـوثـن

رايـاتـنـا خـفـاقـةً ودمـاؤنـا
عِـطـر يـزيّـن أرضَـنـا وبـلا ثـمـن

فَـجَـرَ الأعـادي فـاسـتـحـقـوا بـأسـنـا
فـانهـضْ محـمـدُ؛ لا نـكـوصَ، ولا وهـن

بـطـلـي حـبـيـبـي قـد وهـبـتُـك لـلـعـلـى
فـاصـرع بـنـي صـهـيـونَ روّاد الـفـتـن

وعندما تحرر الجنوب اللبناني، وانسحب منه العدو تحت ضربات المقاومة الباسلة وعاد أهل الجنوب الأعزاء إلى منازلهم وأراضيهم ووطنهم، نُشرت في (الحياة) وفي (السفير) بتاريخ ٣٠/٥/٢٠٠٠ شعراً عن هذا الموضوع بعنوان (عودة الأحبة للجنوب) ما يلي :

عـاد الأحـبـة لـلـجـنـوب محـرَّرا
فـصـحـا الـشـهـيـدُ مـهـلّـلا ومـكـبّـرا

وعـلا الأذانُ مـن الجـوامـع هـاتـفـاً
" الـلـه أكـبـر" هـادراً ومـزمـجـرا

قـرَعَـتْ كـنـائـسُ أهـلـنـا أجـراسَـهـا
فـرحـاً بـنـصـرٍ أحـرزوه مـؤزّرا

فـرّ الـغـزاةُ، وأنـكـروا عـمـلاءَهـم
قـدرُ الـعـمـيـل بـأن يـظـلَّ محـقّـرا

سـلِـمـت يـداكَ أخـي المقـاومُ مـؤمـنـاً..
ليس الـنـضـالُ مـفـاسـداً ومـظـاهـرا

ليسَ الجـهـادُ تـخـاذلاً وتـنـازلاً
لـيـس الـكـفـاحُ تـواطـؤاً وتـنـاحـرا

فمشاعلُ الأبطالِ تعلو صرخَنا
وشموعُ أهل الذلّ في بطن الثرى

جولاتَنا.. يا أرضَنا يا عرضَنا
لا بدَّ قيدُك، عن قريبٍ، يُكسرا

واستبشري يا قدسُ، نصرُك قادم
لا بدَّ نصرُ الحقّ أن يتصدّرا

هذي فلسطين تُباركُ مجدَكم
أهلَ الجهاد، مطهَّرا ومعطَّرا

غنَّيتُ لبناناً.. زهوتُ بنصرِه
والدمعُ يضحكُ في العيونِ مُفاخرا.

نكسة العمر اقتصادياً ومعنوياً

في السبعينات انتقلت ادارة شركة المهندسين والمقاولين نهائياً إلى قطر، بسبب اضطراب الأحوال الأمنية في لبنان، وبقيتُ كمديرٍ إداري لها أقوم بتسيير الأعمال اللازمة في لبنان بسبب وجود ممتلكات وشقق للشركة والشركاء. وفي نفس الوقت فتحتُ خطَّ عملٍ جديد مع أحد المعارف من جنوب لبنان، الذي كان يعمل بائع قهوة متجول في بيروت ثم ارتفع إلى صاحب دكان صغير تحت درج بناية الأمن العام في ساحة الشهداء، ثم أصبح يعمل في العقارات كسمسار بيع وشراء، وكان قد اشترى منا شقة للنائب عبد المولى امهز الذي أصبح صديقاً شخصياً لي، وقد عرض عليّ المشاركة في عمليات ترميم أبنية تضررت بالحرب وتعويض محتليها ثم القيام ببيعها للآخرين، فاشتركت معه ببعض المشاريع الّتي حققت أرباحاً لا بأس بها، وبعد ذلك تطور عملنا المشترك إلى شراء أراضٍ وإقامة أبنية عليها ثم بيعها كأقسام مختلفة، وهذا يتطلب المزيد من التمويل، فعرضت ذلك على بعض الزملاء المتقاعدين والأصدقاء والأقارب والمعارف فتجاوبوا جميعاً، وكنت أقدم لكل مشروع نصف رأسماله دفعة واحدة،

والشريك يتحمل النصف الثاني على دفعات ويشرف على التنفيذ الذي أصبح خبيراً فيه بذكائه ونشاطه ومعارفه، وحققت هذه المشاركة أرباحاً مناسبة خلال الثمانينات، ولكنها اعتباراً من مطلع التسعينات تعرضت لنكسة شديدة جداً نتيجة طمع الشريك وتفرده بالعمل واستئثاره بالأرباح ولجوئه إلى الكذب، فتوقف عن تسديد أي مبلغ مستحق لنا سواء من رأس المال أو الأرباح، مما أوقعني في ورطة مالية بالغة القسوة وفي أزمة معنوية مع جميع شركائي الذين سلموني أموالهم ليستفيدوا من استثمارها، وانتهى هذا إلى القضاء، حيث حجزنا على ما تبقى من العقارات المسجلة باسمه وحده وليس باسمينا معاً، لأني كنت لا أحمل الجنسية اللبنانية آنذاك، كما حجز أحد البنوك على نفس العقارات استرداداً لديونه على الشريك، وبما أن القضاء البطيء في أي دولة يعتبر قضاء ظالما، فإن السنين تمضي وما زلنا نلاحق الشريك السابق لاسترداد مستحقاتنا لديه بواسطة القضايا القانونية اللاحقة، وهذه تعتبر أقسى شوكة صادفتني في حياتي.

زيارة من اهل عكّا

من أجمل أيام آخر العمر مجيء ابنة عمتي مريم ابو حميد بزيارة أولى مع زوجها إلى بيروت، حيث لم أكن قد تقابلت معها ومع كامل العائلة منذ نكبة ١٩٤٨ حين خرجت مع اللجوء إلى لبنان لفترة قصيرة ثم سمحوا بعودتها إلى عكّا حيث اكملت الدراسة وحصلت على درجة دكتوراه وأعطت اهتماماً كبيراً مع زوجها الأميركي للقضية الفلسطينية واحتياجات شعبها، وقد أعادتنا هذه الزيارة إلى ذكريات عكّا والوطن والأهل الباقين هناك، وأثارت فينا كوامن الرغبة في العودة لاكمال ما تبقى لنا من الحياة في عكّا. علماً انّه لولا حصول قريبتي على الجنسية الاميركية لما تمكنّا من رؤيتها، وبالمناسبة لولا الاجتياح الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ لما تمكنّا من رؤية عمّتي وابنتها حين قدموا بتصريح اسرائيلي الى بيروت، مع الاسف الشديد.

تلقيت من عكّا بالتتابع عدّة اشرطة فيديو لمعالمها التاريخية واحتفالاتها

الوطنية كما وتلقيت شريطاً مسجلاً من فرقة فنيّة، فيها اغانٍ وطنية عديدة، افضلها اعنية عن مدينتي عكّا كما كنت استلمت سابقا شريطاً مسجلاً لأغنية "عكّا" تأليف الشاعرة منوّر قبلاوي ابنة عكّا.

اغتيال الشهيد جهاد جبريل

سنة ٢٠٠٢ اغتالت الموساد الاسرائيلية المناضل الشهيد جهاد أحمد جبريل الذي سبق وزارني في مستشفى الجامعة الأميركية، فحزنت كثيراً وأسرعت إلى مستشفى المقاصد في بيروت ثم إلى مخيم برج البراجنة ثم إلى دمشق للمشاركة في مراسيم التشييع والتعزية، وقد كان هذا الشاب الهادىء الذكي الشجاع موضع اعجابي واعجاب الكثيرين مثل سماحة السيد حسن نصر الله الذي تحدث عن اهتمام الشهيد بادخال السلاح إلى الانتفاضة في فلسطين، ومثل السيد وليد جنبلاط الذي تحدث عن معركة سوق الغرب وبطولته وتضحيته فيها.

وقد أعجبت جداً بشجاعة الصديق القائد أحمد جبريل وهو يؤبّن ابنه فيذكر أنه كان منذ صغره مشروع شهيد، وأنه اختار درب النضال المسلح حتى النصر أو الشهادة، وقد أنعم الله عليه بالشهادة.

وكتبت في هذا الموضوع مقالة اعجاب بالشهيد ووالده الصابر المحتسب الذي خاطبته بشعرٍ قديم مع بعض التصرّف :

أراكَ عصيَّ الدمع شيمتك الصبرُ
أما (للأسى) نهي عليك ولا أمرُ؟

فيجيبني :

بلى أنا (محزون) وعندي لوعة
ولكن مثلي لا يُذاع له سرُّ

اذا الليلُ أضواني بسطتُ يد (الأسى)
واذللتُ دمعاً من خلائقهِ الكِبرُ

وفاة أخي فتح الله

وكأن حياتي لا تريد أن تنتهي الاّ بالمزيد من الأشواك، فقد فوجئت بوفاة اخي الوحيد الباقي فتح الله في ٢٠٠٣/١٢/٩ بسكتة قلبية مفاجئة لم ينفع معها الطب شيئاً، فأصبحت أمام كارثة الصداقة والرفقة اليومية في الأركيلة وطاولة الزهر وكذلك الحسابات المتعددة التي كانت بادارته، وغرقت في بحر جديد، فقمت بانهاء عمل شركة المهندسين والمقاولين وبتصفية حسابات الشركاء وعوائد ممتلكاتهم التي كانت بعهدتنا وقد فعل الموت المفاجئ لأخي الذي يصغرني باكثر من عشر سنوات، فعله في معنوياتي ونفسيتي، لكي يبرئ الانسان ذمته تجاه الله والآخرين ويرتب أوضاعه لتسهل معالجتها على الورثة، وصرت أردد :

صديقي واطي فتح الله

ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فرداً

رابطة عكّا الخيرية

في ختام سنة ٢٠٠٣ تداعى بعض الشباب لانشاء رابطة لأهالي عكّا المقيمين في بيروت مبدئياً ثم يمكن توسيعها إلى لبنان ثم إلى خارج لبنان وذلك بقصد زيادة أواصر المودة والتعارف بين الأجيال السابقة والحالية، ثم بين الأجيال الحالية المتباعدة، مع تأمين التكافل الاجتماعي بين القادرين والمحتاجين.

كانت هذه الفكرة مشابهة لفكرة جماعة الاحسان في عكّا قبل النكبة، ثم لرابطة أهالي عكّا في بيروت أوائل الخمسينات.

وقد توافق الشبان على تكليفي بقيادة هذا العمل في مختلف جوانبه، فشاورت الكثيرين حتى توصلت إلى انشاء هيئة ادارية وهيئة عمومية ولجنة

رعاية وذلك وفقاً للقوانين اللبنانية. وقد احتفظت بمنصب أمين سر الهيئة العمومية التي يرأسها المهندس الحاج محمد مصطفى السعدي حفيد المرحوم عبد الفتاح السعدي رئيس بلدية عكّا في مطلع الانتداب البريطاني والذي له انجازات رائعة منها تبليط شوارع عكّا القديمة وعمل المجاري اللازمة لها، واضاءة شوارع وأزقة البلدة ثم بانشاء حديقة البلدية الرائعة التي تضاهي مساحتها حديقة الصنائع في بيروت.

أما الهيئة الادارية فأتولى رئاستها، وهي الهيئة التنفيذية الميدانية بمعاونة السادة رياض حمزة البيطار وحسن عدلوني ومحمد كامل روبين واحمد أبو رقبة.

وقد أعجبني البعض في تجاوبه وخاصة أحد أبناء برجا اللبنانية الذي قضى أهله شبابهم في عكّا حين اتصل بي وعاتبني وقال : لحم أكتافنا من عكّا، وأنا منكم فلا توفروني واعتبروني عضواً في جمعيتكم العمومية.

في حين لم يعجبني بعض المثقفين الذين تخوفوا من الانضمام للرابطة، وبعضهم تمنع عن المساهمة المالية فيها بحجة الاتهامات المحتملة المسماة بالارهاب مثلاً.

وقد تفضل الدكتور نصرت رشيد فضة بوضع الرابطة تحت رعايته، وقدم لنا تبرعاً مناسباً في حين تمنع غيره عن هذه الرعاية لتخوفه أيضاً من تهمة الارهاب الموجهة للجمعيات الخيرية !! وتفضل ايضاً العزيز متى سمعان بوري برعاية هذه الرابطة الخيرية مشكوراً.

وقد أعدت الرابطة استمارات اجتماعية للمحتاجين لمساعدتهم المنتظمة كما قدمت تبرعات مالية وعينية لهم في المناسبات وأصدرت امساكية عن شهر رمضان ورزنامة سنوية باسم الرابطة مع صورة جميلة لعكّا على كل منها.

خـاتــمة ودعـاء

في خاتمة هذه الأزهار والأشواك أحب أن أسجل :

انني منذ مطلع حياتي كنت متأثراً في علاقاتي الاجتماعية بالكتاب الشهير (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثّر في الناس؟) لكارينجي.

وكنت أتذكر كثيراً دعاء أمي لي في مطلع حياتي : الله لا يحيجك لأحد ويجعلك مقصداً.

وكنت أتمثل دائماً بقول الشاعر :

اذا شـئـت أن تحـيـا سـليمـاً مـن الأذى
وعـيـشـك مـوفـور وعـرضُـك صـيـنُ
لـسـانـك لا تـذكـر بـه عـورة امـرىءٍ
فـكـلـك عـورات ولـلـنـاس الـسُـنُ
وعـيـنَكَ ان ابـدتْ اليك مـسـاوئـاً
فـصُـنـهـا وقـل: يـا عـيـنُ لـلـنـاس أعـيـنُ
وعـاشـر بـمـعـروفٍ وسـامـح مـن اعـتـدى
وفـارق ولـكـن بـالـتـي هـي أحـسـنُ

وفي كل مراحل العمر وازماته كنت أدعو الله :

"اهدنا الصراط المستقيم"، وما زلت أدعوه (ربَّنا أحسن ختامنَا)

وأخاطبه جلَّ جلاله :

"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربَّنا ولا تَحمِل علينا إصراً كما حملته على الذين من قَبلِنا،ربَّنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقةَ لنا به، واعفُ عنا، واغفرْ لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصُرنا على القوم الكافرين"، وخاصته الصهيونيين والاستعماريين.

الفهرست

المقدمة ٥
الاهداء ٧
تقديم ٩
الحياة في عكّا ١٥
الدراسة الثانوية في نابلس ٢٥
الاستعداد للصراع المسلح ٣٠
مدرسة الضباط الفلسطينيين ٣٣
دورة الضبّاط الفلسطينيين قطنا ١٩٤٨ ..... ٣٥
الخدمة في الجيش السوري ٤١
الاعتذار عن الجنسية السورية ٤٣
معارك الحمّه وعرب الشمالنة وتلّ النيرب ٤٥
الخدمة في المنطقة الوسطى ٤٨
دورة الكلية العسكرية في حمص ٤٩
خلاف حول شهادة الكلية العسكرية ـ حمص ٥٦
الانتقال الى هضبة الجولان ٥٩
مرحلة عسكرية جديدة ٦٢
جهود لتحصين الضفة الغربية ٦٥
الوحدة المصرية السورية ٦٨
بداية انتكاسة الوحدة ٦٩
الاحالة الى التقاعد ٧٥
السجن في القاهرة والمزة ٧٧
اقامة اجبارية مع عمل في القاهرة ٨٣
مساعي لاحياء الكيان الفلسطيني ٨٥

جريمة الإنفصال والعودة إلى سوريا ٨٥
مقابلة أسامة النقيب بعد سجنه ٨٧
استضافة عفيف البزري ٨٨
مقابلة الاخ ابو مازن ٨٨
حديث عن تسريحنا ومحاولات عفيف البزري ٨٩
من دمشق الى بيروت: (الهيئة والشركة) ٩٢
بداية النضال المسلح الفلسطيني ٩٣
في لبنان: الهيئة العربية والشركة ٩٦
مؤتمر القمة العربية الأول ١٠٠
تهمة محاولة اغتيال الشقيري ١٠٣
مؤتمر القدس والاعتقال في نابلس ١٠٥
مؤتمر القمة الثاني في الاسكندرية ١٠٨
الوضع العائلي ١١٠
تصاعد المطالبة بالتحرير ١١٣
اغتيال الصديق يوسف عرّابي واتهام عرفات ١١٧
عدم التدخل في الأردن ١١٨
تداعيات نكسة حزيران ٦٧ ..... ١٢٠
الفريق امين الحافظ في لبنان ١٢١
دائرة الاعلام والنشر ١٢٣
تداعيات معركة الكرامة ومجزرة ايلول الاسود ١٢٥
عمليات فدائية ١٢٧
رواية الضابط عارف جاجة عن اعتقالات الضباط الفلسطينيين ١٣٠
مشروع ملاجئ المخيمات ١٣١
زيارة بغداد ومقابلة حمدون والحافظ ١٣٦
بعد الخرطوم وايلول الاسود ١٣٦
رحيل الحاج أمين الحسيني ١٣٨
تحت جناح الحاج أمين ١٤٠
خطة للقتال في بيروت ١٤٣
العمل الصحافي وانقسام الهيئة ١٤٣
مغادرة لبنان إلى المجهول ثمّ دمشق ١٤٤

العميد ريمون اده والرئاسة ١٤٤
محاولات في الصراع على النفط الروسي ١٤٦
استشهاد أخي الدكتور المهندس عبد الغني ١٤٧
قرار اغتيال شفيق الحوت ١٤٩
وفاة والدي ١٥٠
المغادرة الثانية نحو المجهول ثمّ القاهرة ١٥٠
العودة إلى لبنان والسجن في بدارو واليرزة ١٥٢
جريمة حرب المخيمات في لبنان ١٥٧
ماذا بعد خدمة زملائي العسكرية ؟ ١٦٥
تنازلات "اوسلو" والانتفاضتان الباسلتان ١٧٠
للوصول الى تحرير فلسطين... ما العمل؟ ١٧٣
صندوق الطلاب الفلسطينيين في لبنان ١٧٤
تطور الاوضاع في لبنان ١٧٦
الصداقات في سوريا ١٧٧
الصداقات في لبنان ١٧٨
العمرة في مكة المكرّمة ١٨٠
عملية القلب المفتوح ١٨١
احتفالات بذكرى رحيل المفتي ١٨٢
كلمات رثاء ووفاء للمناضلين الأصدقاء ١٨٢
اللقاء الفني الفلسطيني في لبنان ١٨٨
تراث فنّي... وفيروز فلسطينية ١٨٩
شعر تمجيد للبطولات ١٨٩
نكسة العمر اقتصادياً ومعنوياً ١٩٢
زيارة من اهل عكّا ١٩٣
اغتيال الشهيد جهاد جبريل ١٩٤
وفاة أخي فتح الله ١٩٥
رابطة عكّا الخيرية ١٩٥
خاتمة ودعاء ١٩٧
الفهرست ١٩٨

صور وذكريات

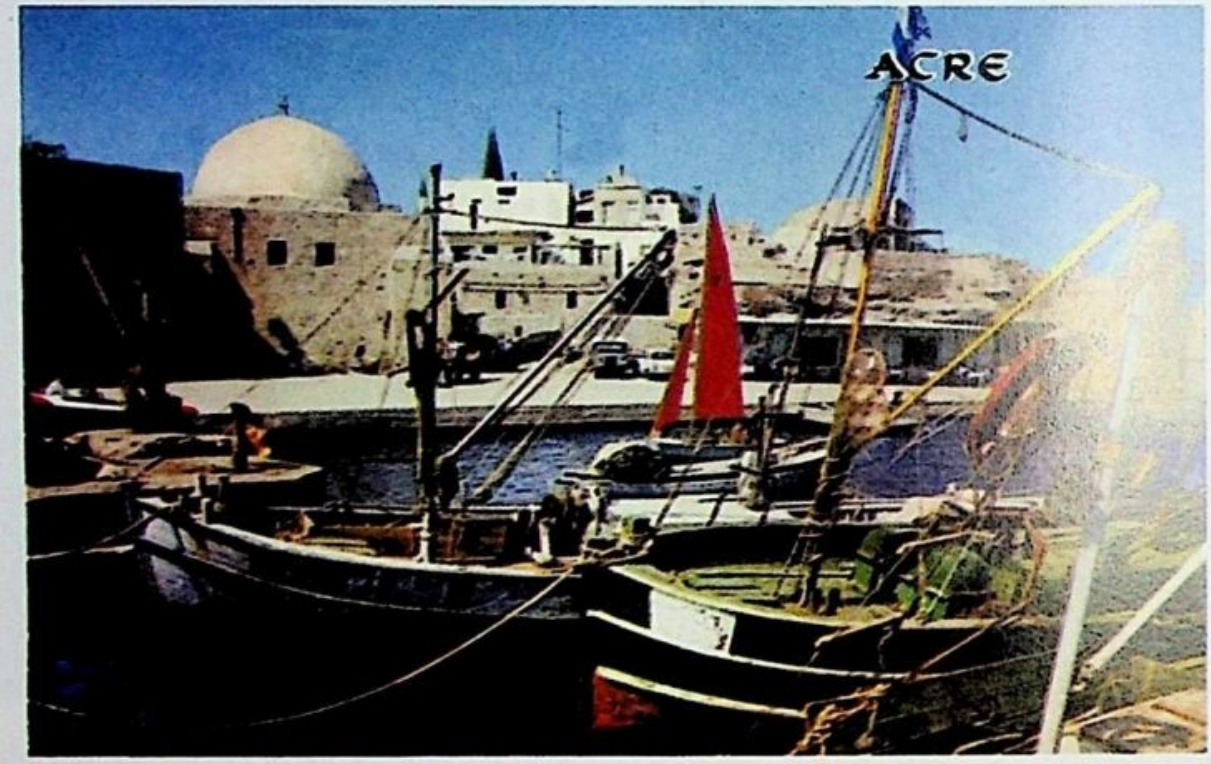

ميناء مدينة عكا التجاري

بيت عائلة أبو رقبة في عكا خارج السور

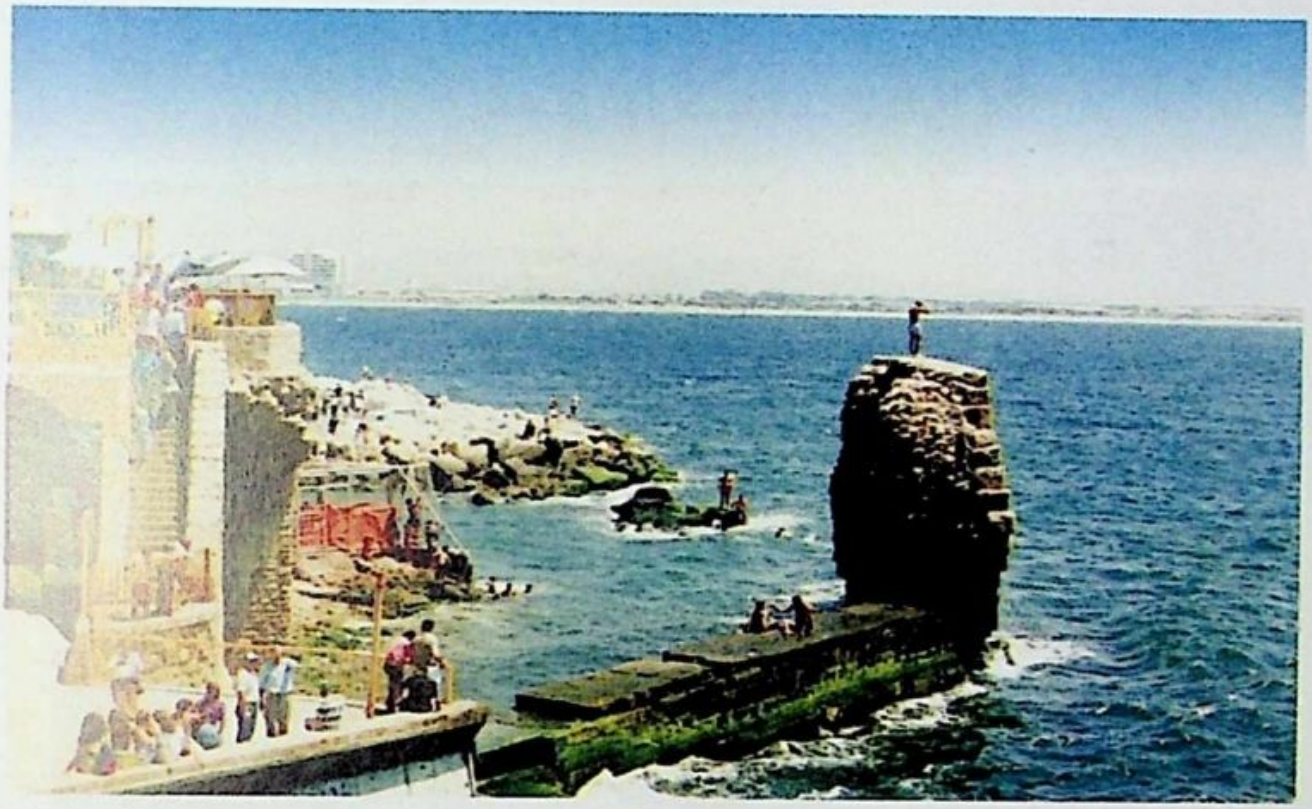

موقع حمام البحر وقهوة البحر التي أصبحت (مطعم خريستو)

مع زوجتي (دريتا) وابنتي (سمر) وزوجها علي صالح يوم عقد القران في بيروت سنة ١٩٨٨

مع ابنتي (سماح) بين زوجها حسان ووالده الأستاذ أحمد كزما في (دير قوبل) سنة ٢٠٠١

ابنتي (سمر) مع (رنا) وزوجها نبيل درويش سنة ٢٠٠٢

مع حفيدي الأول (أيمن) علي صالح

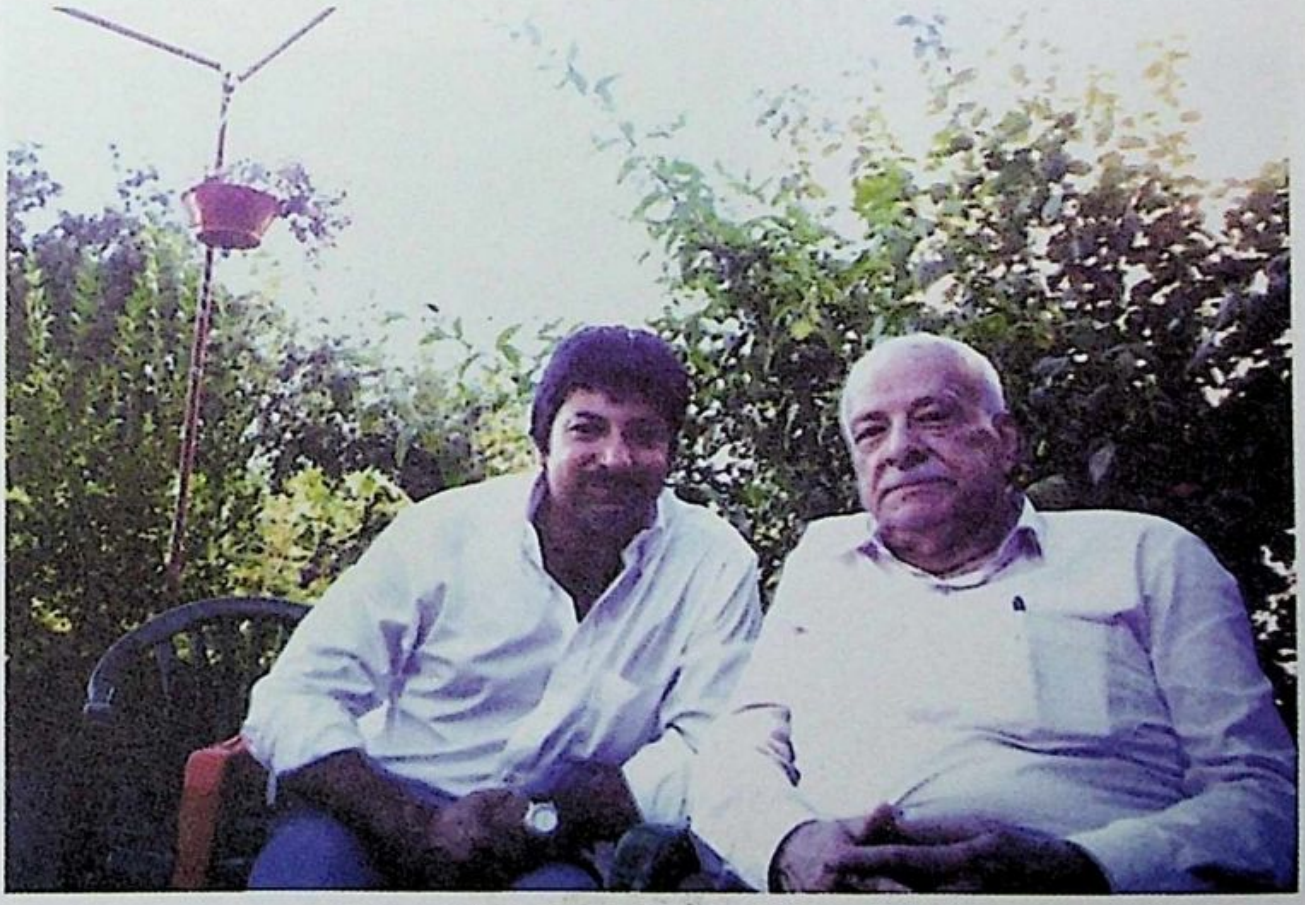

مع ابني توفيق في (دير قوبل) سنة ٢٠٠٢

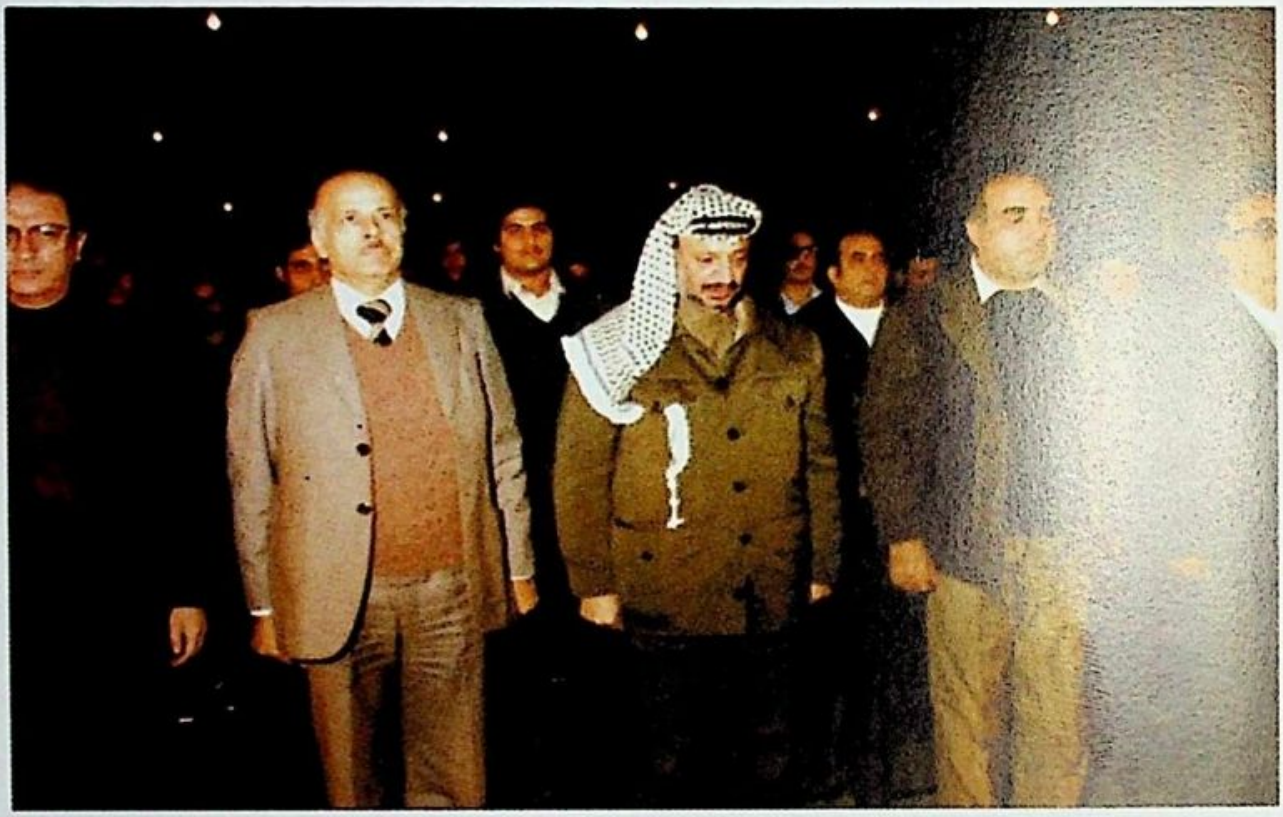

في ذكرى أربعين الشهيد عبد الغني، مع الأخوة أبو عمار وأبو أياد وأبو علاء

والصديق كريم مروة

كلمة العائلة في الذكرى الأربعين للشهيد عبد الغني

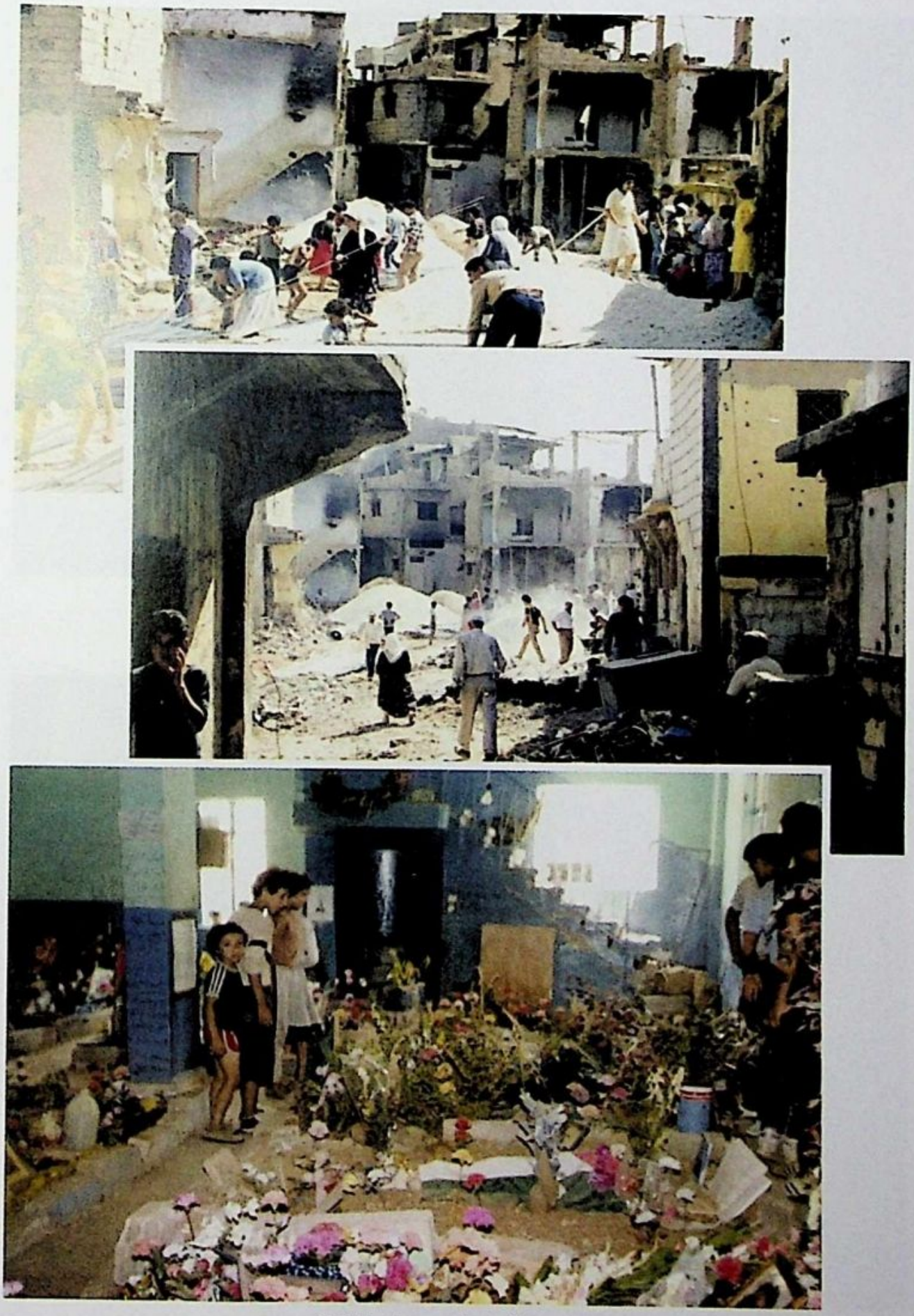

صور جريمة حرب المخيمات صبرا وشاتيلا - بيروت

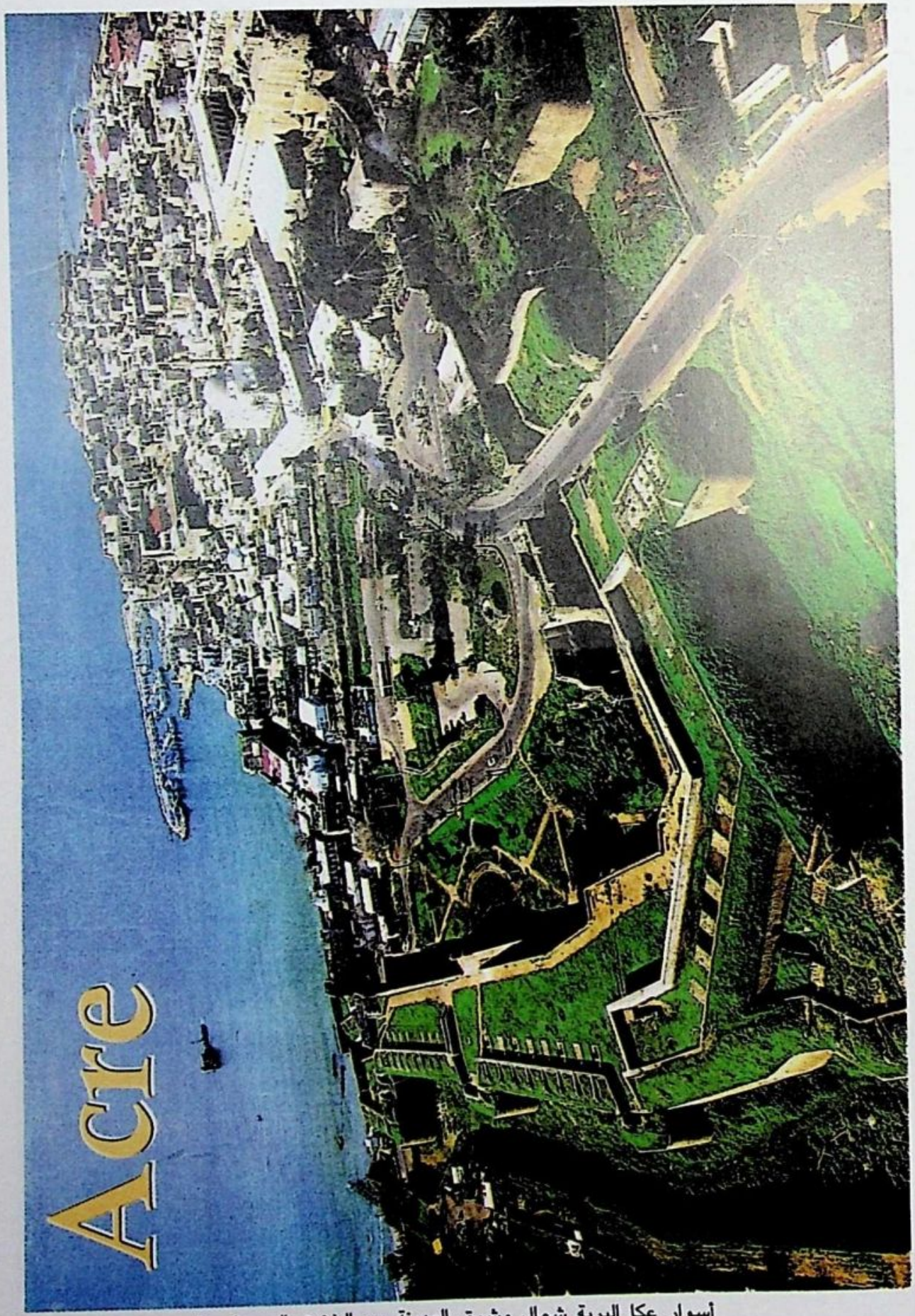

أسوار عكا البرية شمال وشرق المدينة مع الخندق المحيط بها

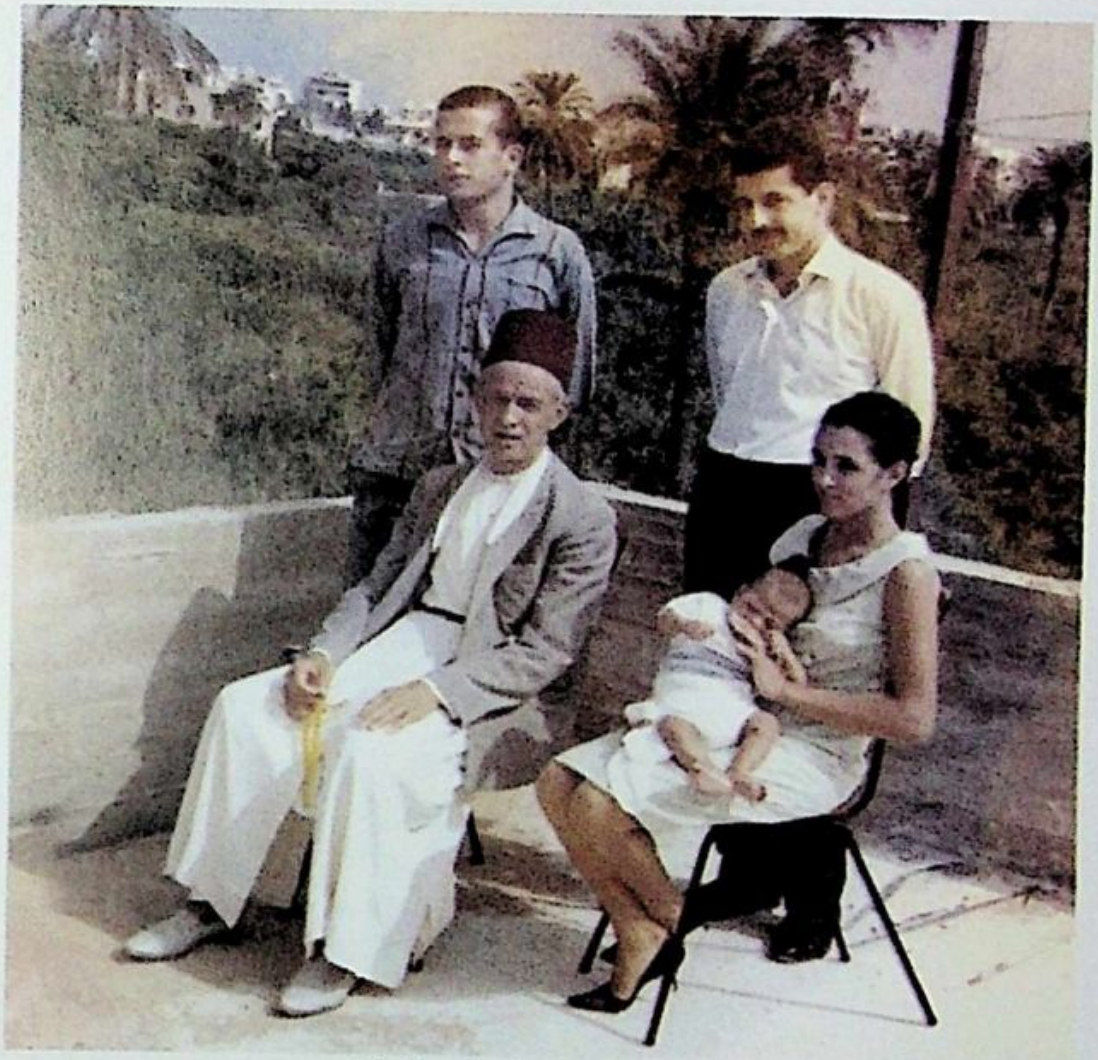

زوجتي مع الشبان الاربعة (!!)
الوالد واخوي فتح الله وعبد الغني وابني الطفل توفيق في بيروت

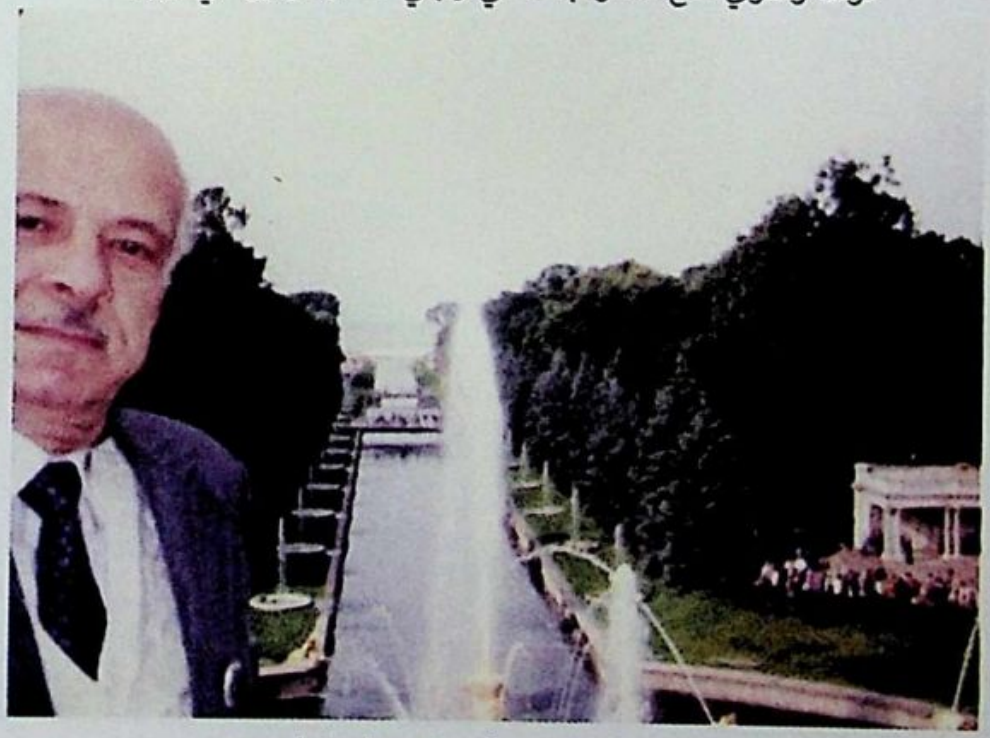

في حديقة القصر الصيفي - لينتغراد

سجن بدارو - بيروت حيث الغرفة السوداء السفلية والروف العلوي

رحلة مع الزوجة في تشيكوسلوفاكيا

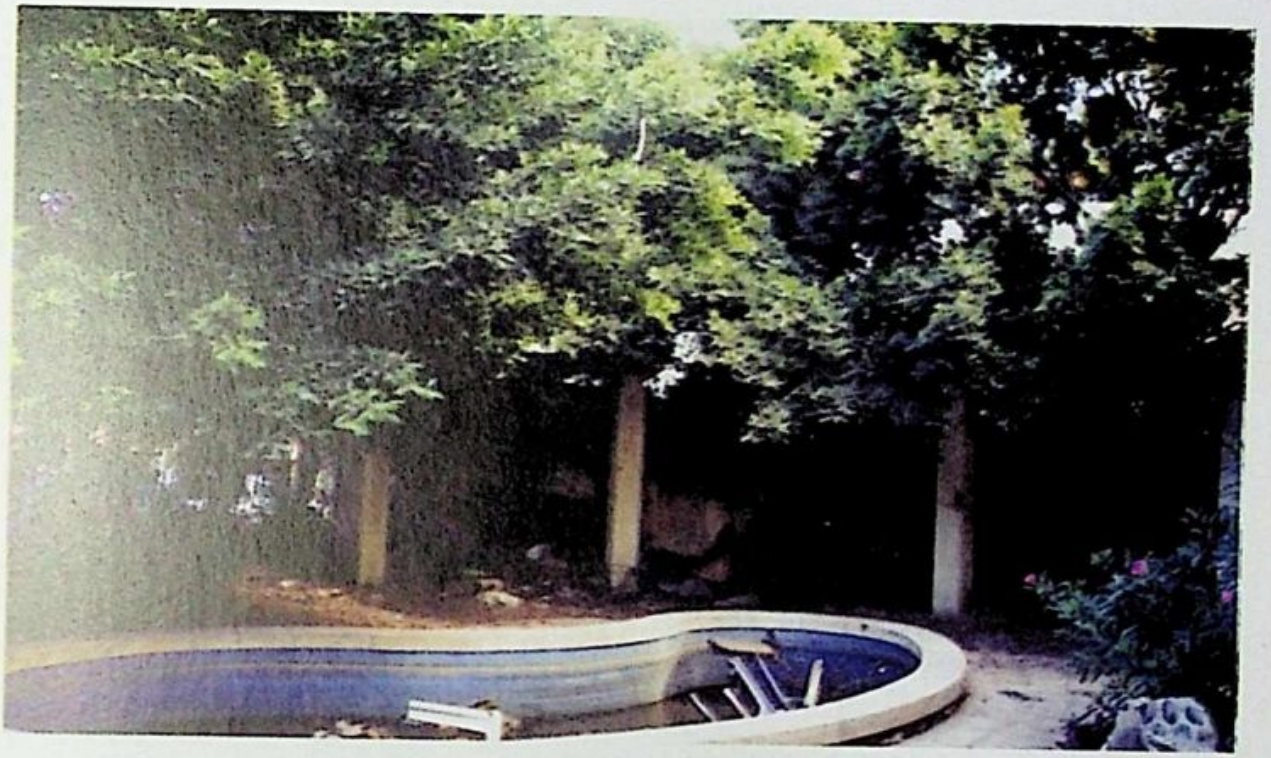

الحديقة: سجن عقل حمية قرب مستديرة المطار - بيروت

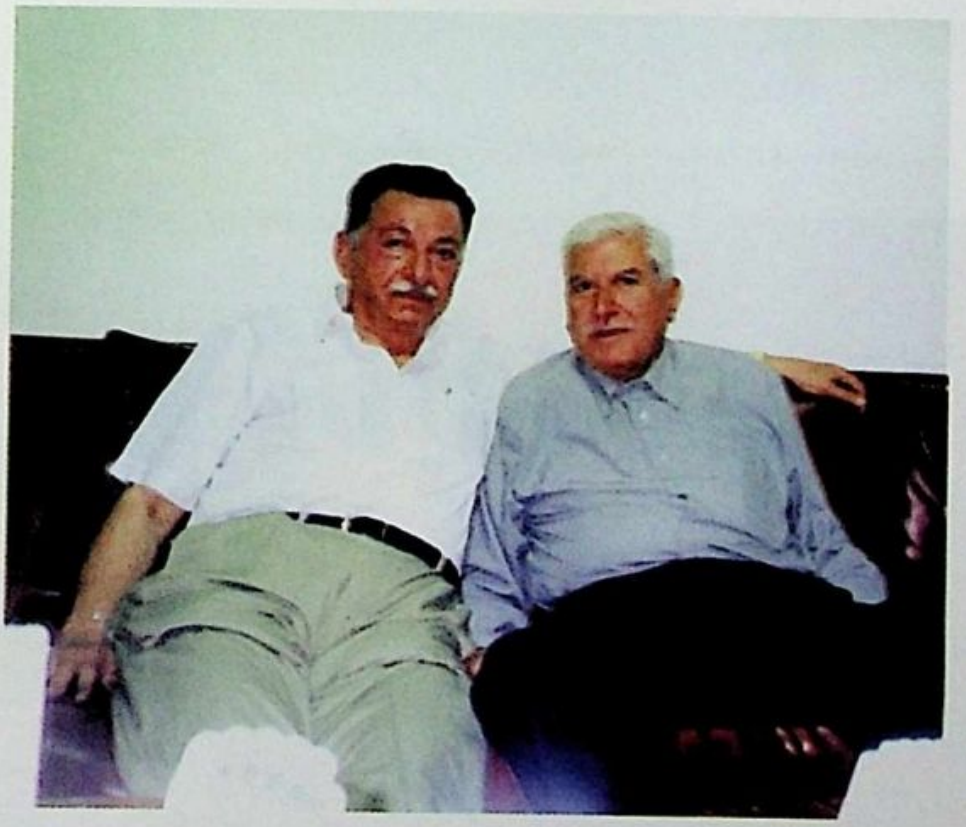

الصديقان جواد عبد الرحيم
وإبراهيم توفيق في بيروت

مع الصديق سميح الشاهد في دمشق

مع الصديقين عبد الكريم عمر وعرفان لوستان في دمشق

الصديق الراحل إبراهيم حداد

مع الصديقين أمين نور الله ومحمد أبو حجله في دمشق ـ نادي المحاربين القدماء

زفة العروس من مسرحية (العرس الفلسطيني) في جامعة بيروت العربية

مع أبطال (العرس الفلسطيني) في رد التحية الجمهور

مع المؤرخ الموسيقي روبير صفدي والصديق الإعلامي أمين مصطفى

مع الرئيس سليم الحص ورفعت النمر، والوزير غازي العريضي في افتتاح معرض تراثي

مع ابنة عمتي الدكتورة مريم وزوجها الأميركي واختها مي ود: سعيد صالح آغا في بيروت

مع بعض الزملاء في حفل التعزية بالشهيد جهاد جبريل في دمشق

MEMORIES OF PALESTINIAN OFFICER
FLOWERS AND THORNS

سيرة ١+٢

POETRY/AUTOBIOGRAPHY

المقدم حسن ابو رقبة في سطور

- من مواليد عكا – فلسطين في ٢٨ / ١/ ١٩٢٩ .
- درس في عكا ثم في كلية النجاح الوطنية – نابلس.
- التحق بمدرسة الضباط الفلسطينيين في قطنا (جيش الانقاذ) في نيسان سنة ١٩٤٨ .
- بعد التخرج انضم مع زملائه الى الجيش السوري.
- حصل على درجات ونتائج متميزة في خمس دورات عسكرية.
- تولى قيادة الفوج النموذجي في الجيش السوري فور ترفيعه لرتبة نقيب.
- نقل الى مصر اثناء الوحدة واتبع دورة في التجنيد ثم عيّن في التل الكبير.
- حاز على وسام قيام الجمهورية العربية المتحدة ووسام الأستحقاق السوري وعدة ثناءات
- احيل الى التقاعد المبكر السياسي سنة ١٩٥٩ وفرضت عليه الاقامة الاجبارية في مصر.
- عيّن رئيساً لقسم تدريب الموظفين في مؤسسة التأمينات الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق.
- اعتقل في خمس دول عربية ولم يحاكم ولم يحكم في اي منها.
- عند الانفصال عاد الى دمشق (مؤسسة التأمينات الاجتماعية) ثم أنهي عمله فيها.
- التحق بالعمل السياسي في الهيئة العربية العليا لفلسطين سنة ١٩٦٣ .
- حضر مؤتمري القمة الأول في القاهرة (اقتحاما) والثاني في الاسكندرية (سلاما).
- امّن الحماية للفريق البزري في دمشق وامّن الرعاية للفريق امين الحافظ في بيروت.
- تولى مهمة المدير الاداري لشركة اتحاد المهندسين والمقاولين في لبنان سنة ١٩٦٤ .
- عمل مديرا اداريا لمشروع ملاجئ المخيمات الفلسطينية في لبنان سنة ١٩٧٦ .
- عين مديرا لصندوق الطلاب الفلسطينيين في بيروت سنة ١٩٨٥ .
- ساهم في إنشاء اللقاء الثقافي الفني الفلسطيني في لبنان سنة ١٩٩٨ وعيّن مستشاراً له.
- ساهم في إنشاء رابطة عكا الخيرية وتولى رئاسة هيئتها الادارية سنة ٢٠٠٤ .

ISBN:9953-36-081-2